جهاد الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا
ضد الاستعمار الفرنسى
(١٨٥٠ - ١٩١٤)

الدكتورة إلهام محمد على ذهنى



١٩٨٨

جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا
ضد الاستعمار الفرنسي
(١٨٥٠ - ١٩١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الإهداء

إلى زوجى .....

المحتويات

صفحة

صفحة

فهرس الخرائط

مقدمـــة

بدأت فى السنوات القليلة الماضية بعض الدراسات الجادة القليلة عن غرب أفريقيا فى الظهور ، مما يدعو إلى مواصلة الجهود لكتابة تاريخ تلك المنطقة بأيدى كتاب عرب ، يمثلون وجهة النظر العربية ، المخالفة فى بعض الأحيان لوجهة النظر الغربية التى وردت فى كتابات الغربيين .

وقد رأيت أن أكرس بحثى هذا ، لحركة التوسع الفرنسى فى غرب أفريقيا ، مع التركيز على دور الوطنيين وموقفهم من هذا التوسع . فقد واجهت فرنسا مقاومة عنيفة فى المنطقة استمرت حتى الحرب العالمية الأولى واضطرت فرنسا إلى استخدام أعنف الوسائل للقضاء عليها . وقد اتخذت عام ١٨٥٠م بداية لبحثى ، وذلك لأنه فى الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، بدأت الامبراطورية الثانية تنتهج سياسة توسعية فى قارة أفريقيا ، وسعى الامبراطور نابليون الثالث لربط مستعمرة الجزائر الفرنسية مع مستعمرة السنغال ، كما أن حكومته اعتمدت على العسكريين من جهة والحزب الكاثوليكى من جهة أخرى ، وكلاهما من أنصار التوسع العسكرى الاستعمارى ، وإذا كانت فرنسا قد خففت من حدة توسعها فى غرب أفريقيا بعد هزيمتها فى الحرب السبعينية ، إلا أنها سرعان ما استعادت نشاطها فى المنطقة وجاء مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ ليزيد من حدة اندفاع فرنسا نحو القارة الإفريقية ولينظم التكالب الاستعمارى على القارة . وقد بدأت فرنسا فى أعقاب المؤتمر ، تسعى لتحقيق هدفها وحلمها ، فى تكوين امبراطورية فرنسية تمتد من غرب أفريقيا إلى شرقها .

وقد توقفت ببحثى فى عام ١٩١٤م ، أى عند قيام الحرب العالمية الأولى وذلك لأنه فى عام ١٩١٤ أنهت فرنسا خطتها العسكرية فى السيطرة على الغرب الأفريقى وتوسعها العسكرى فيه .

وقد ركزت فى هذا الكتاب على المقاومة الإسلامية التى واجهتها فرنسا فى غرب أفريقيا حتى كونت ما عرف بأفريقيا الغربية الفرنسية ، ورغم أن هذا الاتحاد ضم العديد من المستعمرات مثل داهومى وساحل العاج ، إلا أننى اكتفيت فى هذا الكتاب بإلقاء الضوء على المقاومة الإسلامية التى تركزت بصورة واضحة فى كل من السنغال ، وغينيا الفرنسية ، والسودان الفرنسى ، والنيجر ، وموريتانيا ، تلك المقاومة التى كرست فرنسا جهودها من أجل إخمادها واستخدمت وسائل إنتقامية متعددة حتى تمكنت من تحطيمها ، ونجحت فى نفى وتشريد الزعامات الإفريقية المسلمة ، وقد لجأت فرنسا إلى ذلك لأنها وجدت أن الإسلام هو أكبر عقبة أمام تقدمها فى المنطقة .

أتمنى بهذا العمل المتواضع أن يتعرف القارىء على صفحات مشرقة من تاريخ المقاومة الإسلامية فى غرب أفريقيا فى العصر الحديث ولاسيما وأن الوطنيين الأفارقة لم يوفوا هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة باللغة العربية ولذلك أرجو أن يكون هذا الكتاب قد أدى ولو جزءاً يسيراً من هذه المهمة العلمية والثقافية .

وقبل أن أختم حديثى ينبغى أن أشير بأن الفضل يرجع إلى أستاذى الأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار فى إتمام هذا العمل ، فقد أمدنى بوثائق الخارجية البريطانية التى ألقت الضوء على نشاط فرنسا الإستعمارى فى المنطقة والتنافس بينها وبين انجلترا .

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذى الأستاذ الدكتور مصطفى كمال عبد العليم الذى شجعنى على نشر هذا الكتاب .وإليه يرجع الفضل فى إخراج هذا العمل إلى النور .

د . إلهام محمد على ذهنى

الفصل الأول

غرب أفريقيا والمؤثرات الدولية

أولا - غرب أفريقيا قبيل التوسع الفرنسى

ثانياً - العوامل الدولية المؤثرة على الاستعمار الفرنسى فى غرب أفريقيا

أولا - غرب أفريقيا قبيل التوسع الفرنسى

١ - دراسة جغرافية بشرية :

الأنهار :

لا يمكن كتابة تاريخ غرب أفريقيا دون أن نلم بلمحة جغرافية لطبيعة المنطقة ، لما لها من تأثيرات واضحة على سير الأحداث خلال فترة التاريخ الحديث بصفة خاصة . فلا يمكن على سبيل المثال تجاهل تأثير الصحراء الكبرى فى سير هذا التاريخ . وذلك للعلاقة الدائمة بين أهالى الصحراء الكبرى وشعوب السودان الغربى .

تقع البلاد التى نكتب عنها فى غربى أفريقيا وتطل على المحيط الأطلنطى من الغرب والجنوب ، وتحدها الصحراء الكبرى شمالا ومن الشرق خط يكاد يمر بالحدود الشرقية لنيجيريا ، وليس من اليسير تحديد الحدود الشمالية والشرقية لغربى أفريقيا تحديداً دقيقاً وذلك لعدم وجود حواجز جغرافية طبيعية فى الشرق أو فى الشمال تعتبر علامات بارزة تحدد بجلاء اتساع الأقاليم التى تحتوى عليها أفريقيا الغربية . ولم تكن الصحراء كما لم يكن النهران الكبيران النيجر والسنغال اللذان يجريان بمحازاة حافة الصحراء الجنوبية فى أى يوم من الأيام عائقاً يعوق انتقال الشعوب المختلفة أو يعرقل تجارتها [١] .

بالإضافة إلى ذلك فإننا إذا تقدمنا إلى غرب أفريقيا من الناحية الشمالية لاحظنا تغيراً جغرافيا يطرأ عليه شىء من التدرج أثناء انتقالنا من الصحراء إلى الأماكن الآهلة بالسكان ، كما نشاهد أيضا بعض مناطق الصحراء ليست خالية تماما من السكان ولا توجد بشرقيها حواجز جغرافية إلى أن نصل إلى مستنقعات النيل الاستوائية أو المرتفعات الحبشية [٢] .

---

(١) عبد الرحمن ، زكى ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية . (القاهرة ، ١٩٦١) ص ٧ .

(٢) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق ، ص ٧

وليس هناك أدنى شك فى أن تلك الصورة الجغرافية العامة قد أثرت تأثيرا ملحوظا فى تاريخ وفى حضارة البلاد الواقعة فى غرب أفريقيا عبر العصور .

فيما يتعلق بأنهار غرب أفريقيا فقد لعبت دوراً هاماً فى تاريخ المنطقة ، وتشمل كلا من نهر السنغال [٣] والنيجر [٤] وغمبيا [٥] إلى جانب وجود مجموعة أخرى من الأنهار مثل نهر الكازامانس Casamance [٦] ، وأنهار الجنوب Riviére du Sud [٧] ونهر فولتا [٨] وأنهار داهومى .

يعتبر نهر النيجر ثالث أنهار أفريقيا بعد النيل والكونغو ، وهو يمتد فى غرب أفريقيا على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربى حتى الشمال الشرقى وينتهى عند المصب بدلتا كثيرة الفروع ويتصل به عند مسافة غير قصيرة من المصب نهر بنوى Benoué [٩] ، وقد أطلق المستعمرون الأوائل على مجموعة الأنهار المتصلة بالنيجر اسم أنهار الزيت Oil Rivers [١٠] لأن هذه المنطقة اشتهرت بانتاج أجود أنواع الزيوت [١١] .

ينبع النيجر من المنحدرات الداخلية لهضبة فوتا جالون Fouta Djalon [١٢] .

ويتكون عند بدايته فى جنوب باماكو Bamako [١٣] من عدد من المجارى التى تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية للنيجر حيث تتحول هذه الدلتا إلى بحيرة عظيمة فى موسم الفيضان ، ويسير النهر بعد ذلك على هذه الصورة حتى

---

(٣) انظر شكل (١) – (٤) – (٥) – (٨)
(٤) انظر شكل (١) – (٤) – (٧) – (٨)
(٥) انظر شكل (١) – (٤) – (٥) – (٧) – (٨) .
(٦) انظر شكل (١) – (٥) .
(٧) انظر شكل (٥) – (٧) .
(٨) انظر شكل (١) – (٤) – (٥)
(٩) انظر شكل (٢) – (٤)
(١٠) انظر شكل (١٤) .
(١١) شوقى ، الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، (القاهرة ١٩٧١) ، ص٩٢ ، ٩٣ .
(١٢) انظر شكل (٤) – (٥) .
(١٣) انظر شكل (١) – (٤) .

يصل إلى تمبكتو Tombouctou [١٤] وبعدها تتحد مجارية ويصنع ثنية عظيمة يتجه بعدها نحو الجنوب ليصب فى المحيط الأطلنطى [١٥] .

وتمثل منطقة ثنية النيجر جزءاً مهماً فى أفريقيا الغربية الفرنسية A. O. F. ، فقد تقاسم هذه المنطقة كل من ساحل العاج ، وغينيا الفرنسية وداهومى ، كما يعتبر نهر النيجر الذى يبلغ طوله أربعة آلاف كيلو متر شرياناً مهماً من شرايين الحياة والعمران والمواصلات فى السودان الغربى ولا يفصله عن الأنهار الأخرى كالسنغال أو نهر شارى مرتفعات كبيرة مما سهل على الفرنسيين التوغل فى المنطقة [١٦] .

وقد تضاربت الأقوال بخصوص منابع نهر النيجر واتجاهه [١٧] وخلط الرحالة بين النيجر والسنغال وأخطأ البعض منهم فى تحديد مساره ففى القرن السادس عشر قام الحسن بن الوزان الزياتى [١٨] برحلة من فاس عبر الصحراء إلى سجلماسة وتغازه حتى وصل تمبكتو وجنى ومالى ، وأكد بأن النهر يسير نحو الغرب . وظلت مشكلة النيجر وتحديد اتجاهه قائمة حتى القرن الثامن عشر ، فقد اهتمت الجمعية الجغرافية البريطانية باستجلاء حقيقة هذا النهر وكانت شركة أفريقيا الغربية الفرنسية قد اتخذت لها بعض المراكز قرب غمبيا على الساحل الغربى لأفريقيا ولذا فقد اتجهت الأنظار لإتخاذ هذه المنطقة كنقطة إنطلاق نحو الداخل [١٩] .

---

(١٤) انظر شكل (١) - (٢) .

(١٥) أحمد نجم الدين فليجة : أفريقيا . دراسة عامة واقليمية (لأقطارها غير العربية) (طبعة الاسكندرية ١٩٧٨) ، ص١٤٤ ، ١٤٥ .

(١٦) جمال الدين ، الدناصورى : جغرافية العالم دراسة إقليمية (أفريقيا ، استراليا) (طبعة القاهرة ١٩٧١) ، جـ٢ ، ص ٣٦٨ .

(١٧) أشار هيرودت إلى أن نهرا يسير من غرب أفريقيا إلى الشرق يقسمها كما يقسم الدانوب أوربا ، وأكد الرحالة ابن حوقل بان النهر يسير نحو الشرق .

(١٨) اشتهر باسم ليو الافريقى . ولد فى غرناطة فيما بين ١٤٨٩ - ١٤٩٥ لحأت أسرته إلى المعرب بعد طرد المسلمين من الأندلس وتجول فى بلاد المغرب لحساب سلطانها وقام برحلته إلى السودان من تمبكتو حتى مصر مارا ببلاد الهوسا وتشاد كلف بمهمة من قبل سلطان فاس إلى القسطنطينية لدى السلطان العثمانى وأثناء توقف سفينته فى جزيرة جربة أسر على يد قرصان صقلى ١٥١٨ فقدمه هدية إلى البابا ليو العاشر فحمله على اعتناق المسيحية وعرف باسم جان ليون غراناتينو ثم اشتهر بليو الإفريقى لكتابه عن وصف أفريقيا .

(١٩) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر [٢٠] بدأت محاولات الوصول إلى النيجر واستمرت هذه المحاولات حتى أوائل القرن التاسع عشر [٢١] .

ففى عام ١٨٢٧ وصل ملامح فرنسى يدعى رنيه كاييه René Caillé إلى تمبكتو قادماً من غينيا الفرنسية ، ونجح كاييه فى اختراق الصحراء والوصول إلى مراكش فحققت رحلته بذلك نصراً للجميعة الجغرافية الفرنسية الناشئة [٢٢] .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من اكتشاف مصب نهر النيجر التأكد من اتجاهه ، إلا أن محاولات الكشف لم تنته ، وذلك للتعرف على المناطق التى يمر بها وعلى جماعات السكان المقيمة حوله . ففى عام ١٨٥٤ قام ليرد Laird بتكليف من القنصل البريطانى بيكروفت Beecroft بمحاولة لاكتشاف منطقة النيجر الأدنى ، وأراد ليرد التأكد من أن نهر بنوى هو أقوى وأهم فروع النيجر وأنه صالح للملاحة والتجارة وطريق هام للمناطق الداخلية [٢٣] .

وقد اصطحب معه كل من بيكى Baikie ، وكروثر Crowther ووضع ليرد تقريراً مفصلاً عن منطقة دلتا النيجر ، وأكد بأنها تعتبر من أهم مناطق التجارة بالنسبة للأوربيين ، ثم ما لبث ليرد أن تعرض لهجوم من قبل الوطنيين فطلب من حكومته إرسال حملة أخرى

---

(٢٠) فى عام ١٧٩١ نجح القائد البريطانى هوتن Houghton فى الوصول إلى النيجر من غمبيا حتى نيورو Nioro إلا أنه لقى حتفه على يد القبائل الموريتانية كما خرجت بعثة الكابتن هورنمن Horneman من القاهرة ولكن صاحبها اختفى ولم يعلم أحد مصيره . وفى عام ١٧٩٥ استطاع مانجو بارك Mungo-Park بتكليف من الجمعية الإفريقية فى لندن أن يرحل من غمبيا ويعبر منطقة بوندو Bondouوالسنغال حتى وصل إلى باقل Bakel وتابع سيره حتى كارته Kaarta ولكن القبائل الموريتانية ألقت القبض عليه وسجنته لمدة أربعة أشهر ولم يستطع بارك إكمال رحلته فعاد إلى غمبيا عام ١٧٩٧ مؤكداً بأن نهر النيجر يجرى نحو الشرق وليس الغرب كما استطاع بارك تأكيد منابع نهرى السنغال وغمبيا وبرهن على أن النيجر يسير نحو الشرق بينما غمبيا نحو الغرب . وهكذا حققت رحلته أهمية كبيرة ، فقد حسمت خلافا حول إتجاه النهر فأصبح واضحاً أن الأنهار الثلاث ليست متصلة . وفى عام ١٨٠٥ عاد بارك لتكملة رحلته ولكنه اختفى عند بوسا فى عام ١٨٠٦ .

(٢١) فى عام ١٨٢٣ – ١٨٢٥ قام كل من كلابرتون وخادمه لاندر برحلة لاكتشاف مجرى نهر النيجر فوصلا إلى سوكوتو وكانو وبورنو ، ثم نجح لاندر فى الوصول إلى بوسا متتبعا مجرى النهر حتى مصبه . وفى عام ١٨٢٦ وصل جوردن لانج من طرابلس إلى تمبكتو وسجل فى عام ١٨٢٧ ملاحظاته عن المناطق التى تجول فيها .

(٢٢) Deschamps, H. :Histoire Génerale de L' Afrique Noire, (paris, 1971), Tome II, P. 12.

(٢٣) De Lanoye, F. :Le Niger et les explorations de L'Afrique Centrale depuis Mungo-Park Jusqu'au docteur Barth, (Paris 1860), PP . 573 – 581.

استكمالا لجهوده . فأرسلت الحكومة البريطانية بيكى - وهو طبيب فى البحرية البريطانية نجح فى الوصول إلى نهر بنوى ، فوصل إلى لوكوجا Lokoja (٢٤) ، وبوسا (٢٥) ، وأخذ يعمل على تدعيم النفوذ البريطانى فى النيجر الأدنى (٢٦) .

وفى الوقت الذى اهتم فيه البريطانيون بتدعيم سيطرتهم فى النيجر الأدنى لم يهملوا الكشف عن نهر النيجر من جهة الشمال ، فأرسلوا أربعة من المستكشفين فى الجهات الشمالية من النهر ، ولكنهم تعرضوا لهجوم من بعض القبائل عليهم . وفى الفترة ما بين ١٨٥٢ - ١٨٥٤ استطاع هنريك بارث Henrich Barth اكتشاف المناطق الداخلية من النيجر فوصل إلى بلاد الهوسا وبنوى وتمبكتو (٢٧) وقد تنكر بارث فى زى تاجر عربى ، وتجول فى سودان النيجر لمدة خمس سنوات زار خلالها المناطق الواقعة بين باجرمى وتمبكتو ، وقدم معلومات قيمة عن المدن التى شاهدها وثروات المنطقة الطبيعية وأثبت هذه المعلومات فى خريطة رائعة (٢٨) .

تابعت انجلترا جهودها لاكتشاف المناطق المحيطة بالنيجر فأرسلت عام ١٨٥٧ بعثة للإتصال بالممالك الإسلامية الواقعة شمال سوكوتو فقد أرادت تدعيم علاقتها بها تمهيداً للسيطرة عليها (٢٩) .

توالت البعثات لاكتشاف المناطق الداخلية ، وقد زودتنا هذه البعثات بمعلومات قيمة عن النظم الإجتماعية والسياسية فى المنطقة ، فقد قضى بعض المكتشفين ثلاث سنوات أو أكثر فى المناطق الداخلية من أفريقيا ، وانقطعت صلاتهم بالعالم الخارجى ، وعاشوا خلال هذه الفترة مع الأفارقة فدونوا كل ما شاهدوه مما ساعد بعد ذلك على إستعمار هذه المنطقة (٣٠) .

---

(٢٤) انظر شكل (٢) .

(٢٥) انظر شكل (٤) .

(٢٦) **The Journal of African History,** (Cambridgc 1970), Vol. Xi, pp. 401.

(٢٧) Pedler, F. J. : **West Africa,** (Creat Britain 1959), PP. 70–71.

(٢٨) Deschamps, H. : oP. cit., Tome II, P. 14.

(٢٩) Robinson , Ronald : **Africa and the Victorians,** (N.Y. 1961), P. 37.

(٣٠) Zerbo, Joseph : **Histoire de L'Afrique Noire D'Hier à demain,** (paris 1972), p. 402.

وإذا كان نهر النيجر والكشف عنه له أهمية كبيرة فى غرب أفريقيا ، فإن نهر السنغال أيضا لعب دوراً هاماً فى تاريخ المنطقة ، وينبع نهر السنغال من نفس المنطقة التى ينبع منها النيجر أى من هضبة فوتا جالون وبعدها يتجه شمالا ثم غربا نحو المحيط الأطلنطى ، ويمتاز نهر السنغال بأنحدار مجراه التدريجى فى المنطقة المستوية الساحلية ، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار لمسافة تبلغ ٣٥٠ كم من المصب [٣١] .

أما نهر غمبيا ، فيعتبر طريقا مهما للمواصلات ، فهو صالح للملاحة لمسافة ٤٦٥ كم ، وتقع القرى بعيداً عن مجرى النهر ، وذلك بسبب وجود المستنقعات والغابات على ضفافه . ويتكون سطح غمبيا من وادى النهر والمناطق المحيطة به وهى سهول خصبة تستغل فى زراعة الفول السودانى [٣٢] . ويعتبر نهر غمبيا من أصلح الأنهار للملاحة ، فهو مدخل السودان الغربى ، وهو يخترق منطقة السافانا أكثر مناطق أفريقيا ارتيادا ، وقد كونت انجلترا مستعمرة فى غمبيا ، وكانت أصغر المستعمرات البريطانية فى غرب أفريقيا ، وهى تتكون من منطقة ضيقة ذات شكل شاذ على طول الجزء الصالح للملاحة من نهر غمبيا ، وقد شطرت هذه المستعمرة البريطانية السنغال الفرنسى إلى قسمين بحيث أصبح القسم الجنوبى فيها والذى يسمى كاساما منعزلا عن قلب المستعمرة الرئيسى وهو القسم الشمالى وعن مواصلاته وميناءه الرئيسى [٣٣] .

وبالإضافة إلى نهرى السنغال وغمبيا يوجد نهران صالحان للملاحة هما نهر سالوم [٣٤] ونهر الكازامانس [٣٥] .

أما فى منطقة خليج غينيا فقد وجد فى ساحل العاج عدة أنهار هى باندامًا – كافالى – كومويه [٣٦] وهى جميعا تصب فى خليج غينيا [٣٧] أما نهر فولتا فيشبه فى اتجاهه وخصائصه

---

(٣١) أحمد نجم الدين ، فليجة : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

(٣٣) دولت ، أحمد صادق : **الجغرافيا السياسية** ، (القاهرة ١٩٨٢) ، ص ٧١٥ ، ٧١٦ .

(٣٤) انظر شكل (٥) .

(٣٥) المرجع السابق ، ص ٧١٦ .

(٣٦) انظر شكل (١) .

(٣٧) يسرى ، الجوهرى : **أفريقيا الإسلامية** ، (القاهرة ١٩٨٠) ، ص ٢٣١ .

نهر النيجر وكانت منطقة فولتا قد وضعت لفترة تحت إدارة ساحل العاج باعتبارها تمثل الأراضى الداخلية [٣٨] .

ويعيب المجارى المائية فى ساحل غينيا أنها كلها تقريبا ضحلة تسود مصباتها الكثبان الرملية بالإضافة إلى كثرة الحواجز الصخرية فى المنطقة .

يلاحظ مما سبق ، قلة أهمية الأنهار الإفريقية ، كشرايين تؤدى للداخل فهذه الأنهار ، تنتهى إلى البحر إما بدالات كثيرة الفروع والمستنقعات والسدود أو بمساقط مائية . ولعله مما يستوقف النظر أن كشف منابع الأنهار الإفريقية تم عن طريق بعثات تتبعت مجارى هذه الأنهار ، ولكنها فى أغلب الأحيان أتبعت الطرق البرية لتتفادى العقبات فى مجارى الأنهار [٣٩] .

وإذا كانت بعض أنهار غرب أفريقيا ، قد عرقلت التوغل للداخل فإننا نلمس أيضا بأن سواحل غرب أفريقيا لم تساعد كثيراً على هذا التوغل ، رغم أنها تعتبر بعد الساحل الشمالى من أقرب السواحل إلى أوربا وعلى الرغم من وصول الأوربيين إليها منذ أواخر القرن الخامس عشر ، إلا أنهم تركزوا فى نقاط على الساحل الذى قلت فيه المناطق التى تصلح للوثوب للقارة Jupping of Points وأصلح هذه المواثب هى الجزر ، التى تقع بالقرب من السواحل ، وبالطبع لاتخلو سواحل غرب أفريقيا من الجزر فهناك جزر الكناريا مثلا فى الشمال الغربى ولكنها قليلة الأهمية بالنسبة لاكتشاف داخل القارة ، لأنها تقابل الصحراء ولكن وجدت جزر أخرى ، فى مواجهة الأقاليم الإستوائية من القارة بعضها اتخذ فعلا كنقط ارتكاز للوصول للأجزاء الوسطى من القارة ولكن فيما عدا ذلك تكاد سواحل أفريقيا تخلو من الجزر ، كذلك تقل فى الساحل الغربى الموانىء الطبيعية الصالحة ، فهى قليلة ، ومتباعدة . أما من الناحية المناخية فإن الساحل الغربى استوائى وصحراوى ، ذا مناخ قاسى ، كما أن سواحل أفريقيا ، فى جملتها ظهيرها فقر إذ أنها تؤدى لمناطق صحراوية أو شبه صحراوية أو غابات كثيفة يصعب اختراقها [٤٠] .

---

(٣٨)شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص١٠ .

(٣٩) المرجع السابق ، ص١٠ .

(٤٠) شوقى الجمل : المرجع السابق ، ص١٦ ، ١٧ .

السلالات :

عند دراسة منطقة غرب أفريقيا لابد لنا من إلقاء نظرة سريعة على عناصر السكان لأن اختلافها أثر فى تاريخ المنطقة . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نلاحظ بأن فرنسا خلال فترة توسعها فى المنطقة استغلت الصراع التقليدى بين كل من التكرور والبمبارا لمد نفوذها فى منطقة النيجر فلجأت إلى مساعدة البمبارا الوثنيين والتحالف معهم تمهيداً للقضاء على امبراطورية التكرور .

يلاحظ فى غرب أفريقيا وجود سلالتين ، السلالة الأولى هى السلالة البيضاء Race Blanchc ، والثانية السلالة السوداء Race Noire .

فيما يتعلق بالسلالة الأولى وهى السلالة البيضاء فتتركز فى شمال أفريقيا وفى الصحراء الكبرى الغربية ويعرف أهلها باسم المغاربة وهم خليط من البربر والعرب ويعيشون على الحافات الساحلية الممتدة على الضفة اليمنى لنهر السنغال والضفة اليسرى لنهر النيجر وفى اتجاه الصحراء ، وهم على جانب كبير من الذكاء وينقسم المجتمع لديهم إلى ثلاث طبقات . الجنود - المرابطين - الطوارق [٤١] وقد اشتهر الطوارق بالشجاعة وبحروبهم العنيفة ضد الفرنسيين وتمسكهم الشديد بالدين الإسلامى وقد تركزوا فى منطقة ثنية النيجر وتمبكتو [٤٢] .

وتدخل ضمن هذه المجموعة القبائل العربية فى جنوب موريتانيا مثل الترارزة والبراكنة نبائل البربر الخاضعة لهم زناتة وهرتين وفى الحوض يقابلنا أولاد دليم والرقيات ، وطلب ومختار وجرجنكة وولاته وتنمية فى شمال منحنى النيجر [٤٣] . ومعظم هذه القبائل مسلمة اشتهر أفرادها بالحرص على أداء فريضة الحج وقد لعبوا دوراً هاماً فى مقاومة الغزو الفرنسى لجنوب موريتانيا حتى بداية الحرب العالمية الأولى [٤٤] .

---

(٤١) Spitz, Georges : Soudan Français (Paris 1955), PP. 28–30.

(٤٢) Guy, Camille : L'Afrique Occidentale Ferançaise (Paris 1929), P. 43.

(٤٣) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا د . س ص ١٠٠

(٤٤) Guy, C. : op. cit., P. 40.

أما عن السلالة الزنجية فتتركز فيما يلى الصحراء فى بلاد السودان الغربى وفى منطقة الغابات وفى الأراضى الزراعية المكشوفة الواقعة بين الصحراء ونهر النيجر والسنغال والبلاد المطلة على خليج غينيا [٤٥] فإذا انتقلنا إلى شعوب السودان الشمالى قابلتنا الشعوب الآتية :

الفولانى [٤٦] : اختلف الباحثون فى أصلهم فمنهم من يربطهم لغويا بالنوبة ، ومنهم من يرى بأنهم عنصر من البربر استقروا فى منطقة ادارار وأعالى السنغال [٤٧] واستقرت طائفة منهم فى ماسينا [٤٨] ثم أخذوا فى التسرب شرقا حتى وصلوا إلى بورنو ووصل البعض منهم إلى الكاميرون [٤٩] وشمال أدماواة Adamawa [٥٠] .

وقد تألفت حياة الفولانى من عدة قبائل صغيرة متناثرة تحيا حياة رعوية واشتهروا بعدم الخضوع لأى ملك من ملوك البلاد التى يقيمون فيها ، رغم أنهم يعيشون فى أراضى هؤلاء الملوك وذلك لأنهم إذا أسيىء إليهم هدموا منازلهم وارتحلوا إلى منطقة أخرى وقد اشتهروا بزراعة القمح والقطن [٥١] .

ينقسم الفولانى إلى فولانى البقرة Cow Fulani وفولانى الجيدا Fulani Gidda أى فولانى المدينة الذين يسكنون المدن [٥٢] وقد استقرت جماعة من الفولانى فى بلاد الهوسا شمال نيجيريا مكونة امبراطورية كبيرة بزعامة عثمان دان فوديو [٥٣] .

ثم تقابلنا بعد ذلك مجموعة الشعوب السنغالية وتشمل الولوف Wolof والسرير Sérére ، والتكرور [٥٤] Toucoulor . ويعيش الولوف والسرير فى المنطقة الساحلية بين سانت

---

(٤٥) Spitz, G. : op. cit., P. 33.

(٤٦) انظر شكل (٢) - (٣) - (٤) .

(٤٧) Seligman, C. : **Races of Africa**, (London 1959), p. 48.

(٤٨) انظر شكل (٤) - (٥) .

(٤٩) Deschamps, Hubert : **Peuples et Nations Dòutremer (Afrique-Islam-Asie du Sud)**, (Paris 1954), P. 150.

(٥٠) انظر شكل (٤) .

(٥١) توماس ، ارنولد : الدعوة إلى الاسلام ترجمة جسن ابراهيم حسن (القاهرة ١٩٧٠) ، ص ٢٥٧ .

(٥٢) بوفيل أى : الممالك الاسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ترجمة زاهر رياض ، (القاهرة ١٩٦٨) ص ٢٩٠ .

(٥٣) Guy, C. : op. cit., P. 50.

(٥٤) انظر شكل (٣) - (٤) - (٨) .

لويس والرأس الأخضر ويعتبر الولوف من أكثر السلالات سوادا فى اللون ومعظم
مسلمون [55] .

أما السرير فيعيشون بين نهرى غمبيا وسالوم وجنوب الرأس الأخضر، وهم يجاورو
التكرور ويكونون مع الولوف جزءاً من امبراطورية التكرور [56] ولكن يختلف السرير ع
التكرور والولوف فى أنهم يعتنقون المسيحية وليس الإسلام والبعض منهم بقى على وثني
حتى العصر الحديث ولكن الطبقة الحاكمة وطبقة المحاربين اعتنقت الإسلام حديثا [57] .

أما التكرور فيسكنون أعالى السنغال وأواسط النيجر، وكانوا أسبق الشعوب للإسل
وحرفتهم الرئيسية الزراعة . وهم على جانب كبير من الذكاء والشجاعة ، وقد لعبوا دو
كبيراً فى مقاومة الغزو الفرنسى للمنطقة وكون منهم الحاج عمر امبراطوريته الكبيرة الت
امتدت من أعالى السنغال حتى أعالى النيجر [58] . ويمتاز التكرور عن غيرهم بأنهم نشر
الإسلام وهم خليط من الزنوج يضم الفولة وقلة من المغاربة وموطنهم الرئيسى فى فو
السنغالية وقد استقر البعض منهم فى السنغال الأعلى ونيورو وسيجو على النيجر [59] .

وقد حرص العرب على إطلاق اسم التكرور على جميع بلاد السودان التى دخلها الإسل
وهى الممتدة من المحيط الأطلنطى حتى حدود وادى النيل وأصبحت كلمة تكرورى مراد
لكلمة سودانى ، وقد تبعهم المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية ومن أجل ذلك ظل
المصورات الجغرافية الأوربية مدة طويلة تطلق لفظ تكرورى على السودان الغربى أو الج
الجنوبى من الصحراء الكبرى [60] .

وفى منطقة الكازامانس وغينيا نجد مجموعات مختلفة من السكان ، فنجد الديو
Dioula والبالنت Balantes والصوصو ، وهم من أصول زنجية يعيشون فى السهول وحو
هضبة فوتا جالون [61] .

---

(٥٥) ...ligman, C. : op. cit., P. 48.

(٥٦) محمد ، عوض : السلالات والشعوب الافريقية ، (القاهرة ١٩٦٥) ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٥٧) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ، ص ١٠٢ .

(٥٨) ...pitz, G. : op. cit., P. 34.

(٥٩) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ، ص ١٠٣ .

(٦٠) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخامس بدون سنة طبع ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٦١) ...eschamps, H. : op. cit., P; 149.

وإذا انتقلنا إلى المنطقة الواقعة بين المحيط الأطلنطى غربا حتى منحنى النيجر شرقا يقابلنا الماندنجو[٦٢] وقد كون منهم ساموري توري إمبراطورية كبيرو امتدت فى أعالى النيجر[٦٣] .

ومن أهم شعوب هذه المنطقة البمبارا الذين خضعوا لسلاطين مالى ثم ظفروا باستقلالهم فى القرن السابع عشر واستقلوا تماما عن باشوات تمبكتو والمراكشيين وأخذوا يتوسعون فى القرت الثامن عشر فاندفعوا نحو الشمال الغربى وأسسوا أمارة كارته[٦٤] على النيجر والتى احتفظت باستقلالها طوال القرن الثامن عشر[٦٥] ويلاحظ بأن البمبارا تمسكوا بوثنيتهم وكونوا ممالك وثنية فى المنطقة الواقعة عند المجرى الأعلى لنهر السنغال من ميدين Medine[٦٦] حتى باقولابى Bafoulabé[٦٧] وعند نهر النيجر من باماكو حتى سانسندنج Sansanding[٦٨] ، وكثيراً منهم يعيش فى مستعمرات فى ماسينا وقد عرفوا بعدائهم الشديد للمسلمين وقد ظلت ممالكهم قائمة على نهر النيجر حتى قضى عليها الحاج عمر[٦٩] .

وإذا انتقلنا إلى قبائل فولتا الشمالية نجد أن هذه القبائل ليس اديها أى استعداد لقبول الإسلام ولم يتأثروا به على الرغم من إتصالهم بالمسلمين منذ قرون عديدة ويعيش بين قبائل فولتا شعب الموسى[٧٠] الوثنى[٧١] .

وفى ساحل غينيا بين أبيدجان والكاميرون نجد فى الغرب قبائل الأشانتى[٧٢] التى تعيش فى الأراضى الداخلية لساحل الذهب (غانا) وقبائل الفانتى التى تسكن فى المنطقة

---

(٦٢) انظر شكل (٣) .

(٦٣) Spitz, G. : op. cit., P. 35.

(٦٤) انظر شكل (٤) – (٥) .

(٦٥) حسن ، محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، (القاهرة ١٩٦٣) ، ص ٢٨٣ .

(٦٦) انظر شكل (١) – (٤) – (٥) – (٨) .

(٦٧) انظر شكل (١) – (٥) – (٨)

(٦٨) انظر شكل (٥) .

(٦٩) دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الرابع ، ص ١٧٩ .

(٧٠) انظر شكل (٤) – (٥) – (٦) – (١٢) .

(٧١) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ، ص ١٠٤ .

(٧٢) انظر شكل (٣) – (٤) .

الساحلية من الساحل أما فى شرق ساحل الذهب وجنوب توجو فتعيش جماعة إيو Ewé أ
الفون Fon فيتركزون فى جنوب داهومى [٧٣] .

وإذا اخترقنا حدود نيجيريا الغربية فأول ما يصادفنا هو شعب اليوروبا Yorouba [٧٤]
ويقطن غرب مصب النيجر وهو شعب من طليعة الشعوب الإفريقية وأكثرها تقدما [٧٥]
ويتكون اليوروبا من الوافدين من البربر الذين اختلطوا بالسكان الأصليين ودخلوا ف
الإسلام [٧٦] .

أما فى المنطقة الواقعة فى إقليم رأس النخيل Cape des Palmes فى ليبيريا وفى غر
ساحل العاج فهى منطقة غابات كثيفة وتعيش فيها جماعات الكرو Krou [٧٧] .

وأخيراً بعد أن استعرضنا أهم السلالات فى غرب أفريقيا فينبغى لنا أن نشير بأنه م
الناحية السياسية ضمت المنطقة التى نتحدث عنها ماعرف باسم اتحاد أفريقيا الغربية الفرنس
A. O. F. وتقدر مساحة غرب أفريقيا بنحو ٢,٤ مليون ميل مربع وتمثل أملاك فرنسا ف
المنطقة نحو ٣/٤ مساحة هذا الإقليم وتبدو هذه الأملاك متصلة أو شبه متصلة [٧٨] وقد كا
لفرنسا نصيب الأسد فى المنطقة ولكنها واجهت منافسة شديدة من قبل بريطانيا انته
بتركيز الوجود البريطانى فى المناطق الساحلية التى شكلت مايشبه الخلجان المتوغلة ف
داخل الرقعة التى اكتسحها الإستعمار الفرنسى [٧٩] .

---

(٧٣) eschamps, H. : op. cit., P. 151.

(٧٤) انظر شكل (٢) - (١٠) - (١٦) .

(٧٥) ligman, C. : op. cit., P. 52.

(٧٦) أحمد شلبى :موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية جنو صحراء أفريقيا) (القاهرة ١٩٧٢) ، جـ٢ ، ص١٣٢ .

(٧٧) eschamps, H., : op. cit., P. 152.

(٧٨) جمال الدين ، الدناصورى : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ .

(٧٩) صلاح ، صبرى : أفريقيا وراء الصحراء ، (القاهرة ١٩٦٠) ، ص١٥٧ .

٢ - التيارات المذهبية والممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا حتى منتصف القرن ١٩ :

الطرق الصوفية :

يرتبط معظم السودانيين فى غرب أفريقيا برجال الدين بواسطة إحدى الطريقتين القادرية أو التيجانية ، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين ، ولاسيما التيجانية عظيما فى أثناء القرن التاسع عشر ولايمكن تفهم انتشار الدعوة الإسلامية على حقيقتها تماما ، كذلك المنافسات الداخلية ضمن المجموعات الإسلامية دون النظر إلى إرتباط الزعماء المسلمين بإحدى الطرق الدينية لأن النفوذ السياسى لإحدهما كان يرتبط إلى حد كبير بمدى الزعامة الدينية التى يتمتعون بها .

ويقول بعض الباحثين لم تكن الطرق الدينية وحدها قبل القرن ١٩ ، العامل الأوحد فى نشر الإسلام بغربى أفريقيا ، ولكن سرعان ماكان الإلتحاق بإحدى الطريقتين القادرية أو التيجانية سببا لاعتناق الإسلام وأصبح كل مسلم يتبع واحدة من الطريقتين [٨٠] .

وقد أعتنق الزعماء الأفارقة إحدى الطريقتين ، فعثمان دان فوديو اعتنق القادرية ، بينما الحاج عمر اعتنق التيجانية ، وأصبح زعيمها الرسمى فى أفريقيا كما لعب السنوسيون دوراً هاماً فى المنطقة وقد انتشرت كل من القادرية والتيجانية والسنوسية فى غرب أفريقيا انتشاراً كبيراً . وقد ارتبط بالطريقة القادرية عدد كبير من السكان ومؤسسها هو الشيخ عبد القادر الجيلانى [٨١] .

وقد انتشرت هذه الطريقة فى أفريقيا الغربية فى القرن الخامس عشر ، بواسطة المهاجرين الذين قدموا من توات Tuat وهى واحة فى النصف الغربى من الصحراء ، ثم انتقلوا إلى ولاته Walata ، ثم تمبكتو التى أصبحت مركزاً رئيسياً لهم ، كما انتشرت

---

(٨٠) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص١٠٨ ، ١٠٩ .

(٨١) هو الشيخ عبد القادر الجيلانى من أشهر رجال الصوفية ويعرف بالقطب الجيلانى وهو أحد الأقطاب الأربعة الرفاعى ، الجيلانى ، البدوى ، الدسوقى . ولد بجيلان عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٧ م ، ثم انتقل إلى بغداد ١٩٠٥ م واشتغل بالوعظ والتعليم ثم مال إلى التصوف واتجه إلى الصحراء وقد عرف عنه التسامح الدينى . وقد توفى ببغداد عام ١١٦٦ م .

القادرية فى أرجاء السودان الغربى من السنغال حتى مصب النيجر ، ونهضت مراكز رئيسية لتنظيم دعوة القادرية فى كل من تمبو Timbo [82] وكنكان Kankan [83] وفوتا جالون ، وموسرودو Musrdo ، وفى بلاد الماندنجو ، وكانت هذه المدن تؤلف مراكز دينية وسط شعب وثنى رحب بالقادرية [84] .

وإذا كان الدخول فى الإسلام حالات فردية فى البداية ولكن سرعان ما أصبح حالات جماعية واستعادت القادرية قوتها فى فوتا جالون على يد السيد الكبير التارازى الذى عمل على نشرها فى غمبيا ، وغينيا الفرنسية ، وليبيريا ، وغانا [85] .

ومن أشهر دعاة القادرية محمد بن عبد الكريم التلمسانى ، الذى اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء ، وبلاد الهوسا ، وقد تسلم لواء القادرية فيما بعد عثمان دان فوريو [86] .

أما الطريقة التيجانية فتنسب إلى أبى العباس أحمد بن محمد بن مختار بن سالم التيجانى [87] الذى استقر فى فارس ، وقد علا شأن هذه الطريقة بعد وفاة التيجانى ، فقام أولاده محمد الكبير ومحمد الصغير بنقل مركز الدعوة من فاس إلى مسقط رأسه قرية عين ماضى . وتتلخص مبادىء التيجانية فى ضرورة استخدام القوة والسيف فى محاربة الوثنيين ولهذا اختلفت عن القادرية التى عرفت بالتسامح [88] كما تميزت التيجانية بتزمتها الشديد ومناهضتها للطرق الصوفية الأخرى ، وقد انتشرت فى القرن التاسع عشر انتشاراً واسعاً بفضل اعتناق الحاج عمر لها [89] .

---

(٨٢) انظر شكل (٧) .

(٨٣) انظر شكل (١) - (٤) - (٥) - (٧) .

(٨٤) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الإسلام) ، ص١١٠ .

(٨٥) المرجع السابق .

(٨٦) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص٢١٣ .

(٨٧) ولد التيجانى فى قرية عين ماضى عام ١٧٣٧ وتلقى علومه الدينية فى مسقط رأسه ثم انتقل إلى تلمسان وفى عام ١٧٦٨ وصل إلى مكة ثم أمضى فترة فى القاهرة واستقر فى فاس .

(٨٨) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص٢١٤ .

(٨٩) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الرابع ، جـ٥ ، ص٥٩٣ .

أما عن السنوسية فلم تقترن بأعمال العنف والحرب ولم تستخدم فى خدمة الدين إلا كل وسائل السلام والترغيب ، ففى عام ١٨٣٧ أسس سيدى محمد بن على السنوسى [٩٠] الفقيه الجزائرى فرقة دينية تهدف إلى إصلاح شأن الإسلام ونشر العقيدة ولم يمت السنوسى عام ١٨٥٩ إلا وكان قد نجح فى تأسيس دولة دينية بقوة عبقرية دون أن يريق الدماء [٩١] . ويدين اتباع السنوسية بالطاعة والولاء لمؤسس الدولة ولخلفائه الذين وسعوا حدودها ، وقد حرم ، اتباع هذه الطريقة التضرع بالأولياء وزيارة قبورهم تحريماً تماماً ، كذلك أوجبوا على أنفسهم الإمتناع عن شرب القهوة والتدخين ، وتجنبوا كل اتصال باليهود والمسيحيين والإسهام بنصيب معين من دخلهم يضاف إلى أموال الجماعة ، كما أوجبوا على أنفسهم أن يقفوا كل نشاطهم على تقدم الإسلام [٩٢] .

وتنتشر هذه الطريقة فى غرب الدلتا من مصر إلى مراكش ، كما تمتد إلى الواحات والصحراء الكبرى والسودان ، ولم يقتصر امتدادها على أفريقيا الشمالية من مصر إلى مراكش وإنما امتدت إلى السودان وسنغمبيا والصومال [٩٣] كما انتشرت زاويا السنوسى فى الطريق المؤدى إلى تشاد ، ووادای ، وباجرمى ، وبورجو وامتدت هذه الزاويا حتى نهر بنوى ، كذلك فى جات ، وتوات ، وزندر [٩٤] .

وبالإضافة إلى الطرق الثلاث السابقة توجد بعض الطرق الأخرى وإن كانت أقل انتشاراً ، واقتصرت على مناطق معينة مثل الطريقة الفضلية [٩٥] التى تعتبر فرع من فروع الطريقة القادرية ، اتباعها موزعون فى الصحراء الأسبانية حيث اتباع الشيخ ماء العينين ، كذلك فى شرق موريتانيا [٩٦] .

---

(٩٠) ولد السنوسى بلدة مستغانم بالجزائر عام ١٧٩٨ ثم رحل إلى فاس وألتحق بجامعة القرويين ورحل إلى الأزهر لتلقى العلم ثم سافر إلى الحجاز حيث التقى بكبار المشايخ فاستفاد من علمهم وقد شعر السنوسى بأن أفريقيا أولى بدعوته فغادر الحجاز عام ١٨٤٣ وأنشىء الزاوية البيضاء فى الجبل الأخضر ثم نقل مركز الدعوة إلى جغبوب ١٨٥٦ .

(٩١) توماس ، أرنولد : المرجع السابق ، ص ٣٧١

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٣٧١ .

(٩٣) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (تاريخ الدول) ص ٥٢ .

(٩٤) لوثروب ، ستودارد : حاضر العالم الإسلامى (دار الفكر ١٩٧١) جـ٢ ص٤٠٢ .

(٩٥) تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمد الفضل (١٧٨٠ - ١٨٦٩) وكان زعيما لأهل طالب ومختار وهم من الصنهاجة الذين يعيشون فى منطقة الحوض وهم أصلا من البربر .

(٩٦) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الإسلام) ص١١٢ .

وقبل أن نختم الحديث عن الطرق الصوفية وأثرها فى غرب أفريقيا ، ينبغى لنا أن نشير إلى ظهور بعض الآراء التى أيدت تأثر بعض جهات غرب أفريقيا بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب . ولعل أهم من تأثر بها من الزعماء الأفارقة عثمان دان فوديو زعيم الفولانى ، وقد انتقلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [٩٧] عن طريق الحج إلى أفريقيا فقد كان لإلتقاء حملة الدعوة بإخوانهم الحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية ، دوره الرئيسى فى انتشار الدعوة . كذلك دخول الحجاز تحت لواء الدولة السعودية الأولى فى العقدين الثانى والثالث من القرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من جميع البلاد الإسلامية للتعرف على حقيقة الدعوة فانتقلت هذه المبادىء إلى السودان وليبيا فى أفريقيا وكان هدف الدعاة محاربة البدع والخرافات والفساد وإقامة حكومات إسلامية على أساس دينى [٩٨] .

وقد دلل البعض على مدى تأثر عثمان دان فوديو بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، على أساس أنه أكثر الزعماء الأفارقة تأثراً بهذه الدعوة ، وأولهم تأثراً بها ، ونظراً لأهميته فى المنطقة فقد حذا حذوه الكثير من الزعماء ، على اعتبار أنه أول من حاول تطبيقها فى غرب أفريقيا . وقد ساق مؤيدو هذا الرأى عدة أدلة على ذلك :

١ – محاولة عثمان دان فويو تثبيت التوحيد الخالص بمحاربة كل مايؤدى إلى الشرك كالاعتقاد فى قدسية بعض الأرواح ، أو الأشجار ، أو الأحجار ، وتقديم القرابين إلى الجن ، والتبرك بالقبور .

٢ – رجوعه إلى القرآن والسنة ومحاربته للبدع المعروف عن الوهابيين تشددهم ضد البدع .

٣ – اتخاذ الجهاد وسيلة لنشر دعوته بين الوثنيين وبين المسلمين ، الذين حاد إسلامهم عن الطريق الصحيح مما أدى إلى قيام دولة كبيرة فى غرب أفريقيا .

---

(٩٧) ولد محمد بن عبد الوهاب فى العينية بنجد عام ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م – وكان والده من كبار العلماء درس الفقه الحنبلى – وتأثر بمؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . وله مؤلفات عدة فى فروع الشريعة وقد دعى اتباعه إلى الجهاد ومحاربة كل مايتعارض مع العقيدة الإسلامية تحالف مع الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ – ١٨١٨) .

(٩٨) عبد الله ، الشبل : محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته (الرياض ١٣٩٩) ، ص٦٧ .

٤ - عمل عثمان على وضع الأساس الإسلامى للإدارة فى دولته الكبيرة ، وهو الأساس الذى استمر حتى نهاية الدولة على يد الإنجليز ، ونعنى به إحياء نظام الحسبة والقضاء الإسلامى وغيرها وهو نفس النظام الذى أخذت به الدولة السعودية الأولى [٩٩] .

وفى الواقع اختلف الباحثون فى مدى تأثر عثمان دان فوديو بمبادىء الدعوة الوهابية فأكد لوثروب ستودارد فى كتابه حاضر العالم الإسلامى إلتقاء عثمان بالوهابيين فى موسم الحج ، وأوضح مدى تأثره بهم وكذلك توماس أرنولد فى كتابه الدعوة إلى الإسلام ، أكد تأثر عثمان بالوهابيين أثناء زيارته فى مكة كما أكد هذا التأثر حسن إبراهيم حسن ، فى كتابة إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء ولكن هذا لايمنع من وجود آراء معارضة مثل همفرى فيشر Humphrey Fisher وموراى لاست Murray Last ، اللذين أنكرا هذا التأثير ، بل حاول لاست طمس ذهاب عثمان إلى مكة أساسا ، فى حين يعترف فيشر بأن جبريل أستاذ عثمان دان فوديو ذهب إلى مكة لأداء الفريضة مرتين وتأثر بمبادىء الوهابيين ، فإذا كان قد اعترف بتأثر جبريل أستاذ عثمان بالوهابية فما الذى يمنع من تأثر عثمان نفسه . والرأى المرجح أن عثمان تأثر بالدعوة أثناء فترة إقامته فى مكة وذلك لأنه خلال هذه الفترة كانت الدعوة الوهابية نشطة فى الحجاز حتى قبل سقوط الحجاز فى يد الدولة السعودية الأولى ١٨٠٥ ، وقد أكد شقيق عثمان عبد الله بن محمد ، فى كتابه « تزيين الورقات » بأن عثمان ذهب إلى الحجاز وعمل بعد عودته على محاربة البدع والعادات المخالفة للشرع [١٠٠] .

فكرة الجهـاد :

يعتبر القرن التاسع عشر مجالا خصبا للدراسات التاريخية المتعلقة بغرب أفريقيا ، ففيه ظهرت فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتطورت تطوراً كبيراً ، ولم تعد هذه الحركة قاصرة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين وإنما أصبح هدف روادها التصدى للأطماع الأوربية الإستعمارية . وفى القرن التاسع عشر نمت التجارة فى أفريقيا وتطورت تطوراً كبيراً وازداد الاتصال بالقارة الأوربية ، وحلت التجارة الشرعية Legitimate Trade محل تجارة الرقيق

---

(٩٩) محمد كمال جمعه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية ، (دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٩٨١) ، ص١١٤ .

(١٠٠) محمد كمال جمعه : المرجع السابق ، ص١١٣ .

Slave Trade كما شهد القرن التاسع عشر تأسيس ممالك إسلامية كبيرة ، مثل إمبراطورية الفولانى والتكرور ، وإمبراطورية ساموري العسكرية ، وإمبراطورية الساراكولى . وفيه أيضا تم تقسيم القارة الأفريقية بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ بين الدول الأوربية مما ترتب عليه نشوب صراع عنيف بين الدول الغازية والزعامات الوطنية الأفريقية [١٠١] .

على أن أهم ما يميز القرن التاسع عشر هو ظهور فكرة الجهاد لنشر الإسلام ، وتصحيح العقيدة الإسلامية التى اختلطت فى كثير من المناطق بالطقوس الوثنية . وقد امتدت هذه الفكرة فى أماكن متعددة وفى أوقات مختلفة [١٠٢] . وكانت الفكرة الأساسية لدى روادها هى إنشاء حكومات إسلامية تحكم المسلمين فى غرب أفريقيا وتعمل على نشر الدين الإسلامى [١٠٣] .

ويمكن تلخيص أسباب ظهور ونمو فكرة الجهاد إلى عدة أسباب منها :

١ – اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية فانتشرت عبادة الموتى وتقديسهم حتى بين المسلمين فى كثير من مناطق غرب أفريقيا .

٢ – تلقى بعض الزعماء الأفارقة لتعليمهم الدينالأزهر الشريف مما كان له أثر كبير عليهم ، فعادوا إلى بلادهم وكلهم حماس لنشر الدين الإسلامى وتصحيح العقيدة الإسلامية [١٠٤] . فمنذ تأسيس الأزهر فى العصر الفاطمى ، وهو يقوم بدوره فى خدمة الإسلام فقد أصبح الجامعة الإسلامية الأولى التى تطلعت إليها الأنظار من مختلف الأقطار ووفد عليه الوفود من كل صوب وخرجت أفواج العلماء والمدرسين فى كل اتجاه ، ومن الطبيعى أن ينال السودان والبلاد المجاورة له مزيداً من الفكر الذى ينشره الأزهر فالأزهر لم يقف عند البلاد المتاخمة لمصر بل تخطاها إلى مراكز مختلفة بأفريقية فقد انتشر عن طريق النوبة إلى إقليم دارفور وكردفان ، ودخل مملكة كانم المتصلة ببحيرة تشاد بل تخطى تشاد إلى بلاد الهوسا . كما وفد العديد

---

(١٠١) Gann, L., H. : Colonialism in Africa (1870–1960) (Cambridge 1969), Vol.I, P. 199.

(١٠٢) The Cambridge History of Africa (From 1790 to 1870), (Great Britain 1976), Vol. 5, PP. 125–129.

(١٠٣) Ajayi, J. F. A. : History of West Africa (Great Britain 1974), Vol II, P. 25.

(١٠٤) Cambridge History of Africa : op. cit., vol.,5, P. 126.

من علماء الأزهر إلى تمبكتو للتدريس ، وظل الأزهر مفتوحا لعدة قرون للمسلمين من غرب أفريقيا ومن كل مكان ، فتدفق الأفارقة عليه للتعليم ، وقد غرس الأزهر فى نفوس الوافدين إليه ألوانا من المعارف والإتجاهات القومية وكان الأزهر يعد القادة ليتولوا مراكز القيادة ، وكانت مصر طريقا للحجاج الوافدين من غرب أفريقيا ، وطالما انتهز هؤلاء فرصة الحج ليحطوا رحالهم فى مصر فترة طويلة يتعرفون فيها على الحضارة الإسلامية (١٠٥) .

٣ - انتشار المراكز الإسلامية فى السودان الغربى ، مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد وانتشارها ومن أهم هذه المراكز سوكوتو وحمد الله .

٤ - انتشار الطرق الصوفية ، مثل القادرية ، والتيجانية ، والسنوسية وقد حرص اتباع هذه الطرق على نشر الإسلام بين الوثنيين ، ثم نادوا بعد ذلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوربى للمنطقة أى أن فكرة الجهاد نفسها تطورت فبعد أن كانت ضد الوثنيين شملت الأوربيين أيضا (١٠٦)

٥ - أدى قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج إلى تأثرهم بالدعوة الوهابية التى نادى أتباعها بالجهاد لإصلاح أحوال المسلمين والقضاء على كل ما يتعارض مع مبادىء الإسلام من البدع والخرافات (١٠٧) . وقد مثلت هذه الفريضة أهمية كبيرة لدى مسلمى غرب أفريقيا وأدرك الفرنسيون خطورتها فذكر الحاكم العام بونتى (١٠٨) بأن هذه الفريضة تحدث تشويشا فى أذهان الأفارقة وتبدل نفقسهم لإلتقائهم بإخوانهم المسلمين فتقوى فيهم روح التضامن الإسلامى والثورة ضد الفرنسيين .

٦ - ويلاحظ أن دعوة الجهاد لم تقتصر على منطقة معينة ، بل امتدت فى كل الغرب الإفريقى ، ونتج عن انتشارها ثورة عميقة ، شملت جميع جوانب الحياة السياسية ، والثقافية والدينية (١٠٩) .

---

(١٠٥) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، جـ٦ ، ص١٧٧ ، ١٨٠ .

(١٠٦) Cambridge History of Africa : op. cit., vol. 5,p.126

(١٠٧) Ibid., P. 126.

(١٠٨) حاكم أفريقيا العربية الفرنسية .

(١٠٩) لو ثروب ، ستودارد : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٣١٩ .

وترجع أهمية فكرة الجهاد ، إلى نجاح المسلمين فى محاربة الاستعمار الأوربى ، فقد تطورت هذه الفكرة ، كما سبق أن ذكرنا – وخاصة فى المناطق التى سيطرت عليها فرنسا ، فظهرت بشكل أوضح ولكن ليس معنى ذلك أن فكرة الجهاد ضد الوثنيين لم تكن موجودة من قبل فى غرب أفريقيا ، ولكنها فى القرن التاسع عشر ، تطورت تطوراً كبيراً ، وكان من أهم رواد هذه الفكرة عثمان دان فوديو ، وسرعان ماانتقلت من أراضى الهوسا إلى الغرب فشملت السنغال وفوتا جالون وأعالى النيجر ، فأدى ذلك إلى اصطدام روادها بالزحف الفرنسى على المنطقة ، فقد اعتبر المسلمون أن محاربة القوات الأوروبية المسيحية هو نوع من الجهاد فى سبيل الله ولذلك اعتبروا الأوربيين أعداء لهم (١١٠) . وربما كان لزعماء الممالك الإسلامية أطماع سياسية ورغبة فى المحافظة على دولهم ، إلا أنهم نجحوا فى إثارة الشعور الدينى لدى الأفارقة من الغزو الجديد ، ولذلك لم يكن من السهل على الأوربيين اجتياح الغرب الأفريقى ، ففرنسا على سبيل المثال والتى كان لها نصيب الأسد فى مستعمرات غرب أفريقيا ، واجهت مقاومة عنيفة فى كل منطقة تقدمت فيها بقواتها العسكرية ، والدليل على ذلك أن القواد العسكريين الفرنسيين ، اعتبروا أن الإسلام والممالك الإسلامية العقبةً الوحيدة أمام تقدمهم فى المنطقة ، ونستدل على ذلك مما كتبه فيدهرب Faidherbe حاكم السنغال عن معاركه ضد مسلمى التكرور التابعي ل ا مولله بقوله : « أنهم يندفعون نحونا كما لو كانوا يريدون الاستشهاد » (١١١) .

وهكذا مثلت القوة العسكرية الإسلامية أكبر عقبة أمام التقدم الأوروبى وكان مجرد إعلان زعيم من الوطنيين الجهاد ، أو الحرب ، معناه تكتيل الجهود واجتذاب العديد من السكان حوله ولذلك كان من المتعذر على قادة هذه الحركة التعاون مع الأوربيين أو تقبل السيادة الأوروبية ، لأنه كان من المحتم عليهم المحافظة على استقلالهم السياسى وحماية عقيدتهم . وأخيرا ينبغى الإشارة ، بأن هذه الفكرة لم تكن وليدة القرن التاسع عشر ، وإنما ظهرت قبل ذلك ولكن ترجع أهمية ظهورها فى هذا القرن إنها نمت فى الوقت الذى تطلعت فيه الدول الأوربية لغزو المنطقة ولذلك أصبح لها طابع جماعى بحيث أننا نجد أن كل زعيم وطنى كان يحذو حذو غيره فى إعلان الجهاد (١١٢) .

---

(١١٠) Ajayi, J., F.A. : op. cit., Vol.II, p. 57.

(١١١) Forstner, Kanya :**The Conquest of the Western Sudan,** (Cambridge 1969), P. 37.

(١١٢) Crowder, Michael : **West Africa resistance** (London 1973), P. 53.

ممالك غرب أفريقيا :

لقد تعاقبت الامبراطوريات والممالك فى السودان الغربى منذ فترة طويلة فظهرت امبراطورية غانا [١١٣] القوية ، والتى أعقبها امبراطورية مالى [١١٤] ، ثم امبراطورية السنغالى [١١٥] ، التى استمرت حتى أواخر القرن الخامس عشر ، وانتهت على يد المغاربة ١٥٩١ ، الذين قادوا حملة ناجحة عبر الصحراء واستولوا فيها على تمبكتو وغيرها من المدن الهامة . ولما ضعفت الإدارة المغربية ، ولم يعد لقادة باشوات تمبكتو نفوذ سوى على تمبكتو فقط ، اضطروا فى كثير من الأحيان إلى دفع الجزية لملوك سيجو الوثنيين [١١٦] .

وكان القضاء على امبراطورية السنغاى بداية لانتهاء قيام امبراطوريات كبيرة فقامت بعد ذلك ممالك صغيرة الحجم ، وشهدت المنطقة قيام ممالك البمبارا الوثنيين فى كل من سيجو ، وكارته ، واستمر الوضع كذلك حتى القرن التاسع عشر الذى شهد من جديد امبراطوريات كبيرة على غرار تلك التى ظهرت فى العصور الوسطى من حيث كبر حجمها ومساحتها [١١٧] فظهرت دولة الفولانى ، فى شمال نيجيريا التى أسسها عثمان دان فوديو ، كذلك امبراطورية التكرور ، التى أسسها الحاج عمر ، واستمر ابنه أحمدو شيخو فى إدارتها بعد وفاته ، ومملكة الماندنجو التى كونها ساموري تورى فى أعمال النيجر ، ثم انتقل بها إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج وعندما ضيق عليه الفرنسيون الخناق [١١٨] .

كذلك قويت الممالك الوثنية فى القرن التاسع عشر فى ساحل غينيا ، وعلى الأخص مملكة داهومى ، ولو أن هذه المملكة أسست منذ القرن السابع عشر إلا أنها لم تقو ويصبح لها كيان سياسى ودور بارز فى المنطقة إلا فى القرن التاسع عشر [١١٩] .

---

(١١٣) ظهرت عام ٣٦٠ – ١٢٤٠ امتدت من نهر النيجر إلى ساحل المحيط الأطلنطى غربا وشمالا عند حافة الصحراء .

(١١٤) قامت على انقاض مملكة غانا من ١٢٣٨ – ١٤٨٨ .

(١١٥) استمرت ١٤٦٤ – ١٥٩١ امتدت فى منطقة النيجر الأوسط .

(١١٦) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(١١٧) African Studies Review.
The Empires of Western Sudan (A Political analysis), By Horeya Megahed. 1972. V.I P. 24.

(١١٨) Growder, M. : op. cit. p. 144.

(١١٩) Crowder, M. :op. cit., p. 144.

وقبل أن نبدأ فى الحديث عن ممالك غرب أفريقيا ، ينبغى لنا أن نشير أولا إلى السمات الرئيسية لزعماء وقادة هذه الممالك سواء فى الممالك الإسلامية أو الوثنية يمكن إيجازها فيما يلى :

١ - كون كل زعيم مملكة من أتباعه أو من عشيرته ، التى ينتمى إليها ، فعثمان دان فوديو وحد الفولانى فى دولة واحدة ، كذلك الحاج عمر جمع التكرور وجعل لهم كياناً واحداً ، أما الماندنجو فقد كون منهم ساموری دولة واحدة ، ونلاحظ فى الممالك الوثنية أيضا أنها تكونت من جماعات معينة . فمملكة داهومى تكونت من جماعات الفون ، ومملكة الموس تكونت من شعب الموس الوثنى (١٢٠) .

٢ - كان لزعماء الممالك الإسلامية قدرة على تجميع أتباعهم ومعظم هؤلاء الزعماء كانوا يمتلكون قدرة عسكرية مكنتهم من بسط سيطرتهم على جيرانهم فساموری توری زعيم الماندنجو على سبيل المثال لقبه الفرنسيون بونابرت السودان (١٢١) .

٣ - إعلان الزعماء المسلمين الجهاد كان كفيلا بالتفاف الأتباع حولهم ، فقد رأوا فى دعوة الجهاد واجباً دينياً واستبسلوا فى القتال ، سواء ضد الوثنيين لإجبارهم على اعتناق الإسلام ، أو ضد الفرنسيين الذين بدأوا فى غزو المنطقة (١٢٢) .

٤ - قوة شخصية الزعماء وتأثيرهم الكبير على الجماعات التى ينتمون إليها ، وفى الواقع نلمس هذا التأثير أيضا حتى فى مملكة داهومى الوثنية فالملك كانت له السلطة المطلقة ، لا يجرؤ أحد على مناقشته فيها ، وكان الولاء له شخصياً فقط ، فقد اقتنع أهالى داهومى بأن الملك يملك كل شىء حتى أرواحهم كانت ملكا له .

٥ - لعل السمة المشتركة لدى زعماء ممالك غرب أفريقيا هو قدرتهم على رسم الخطط العسكرية . مع التدريب العنيف لجنودهم ، ونلمس ذلك بوضوح لدى جيش السوفا الذى كونه ساموری ، كذلك نلمسه فى مملكة داهومى الوثنية ، حيث لعبت نساء الأمازون دوراً كبيراً فى الجيش الداهومى لمقدرتهن الفائقة فى الدفاع عن البلاد (١٢٣) .

---

(١٢٠) Ibid., p. 144

(١٢١) Sik, Endre : A History of Black Africa, (U. S. A. 1970), Vol. I, p. 314.

(١٢٢) Cambridge History of Adfrica : op. cit., Vol. 5, p. 126.

(١٢٣) M. A. C. : Historie Compléte des Voyages et de Couvertes en Afrique, (Paris 1924) p. 225

٦ - اشترك معظم زعماء غرب أفريقيا فى أنهم جميعاً عمدوا إلى الإتصال بجيرانهم للحصول على الأسلحة المتطورة والحديثة فكلهم لم يقنعوا بما لديهم من أسلحة ومعدات ، وعملوا على تسليح قواتهم ، فساموري اشترى الأسلحة من تجار سيراليون ، والحاج عمر عمل على استقدام الخبراء العسكريين من سانت لويس ، وخاصة أولئك الذين عملوا فى الجيش الفرنسى فاكتسبوا خبرة كبيرة ، حتى فى ساحل غينيا نلاحظ بأن ملوك داهومى ابتاعوا الأسلحة من المستعمرة الألمانية المجاورة لهم فى توجو فاشتروا الأسلحة من التجار الألمان [١٢٤] .

الممالك الإسلامية :

الفولانى :

إذا استعرضنا الوضع السياسى لغرب أفريقيا فى القرن التاسع عشر ، نلاحظ ظهور عدد من الممالك الإسلامية ، قام معظمها على أساس فكرة الجهاد لنشر الإسلام ، ولكن ليس معنى هذا أن كل الممالك التى أسست فى المنطقة كانت تدين بالإسلام ، فلقد وجدت ممالك أخرى فى ساحل غانا ، كانت بعيدة تماما عن الدين الإسلامى واحتفظت بوثنيتها مثل مملكة داهومى ومملكة الموسى فى فولتا العليا .

ولعل أهم الممالك الإسلامية التى ينبغى أن نتحدث عنها هى مملكة الفولانى ، التى تأسست فى القرن التاسع عشر وظلت قائمة لمدة قرن من الزمان فى بلاد الهوسا ، حتى قضى عليها الاستعمار البريطانى . ورغم وقوع مملكة الفولانى فى مناطق نفوذ بريطانيا فى غرب أفريقيا ، إلا أننا رأينا ضرورة الإشارة إليها قبل الحديث عن غيرها من الممالك التى وقعت فى يد فرنسا ، وذلك نظراً للدور الهام الذى لعبه مؤسس الفولانى عثمان دان فوديو فى المنطقة وتأثر باقى مناطق غرب أفريقيا بدعوته بدرجة كبيرة .

---

(١٢٤) Fyee, Chistopher ; A History of Sierra Leone. (Oxford 1962), P. 448.

تقع بلاد الهوسا فى نيجيريا الشمالية ، وكان للهوسا سبع أمارات شهيرة [١٢٥] ، وهى إمارة دورا Daura ، وكانو Kano ، وزازاو Zazaw وزجزج Zegzeg ، وجوبير Gobir ، وكاتسينا Katsina ، وبيرام Biram ، ورانو Rano [١٢٦] .

ولا نستطيع تحديد تاريخ دخول الإسلام فى أراضى الهوسا ، ولكن يرجح أنه دخل البلاد فى القرن الرابع عشر عن طريق تجار الديولا وتجار مالى ولكنه لم ينتشر إلا فى القرن الخامس عشر ، وكان الإسلام فى البداية هو دين الصفوة وطبقة الأدباء وظلت الوثنية هى السائدة ثم اختلطت العقيدة الإسلامية بالوثنية وظل الأمر كذلك حتى ظهور عثمان دان فوديو [١٢٧] .

ولد عثمان فى ماراته Maratta فى جوبير ، بالقرب من سوكوتو عام ١٧٥٤ ، وتوفى فى عام ١٨١٨ ، وقد تلقى تعليما إسلاميا فى اجادس Agadas [١٢٨] فى الصحراء ، ثم اعتنق الطريقة القادرية ، وعمل على ارشاد الناس إلى العقيدة الصحيحة فقد رأى اختلاط الإسلام بالوثنية فى جوبير فصمم على ضرورة الإصلاح [١٢٩] وقد ساعد عثمان دان فوديو فى عودته إلى أنه انتمى إلى الفولانى الذين استقروا فى المنطقة منذ فترة طويلة فكانوا عونا له كما أنه قام بأداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة وتأثر باتباع الدعوة الوهابية ومبادئهم فى محاربة البدع والخرافات فعاد إلى بلاده وهو مصمم على نشر الإسلام والتخلص من البدع التى انتشرت في المنطقة [١٣٠] .

بدأ عثمان فى نشر دعوته وأفكاره منذ عام ١٧٧٤ ، وفى عام ١٧٨٦ بدأ فى إرسال البعثات ، فأرسل بعثة إلى زمفارة كما راسل العديد من قادة الفولانى شارحا لهم أفكاره ، ومنذ عام ١٧٩٥ بدأ أنصار عثمان فى التسلح لتكوين جيش قوى [١٣١] وقد شعر ملك جوبير

---

(١٢٥) انظر شكل (٢) – (٤) .

(١٢٦) بوفيل ، أ . ى : المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .

(١٢٧) The Cambridge History of Africa; op. cit., Vol. 5. P. 132.

(١٢٨) انظر شكل (٢) – (٣) .

(١٢٩) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص ٩٠ .

(١٣٠) عبدالله ، الشبل : المرجع السابق ، ص ٦٩٠ .

(١٣١) Anderson, John: **West Africa, East Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries.** (London 1972), p. 58.

نفاته Nafata بخطورة الموقف بعد تسلح عثمان ولذلك عمل على التصدى لأتباعه وبعد وفاة نفاته خلفه ابنه يونفا Yunfa فاستمر فى عدائه لعثمان وأمره بالرحيل من دجل Degele فأمر عثمان أتباعه بدوره بالهجرة ، وأعلن الجهاد ، وأنه سيهاجر أسوة لهجرة الرسول ، ثم اتجه نحو جودو Gudu ، ونجح فى عام ١٨٠٤ فى إلحاق الهزيمة بجيش يونفه [١٣٢] .

وكانت هزيمة يونفه ، نقطة تحول كبيرة فقد بدأ الهوسا يدركون مدى قوة الفولانى ، وفى عام ١٨٠٥ غزا عثمان كبى Kebbi كما أرسل ابنه محمد بللو إلى زعماء كاتسينا ، ودورا ، وكانو ، وزمفارة ، للتحالف معه فأقسموا له يمين الولاء وفى نفس العام استولى على زاريا [١٣٣] . ورغم تحالف ملوك كاتسينا ودورا وكانو وزمفارة إلا أنهم سرعان ما خشوا على مراكزهم وسلطانهم وخاصة بعد أن تلقب عثمان بلقب أمير المؤمنين وملكا على المسلمين وهو اللقب الذى حمله أسلافه السلاطين الحاكمين لسوكوتو [١٣٤] وقد أعلن هؤلاء الزعماء نقضهم للعهد وانقضوا على أنصار عثمان وقتلوهم فاشتعلت الحرب فى المنطقة وأعلن عثمان استئناف الجهاد وقد أعطى عثمان لكل من يثق به من اتباعه علما دليلا على تبعيته له وأمرهم بتخليص العالم من الكفرة [١٣٥] .

وفى عام ١٨٠٨ استولى عثمان على الكلوة عاصمة جوبير ، فأرسل جيشا بقيادة ابنه محمد بللو نجح فى قتل حاكمها يونفه واحتلال المدينة ، وقد كان لهذا الحادث أثر كبير فقويت شوكة الفولانى وذاع صيتهم [١٣٦] وفى عام ١٨٠٩ سقطت كانو ، وتحرك عثمان نحو سوكوتو ، وبذلك نجح فى الاستيلاء على المراكز الهامة فى أراضى الهوسا ، ثم اتخذ من سوكوتو عاصمة لدولته [١٣٧] وفى عام ١٨١٤ ، امتدت امبراطورية الفولانى حتى نهر بنوى ، وقد نجح عثمان فى اجتذاب جميع طبقات المجتمع حتى انضم إليه العبيد والنساء [١٣٨] .

---

(١٣٢) Ajayi, J. F.: op. cit., Vol. II, PP. 7 – 8.

(١٣٣) Anderson, J.: op. cit., P. 60.

(١٣٤) انظر شكل (٢) – (٣) – (٤) .

(١٣٥) بوفيل : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

(١٣٦) عبدالرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص ٩٢ .

(١٣٧) Anderson, J.: op. cit., P. 60.

(١٣٨) Cambridge History of Africa: op. cit., Vol. 5, P. 14.

بعد الاستيلاء على كلوة عاصمة جوبير ، رأى عثمان ضرورة الاستيلاء على بورنو القوية ، فهاجمها بقواته واستعان أهلها بالزعيم الدينى محمد الأمين الكانمى ، الذى نجح فى طرد الفولانى ، ورغم ذلك ظل الفولانى يغيرون على بورنو ، حتى احتلوا الجزء الغربى منها ولكنهم لم ينجحوا فى السيطرة عليها كلها [١٣٩] .

وقد ظلت بورنو على عدائها مع الفولانى نتيجة لاستيلائهم على بعض أراضيها [١٤٠] واتسمت مناطق الحدود بين بورنو وسوكوتو بالاضطراب الدائم [١٤١] .

قسم عثمان امبراطوريته إلى قسمين ، القسم الشرقى عهد به إلى ابنه محمد بللو ، والقسم الغربى عهد به إلى شقيقه عبدالله ، وشمل القسم الشرقى زمفارة ، وكاتسينا ، وكانو ، ويوشى ، وكانت سوكوتو المركز الرئيسى . أما القسم الغربى ، فشمل نوب Nupe [١٤٢] ، ودندى Dendi ، وبورجو Borgou [١٤٣] ، وايلورين Ilorin والمركز الرئيسى جواندو فى إقليم كبى ، وقد استمر حكم الفولانى لهذه الأجزاء لمدة قرن حتى قضى عليهم الاستعمار البريطانى [١٤٤] .

يمكن تعليل الأسباب التى أدت إلى نجاح عثمان فى بسط نفوذه الدينى والسياسى فى المنطقة لعدة أسباب :

١ - اعتمد عثمان على الفولانى فى تكوين امبراطوريته وقد عين الكثير منهم حكاما للأقاليم المختلفة التى استولى عليها ، كما كون منهم جيشه وقواده .

٢ - اتسمت حكومة عثمان بأنها كانت أكثر أمنا من غيرها من الحكومات السابقة فتوافد عليه الناس وانضموا إليه فكانت حركته حركة شعبية رائعة .

٣ - إعلانه الجهاد ، ونجاحه فى إثارة الحماس الدينى لقواده من أجل نشر الإسلام وتصحيح العقيدة الإسلامية فقاتلت قواته وكلها حماس لتحقيق هدفها الدينى وانتشر الإسلام فى

---

(١٣٩) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص ٩٣ .

(١٤٠) استولى الفولانى على Missan – Katagum – Guidiri

(١٤١) Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, P. 60.

(١٤٢) انظر شكل (٤) .

(١٤٣) انظر شكل (٢) .

(١٤٤) Anderson, J. : OP. cit., P. 62.

شمال نيجيريا وترتب على ذلك أن الحروب قلت بين المدن والأقاليم المختلفة مما أدى بدوره إلى انتعاش التجارة وأصبحت كانو مركزاً هاما من مراكز التجارة [١٤٥] .

٤ - كانت حركة عثمان أشبه بثورة اجتماعية وتغير اجتماعى وثورة فى الإدارة والقضاء والقانون وتعليم النساء ونجح عن طريق القوة العسكرية فى نشر الإسلام والقضاء على الوثنية والتخلص من العادات السيئة [١٤٦] .

٥ - أثرت حركة عثمان دان فوديو تأثيراً كبيراً على الغرب الأفريقى ، وعلى الزعماء الأفارقة ، فسعوا لتقليده وتطلعوا لبناء دول وممالك على غرار مملكة الفولانى فى منتصف القرن التاسع عشر ، فنجح الحاج عمر فى تكوين امبراطورية من التكرور ووجه جهوده لنشر الإسلام بين البمبارا الوثنيين كما ظهر العديد من القادة الذين تطلعوا للقيام بنفس الدور الذى لعبه عثمان فى تكوين ممالك مماثلة [١٤٧] .

وأخيراً تمتاز امبراطورية الفولانى بأن منشئها لم يكن فقط بطلا ، ورجل سياسة بل كان عالما ورجلا من كبار المفكرين المسلمين ، وله مؤلفات [١٤٨] واسعة ، فيها عمق وبحث ودراسة وقد غلبه هذا الإتجاه ، فلم يحفل بالعرش الذى كونه ، ولا بالمجد السياسى الذى أحرزه ، بل ترك هذا لابنه ، ولأخيه ، وعكف هو على البحث والدراسة ووضع قاعدة الفكر السياسى موضع التنفيذ فدان بها أبناؤه من بعده ، وهى أن الملك لمستحقه لا لوارثه وأن الأمر شورى وبالإضافة إلى هذا كان القضاء مستقلا عن السلطة التنفيذية ولم يكن للحكومة تدخل فى أمور القضاء وكان القضاة ينفذون الشريعة الإسلامية ، وقد عرف عن قضاة هذه الامبراطورية الدقة والتبحر فى العلم وفى فهم القوانين الإسلامية . ومن الناحية الاقتصادية كان هناك بيت المال ، وله موارده ومصارفه التى تتبع الفكر الإسلامى فالزكاة على التجارة والحاصلات الزراعية تدفع لبيت المال ، وكانت هناك جزية على غير المسلمين نظير إعفائهم من الخدمة العسكرية ونظير استمتاعهم بالمرافق العامة [١٤٩] .

---

(١٤٥) Ibid., P. 62.

(١٤٦) Cambridge History of Africa; op. cit., Vol. 5, PP. 144–149.

(١٤٧) Deschamps, H. : op. cit., Vol. II, P. 124.

(١٤٨) من أهم مؤلفات عثمان دان فوديو : أصول الولاية – إحياء السنة – بيان البدع – ترغيب العباد – تحبيز المسلمين – الجهاد .

(١٤٩) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

وبعد وفاة عثمان استمرت امبراطوريته قائمة ، إلا أن خلفاءه دخلوا فى صراع مع محمد الكانمى الذى نجح فى إقامة دولة إسلامية فى كانم متخذا من كوكة عاصمة له ، وسيطر على باجرمى ووادای كما تحالف مع حاكم فزان عام ١٨١٨ ووصل بنفوذه حتى غرب بورنو [١٥٠] .

ويرجع سبب العداء بين الكانمى ومحمد بللو بن عثمان ، أن الكانمى لم يعتنق فكرة الجهاد ، كما أنه كان على صلة وثيقة ببعض الدول الوثنية فى المنطقة ولم يحاول إعلان الجهاد ضدها أو محاربتها ، ولكن بعد سلسلة من الحروب اتفق الطرفان على ضرورة تحديد الحدود فيما بينهما [١٥١] .

وإذا كان محمد الكانمى قد رفض اتباع نفس أسلوب عثمان دان فوديو رغم تقارب أراضى كل منهما ، فإن دعوة الجهاد التى أعلنها عثمان امتدت غربا فتأثر بها أحمدو لوبر فى ماسينا التى ضمت جماعات من الفولانى والسوننكة بالإضافة إلى البمبارا الوثنيين .

ولد أحمدو لوبو ١٧٧٥ م ، وقد تلقى تعليماً دينياً فى بلاد الهوسا عام ١٨٠٥ ، وهو ينتمى لعشائر من الفولانى هاجرت إلى المنطقة الواقعة بين السنغال والنيجر ، واستقرت فى ماسنه ، وعندما عاد أحمدو إلى ماسينا تولى الحكم ولقب أمير المؤمنين ، وقد ساعده عثمان دان فوديو فى تولى السلطة وقد استولى أحمدو على جنى [١٥٢] وأسر حكامها ، وفى عام ١٨١٥ أسس عاصمة دولته شرق نهر بانى [١٥٣] وهى حمدالله [١٥٤] ، وقد امتد سلطانه حتى تمبكتو فى الشمال والشرق ، وإلى فولتا السوداء فى الجنوب الشرقى ، وفى الغرب حتى كالا [١٥٥] .

وقد تأثر أحمدو بحركة التجديد التى تزعمها عثمان ، كما أنه سار على نفس نمط الحكم الذى اتبعه عثمان فاقتبس منه النظام الإدارى والعسكرى والدينى فأعلن الجهاد وهاجم الوثنيين ومنع شرب الخمر فى دولته ، كما حكم البلاد بواسطة مجلس مكون من أربعين

---

(١٥٠) Anderson, J. : op. cit., P. 63.

(١٥١) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق (الاسلام) ص ٩٥ .

(١٥٢) انظر شكل (٤) .

(١٥٣) انظر شكل (٤)

(١٥٤) انظر شكل (٥)

(١٥٥) Anderson, J. : op. cit., PP. 65 – 66.

عضواً ، واعتمد فى كثير من الأحيان على قوات عثمان دان فوديو لقيادة معاركه الحربية [156] كما أنه تلقى من أولاد عثمان أربع كتب موضح فيها أساليب الحكم وتنظيم العلاقة بينه وبين حكام الأقاليم وتعليمات خاصة لشئون القضاء وبعض أجزاء من القرآن [157] .

ومن أهم العوامل التى ساعدت أحمدو لوبو فى تقوية دولته :

١ - مساعدة عثمان دان فوديو له ، كذلك أبناء عثمان بعد توليهم الحكم فاستمرت الصلات بين الطرفين قوية ومتينة .

٢ - انتشار الطرق الصوفية وخاصة القادرية التى اعتنقها أحمدو أسوة بعثمان دان فوديو ، وقد أدى ذلك إلى التفاف الفولانى حوله فى ماسينا وتأييده .

٣ - إعلان أحمدو الجهاد ضد الوثنيين أدى إلى علو مكانته بين الفولانى المسلمين الذين اعتبروا هذه الدعوة بمثابة الخلاص لهم من سيطرة البمبارا الوثنيين [158] .

وأخيراً لقد نجح أحمدو لوبو فى تكوين دولة إسلامية فى منطقة النيجر الأوسط ونشر الإسلام والقضاء على حكام سيجو من البمبارا الوثنيين وكون دولة على غرار دولة الفولانى فى أراضى الهوسا [159] ولكن يؤخذ عليه بأنه لم يقنع بأن يكون داعياً عادياً فأدعى الانتساب إلى البيت النبوى ثم ادعى بأنه المهدى وأخذ البيعة لنفسه من المسلمين [160] .

وقد توفى أحمدو لوبو عام ١٨٤٤ وخلفه ابنه أحمدو الثانى الذى توفى عام ١٨٥٢ ، فخلفه ابنه أحمدو الثالث وظلت دولته قائمة حتى منتصف القرن التاسع عشر عندما قضى عليها الحاج عمر الذى استولى على حمدالله وقتل أحمدو عام ١٨٦٢ [161] .

---

(١٥٦) Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, P. 14.

(١٥٧) Hagreaves, J. : **France and West Africa** (Great Britain 1969), PP. 123 – 124.

(١٥٨) The Cambridge History of Africa : op. cit., Vol. 5, p. 153.

(١٥٩) Trimingham, J. Spencer : **A History of Islam in West Africa**, (Great Britain 1962), P. 180.

West Africa, (Great Britain 1962), P. 180.

(١٦٠) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٠ .

(١٦١) Trimingham, J. : op. cit., P. 180.

امبراطورية التكرور :

يعتبر الحاج عمر تل من أشهر زعماء حركة الجهاد بعد عثمان دان فوديو فقد استطاع قبل وفاته بناء امبراطورية كبيرة من التكرور امتدت فى أعالى السنغال والنيجر .

ولد الحاج عمر فى نهاية القرن الثامن عشر فى فوتا تورو (١٦٢) Fouta Toro فى قرية الوار Alwar بالقرب من بودور (١٦٣) Podor عام ١٧٩٧ ، وكان لأسرته نفوذ كبير فى المنطقة (١٦٤) فقد كان والده ويدعى سيدو Seidou من المرابطين فحرص على تلقين ابنه وتعليمه تعليماً دينياً (١٦٥) . وقد أدى الحاج عمر فريضة الحج وأقام بمكة حوالى ثلاث سنوات درس خلالها على يد زعيم الطريقة التيجانية محمد الغالى ، الذى عينه خليفة للتيجانية فى السودان (١٦٦) ثم مر الحاج عمر على القاهرة وزار الأزهر الشريف حيث التقى بكبار العلماء ورجال الدين وعلماء الصوفية ، وعندما عاد إلى السودان تزوج من ابنة السلطان محمد بللو وقضى عدة سنوات فى سوكوتو (١٦٧) .

ولا شك أن رحلات الحاج عمر إلى مكة والقاهرة وسوكوتو قد أفادته كثيراً فزادت ثقافته الدينية وأطلع على شئون العالم الإسلامى ولعل أهم نتيجة لهذه الرحلات هو أنه أصبح زعيماً للتيجانية فى غرب أفريقيا . وقد اتجه عمر بعد عودته من سوكوتو إلى ماسينا ومنها إلى فوتا تورو . وقد عزم على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين فبدأ فى إنشاء مركز له فى دياجوكو Diagouku (١٦٨) بالقرب من تمبو فى فوتا جالون وقد ألتف حوله الأتباع وطلاب العلم وقد اكسبته رحلة الحج إلى مكة هيبة كبيرة فى السودان الغربى فتزايد عدد اتباعه بدرجة ملحوظة (١٦٩) . وقد نجح الحاج عمر فى نشر دعوته للإسلام ومحاربة الوثنيين فى كل من فوتا جالون والسنغال كما بنى المراكز فى بودور وباْقل ودمبورا وكون جيشا من

---

(١٦٢) انظر شكل (٤) .

(١٦٣) انظر شكل (١) – (٤) – (٥) .

(١٦٤) Hagreaves, J. : op. cit., P. 128.

(١٦٥) Mage, E. : **Voyage dans le Soudan Occidental**, (Paris 1877), P. 87.

(١٦٦) Hogben, J. : **An Introduction to the History of Northern Nigeria**, (Ibadan 1967), p. 60.

(١٦٧) The Cambridge History of Islam : op. cit., Vol. 5, P. 155.

(١٦٨) انظر شكل (٥) .

(١٦٩) Crowder, M. : op. cit., P. 56.

التكرور اعتمد فى تسليحه على الأسلحة الحديثة التى حصل عليها من تجار سيراليون وغمبيا كما عمل على استغلال مناجم الذهب فى بوريه [١٧٠] فى أعالى النيجر لشراء ما يلزمه من الأسلحة والإنفاق على جيشه [١٧١] كما حرص الحاج عمر على تزويد جيشه بعناصر لها خبرة عسكرية فاعتمد على بعض من التكرور الذين عملوا لمدة طويلة فى السنغال مع الفرنسيين أمثال سامبا نديه Samba Nàdiaye الذى عمل فى سانت لويس لمدة عشرين عاما مع الفرق الفرنسية ثم أصبح المسئول العسكرى عن جيش التكرور وبفضل خبرته العسكرية حققت قوات الحاج عمر مزيد من الانتصارات [١٧٢] .

وفى عام ١٨٤٩ ترك الحاج عمر دياجوكو واتجه إلى دينجويرى [١٧٣] Dinguiraye التى اتخذها مركزاً له ، وخلال عام ١٨٥٠ نشط فى فوتا جالون وجمع حوله الأتباع من فوتا تورو وغزا بامبوك Bambouk [١٧٤] واستطاع دخول نيورو عاصمة كارته عام ١٨٥٤ [١٧٥] . وقد أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين منذ عام ١٨٥٢ ونجح فى شن عدة حملات عسكرية من مركزه الرئيسى فى دينجوبرى نحو أعالى السنغال [١٧٦] وكان لإعتناقه الطريقة التيجانية أثر كبير فقد كانت هذه الطريقة ترى ضرورة استخدام القوة أو السيف ضد الوثنيين لإجبارهم على الدخول فى الدين الإسلامى واستمر الحاج عمر فى شن غزواته ضد البمبارا فى كل من سيجو وكارته [١٧٧] .

وينبغى لنا أن نذكر بأن الحاج عمر اتجه بغزواته شرقاً نحو النيجر وذلك منذ عام ١٨٥٩ بعرد تزايد النفوذ الفرنسى فى السنغال ففضل تركيز نشاطه بعيداً عنهم فى أعالى النيجر [١٧٨] .

---

(١٧٠) انظر شكل (٦) .
(١٧١) Mage, E. : op. cit., PP. 87 – 91.
(١٧٢) Hagreaves, J. : op. cit., P. 134.
(١٧٣) انظر شكل (٤) – (٦) – (٧) .
(١٧٤) انظر شكل (٥) .
(١٧٥) Trimingham, J. : op. cit., P. 181.
(١٧٦) Curtin, Philip : **African History**, London 1978, P. 385.
(١٧٧) Gann, L., H. : op. cit., Vol. II, P. 148.
(١٧٨) Crowder, M. : op cit., P. 57.

وقد وجه الحاج عمر جهوده فى النيجر ضد البمبارا الوثنيين فى كل من سيجو [١٧٩] وكارته فنجح فى دخول سيجو عام ١٨٦١ ، كما استولى على ماسينا من السلطان أحمدو الثالث حفيد أحمدو لوبو عام ١٨٦٢ ودخل العاصمة حمد الله ، كما فرض الضرائب على حكام تمبكتو وبذلك امتدت سيطرته من ميدين فى السنغال حتى تمبكتو على النيجر [١٨٠] .

كان من الطبيعى ألا يقف البمبارا مكتوفى الأيدى أمام توسع الحاج عمر وامتداد سلطانه صوب النيجر ولذلك تحالفوا مع حكام تمبكتو من الطوارق وتآمروا ضد الحاج عمر ونجحوا فى حصاره فى حمد الله . وقام البمبارا بقطع الطرق الموصلة بين ماسينا وسيجو لمنع وصول أية امدادات إليه فأضطر إلى الإلتجاء إلى إحدى المغارات التى حوصر فيها حيث قتل فى عام ١٨٦٤ [١٨١] .

وقد اختلف جهاد الحاج عمر عن جهاد كل من عثمان دان فوديو فى بلاد الهوسا وأحمدو لوبو فى مسينا فى النقاط التالية :

١ - كانت حركة الجهاد التى أعلنها عمر فى زمن السيطرة الفرنسية مع بداية التغلغل الفرنسى فى غرب أفريقيا . ففى تلك الفترة كان فيدهرب حاكم السنغال يعمل بنشاط لتثبيت النفوذ الفرنسى فى المنطقة مما أدى إلى اصطدامه بالحاج عمر - كما سنرى - ولذلك ينظر إلى حركة الحاج عمر على أنها تعبير عن المقاومة الإفريقية ضد الفرنسيين ، رغم أنه من قبيل الجهاد أيضا ضد الوثنيين ، وضد حكام المسلمين الذين رفضوا الخضوع له مثل حاكم ماسينا [١٨٢] .

٢ - أعلن الحاج عمر الجهاد فى مسقط رأسه فى فوتا تورو مما أتاح له تكوين شعبية كبيرة فألتف حوله عدد كبير من الأنصار [١٨٣] .

---

(١٧٩) انظر شكل (٤) - (٥) .

(١٨٠) Curtin, P. : op. cit., P. 386.

(١٨١) Crowder, M. : op. cit., P. 60

(١٨٢) The Cembridge History of Africa : op. cit., Vol. 5,pp. 156 – 159

(١٨٣) The Cambridge History of Africa : op. cit., Vol. '5, pp. 159

٣ - استخدام الحاج عمر العنف ضد معارضيه وكان لإعتناقه الطريقة التيجانية أثر كبير على سلوكه الحربى ورغم استخدام عثمان دان فوديو ، وأحمدو لوبو القوة لتحقيق أهدافهم إلا أن الحاج عمر كان أكثر عنفا مع معارضيه فلم يتح لهم فرصة الخيار وشن هجمات متكررة وعنيفة ضد الوثنيين والمسلمين على السواء [١٨٤] .

٤ - اعتبر الحاج عمر أتباع الطريقة القادرية أعداء له ، فوجه إليهم الانتقادات واللوم واعتبرهم متهاونين فى شئون دينهم .

٥ - اعتبر أتباع الحاج عمر بأن العناية الإلهية أرسلته لهم لرفع شأنهم فأحاطوا اسمه بكثير من التقديس والتبجيل [١٨٥] .

٦ - نجح الحاج عمر فى تحويل مسلمى غرب أفريقيا إلى اعتناق الطريقة التيجانية فتحول كثير منهم من القادرية إلى التيجانية .

ويعلل لنا جان سوريه كنال Jean Suret Canale ذلك بأن زعماء القادرية اعتبروا أنفسهم طبقة ارستقراطية فأقاموا الحواجز بينهم وبين العامة باستثناء عثمان دان فوديو - بينما نجد أن الحاج عمر تقرب إلى العامة بل إلى العبيد وعين الكثير منهم فى المناصب الهامة فتدرج بعض العبيد فى المناصب حتى وصلوا إلى مناصب القيادة فى الجيش [١٨٦] .

لقد حكم الحاج عمر بواسطة اتباعه من التكرور واعتمد على ولائهم له وطاعتهم ، لقد كان الولاء له شخصيا هو أساس نجاحه فى تحقيق الانتصارات والإنجازات [١٨٧] .

لقد أصيب فيدهرب حاكم السنغال بالدهشة من تأثير الحاج عمر على مسلمى سانت لويس ولذلك عهد إلى بوا المجدد Bou El Moghdad وهو من الأفارقة الذين عملوا فى خدمة حكام السنغال - بكتابة تقرير مفصل عن الحاج عمر [١٨٨] وقد عزا بو المجدد إلتفاف المسلمين حول الحاج عمر بسبب قيامه بأداء فريضة الحج إلى مكة مما أكسبه هيبة كبيرة

---

(١٨٤) Gann, L., H. : op. cit., Vol. II, P. 148.

(١٨٥) Hagreaves, J. : op. cit., P. 123.

(١٨٦) Ajayi, J., F. : op. cit., Vol. II, p.351.

(١٨٧) Hagreaves, J. op. cit., p. 123

(١٨٨) نشر هذا التقرير فى مجلة Revue Maritime et Coloniale فى عام ١٨٦١ .

من الأفارقة كذلك لحفظه القرآن الكريم وإلمامه التام باللغة العربية . ووضح بوالمجدد بأن الوسيلة الوحيدة التى تمكن فرنسا من القضاء على الحاج عمر هى إتاحة الفرصة أمام عدد كبير من مسلمى السنغال لأداء فريضة الحج نظراً لأهميتها وماتكسبه لصاحبها من هيبة وشهرة وبذلك يزداد عدد من يؤدى هذه الفريضة ولاتصبح قاصرة على عدد محدود ،وبذلك تزول هيبة وشهرة الحاج عمر تلك الهيبة التى اكتسبها بسبب حجه إلى مكة [١٨٩] .

وفى الواقع أن رأى بو المجدد فيه جانب من الصواب ففريضة الحج اكسبت صاحبها بالفعل هيبة ومكانة فى غرب أفريقيا ولكن كان من المتعذر تنفيذ ماجاء فى تقرير بوالمجدد فليس من المعقول أو من السهل أن تنظم فرنسا رحلات جماعية للأفارقة للقيام بهذه الفريضة .

وأخيراً بعد وفاة الحاج عمر تولى ابنه أحمدو شيخو [١٩٠] حكم امبراطورية التكرور واستمر يدير شئونها حتى قضى عليه الفرنسيون [١٩١] .

امبراطورية الماندنجو :

كون ساموري توري Samory Touré امبراطورية إسلامية من قبائل الماندنجو التى نجح فى توحيدها تحت زعامته . ولم تذكر لنا المراجع إذا كان ساموري قد اعتنق إحدى الطرق الصوفية التى انتشرت فى غرب أفريقيا ، ولكن من المؤكد أنه كان من ضمن الزعماء الأفارقة الذين أعلنوا الجهاد ضد الوثنيين ثم الفرنسيين بعد ذلك . وقد لعب ساموري دوراً كبيراً فى غرب أفريقيا واصطدم بالفرنسيين ودام الصراع بين الطرفين أكثر من عشرين عاماً نجح ساموري خلالها فى بث الفزع والرعب فى قلوب الفرنسيين حتى أن كثيراً من الكتاب الفرنسيين وصفوه بأنه دموى متعطش للدماء ، فألف ديبوك Duboc كتابه بعنوان Samory le Sanglant بينما وصفه بعض القادة الفرنسيين بأنه من أمهر القواد العسكريين حتى شبهه القائد الفرنسى بيروز Peroz بأنه بونابرت السودان [١٩٢] .

---

(١٨٩) Hagreaves, J. : op. cit., p. 148.

(١٩٠)انظر الفصل الثالث ، الأراضى الواقعة تحت نفوذ أحمدو شيخو .

(١٩١) دائرة المعارف الإسلامية ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(١٩٢) Sik, E. : op. cit., vol. I, p. 314

ولد ساموري فى سانتكورو Sanankoro فى جنوب شرق كنكان فى أعالى حوض نهر ميلو Milo (١٩٣) أحد روافد النيجر. وقد اختلف الباحثون فى تاريخ مولده ولكن من المرجح بأنه يقع بين سنتى ١٨٣٠ أو ١٨٣٥ (١٩٤) . وقد تلقى ساموري فى صباه تعليما دينيا على يد والده لافيا تورى Lafia Touréوأكمل تعليمه الدينى على يد أحد المرابطين . وقد وقعت حادثة لساموري كانت لها أكبر الأثر فى نشأته العسكرية ، فقد حدث أن وقعت والدته فى أسر أحد الزعماء ويدعى سيزيه Sisé عام ١٨٥١ وكان على ساموري لكى يفك أسرها أن يعمل لعدة سنوات فى خدمة جيش سيزيه فقبل ساموري (١٩٥) .

أراد ساموري تكوين امبراطورية كبيرة تضم الماندنجو فى المنطقة الواقعة عند أعالى النيجر ومنابعه ولذلك بدأ فى تنفيذ هدفه منذ عام ١٨٧٢ عندما اتخذ من بيساندوجو Bissandougou (١٩٦) عاصمة لدولته وفى عام ١٨٧٣ تمكن من الاستيلاء على كنكان وبدأ يتطلع لمد نفوذه صوب باماكو وشمال النيجر. وقد أحاط بمملكته التكرور من الشمال الغربى والغرب ، ومملكة كنيدوجو Kenédougou (١٩٧) فى الشرق ومن الجنوب سيراليون وليبريا ، ولم تكن علاقة ساموري حسنة مع جيرانه فأتسمت علاقته بالعداء مع مملكة كيندوجو ، كما أنه لم يحاول التحالف مع التكرور واعتبرهم منافسين له . أما فى الجنوب فقد ارتبط بعلاقة صداقة مع التجار البريطانيين فى كل من سيراليون وليبريا (١٩٨) .

وفى عام ١٨٧٤ تلقب ساموري بلقب فاما Fama أى ملك ولجأ إلى إخضاع القبائل بالقوة وبسط سيطرته على قبائل الماندنجو وكون جيشاً كبيراً منهم كذلك من أسرى حروبه وكان يتولى أسر الأطفال (١٩٩) وتنشئتهم نشأة عسكرية (٢٠٠) ولتدعيم جيشه قام ببيع الرقيق

---

(١٩٣) انظر شكل (٧) .

(١٩٤) Crowder, M. : op. cit., p. 113.

(١٩٥) Labouret, Henri : **L'Afrique Précolonial, (Paris 1959), p. 68.**

(١٩٦) انظر شكل (٥) – (٦) .

(١٩٧) انظر شكل (٦) .

(١٩٨) Anderson, j. : op. cit., p. 69.

(١٩٩)يذكرنا هنا بالجيش الانكشارى زمن الامبراطورية العثمانية .

(٢٠٠) Fage, J. :**An Introduction to the History of West Africa** (Cambridge 1959), p. 58.

إلى التجار الأوربيين فى مقابل إمداده بالأسلحة الحديثة وخصص ساموري مبالغ طائلة لشراء الأسلحة وأنشأ المصانع لتطويرها وصنع قطع الغيار اللازمة لها [٢٠١] .

وفى عام ١٨٨١ نقل ساموري عاصمته من بيساندوجو إلى جبيليبه Gbéleba فى الجنوب وذلك لمحاولة الاستفادة من مناجم بوريه الغنية بالذهب والتى استغلها الحاج عمر من قبل لشراء مايلزمه من الأسلحة ، وركز ساموري نشاطه العسكرى نحو الضفة اليمنى لنهر النيجر تجاه القرى الغنية بالخيول والملح فهاجم القرى الضعيفة واستولى عليها وأسر عدداً كبيراً من أهلها وأجبرهم على العمل فى خدمة جيشه [٢٠٢] .

ويمكن تقسيم دولة ساموري إلى ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى اتسمت ببناء مجتمع جديد ودولة جديدة وذلك قبل عام ١٨٨٤ ، والمرحلة الثانية امتدت من ١٨٨٥ إلى عام ١٨٨٨ واتسمت هذه المرحلة بالصبغة الدينية وإعلان ساموري الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين وفتحه العديد من المدارس لتحفيظ القرآن والتوسع فى إنشاء المساجد ، أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتبدأ من عام ١٨٨٩ حتى ١٨٩٨ وقد اصطبغت بالصبغة العسكرية ، وقد اصطدم ساموري بالفرنسيين طوال المراحل الثلاث ولكن اختلفت حدة هذا الصدام من مرحلة إلى أخرى فقبل عام ١٨٨٤ اقتصرت العلاقة بينه وبين الفرنسيين على مجرد المناوشات العسكرية ولكن بعد عام ١٨٨٤ هاجم ساموري الفرنسيين بعنف [٢٠٣] .

وصف القائد الفرنسى بيروز امبراطورية ساموري وصفا دقيقا فقد التقى بساموري فى عام ١٨٨٧ ، وعقد معه معاهدة وذكر بيروز بأن دولة ساموري انقسمت إلى ١٦٢ إقليما ، احتوى كل إقليم على عشرين قرية تختلف كل منها عن الأخرى من حيث المساحة وقد شملت امبراطوريته العديد من الأسواق مثل سوق الذهب والعاج والماشية ونالت بعض الأسواق شهرة كبيرة مثل سوق كمباى Cambaye ، ونورا Nora ، وكوروسا Kouroussa [٢٠٤] ، وكانت هذه الأسواق مراكز هامة ربطت بعض أجزاء الامبراطورية بسيراليون وفوتا جالون ، كما اشتهرت سنساندنج بأنها سوق كبير للحبوب ، أما كنكان

---

(٢٠١) Crowder, Michael : West Africa Under Colonial rule – (Great Britain 1968), p. 86.

(٢٠٢) Crowder. M. op. cit., Colonial, p. 36.

(٢٠٣) Sik, E. : op. cit., Vol. I, p. 314.

(٢٠٤) انظر شكل (١) – (٦) – (٧) .

فكانت من أشهر المراكز التى حصل منها ساموری على الذهب والعاج ، وذاعت شهرة يساندوجو بأنها من أهم مراكز النسيج والأسلحة وعرفت كنيبا Keniéba بأنها مركز تجارى هام للتجارة مع الفرنسيين فى الملح ، وعرفت كورا بإنتاج الذهب والخيول والأرز والمنسوجات والأسلحة (٢٠٥) .

أما بالنسبة للتنظيم العسكرى فقد اعتمد سامورى على جنود السوفا فكان زعيم كل قرية مسئولا عن الأمن وعليه تزويد الجيش بالمجندين من كل القرى وكانت فترة الخدمة فى الجيش غير محددة فيبقى المجندون فيه حتى يحل محلهم مجندون آخرون وكان على كل حاكم أن يجند جيشا من أبناء المقاطعة التى يحكمها وفى أوقات السلم يعود الجنود الاحتياطيون إلى ديارهم مرة أخرى لمدة ستة أشهر يقومون خلالها بالأعمال الزراعية الشاقة فى الستة أشهر الأخرى يتحتم عليهم الحضور على الأقل مرتين أمام زعيمهم المباشر الذى يقرر حسب احتياج الجيش أما العودة مرة أخرى إلى الجندية أو العودة إلى ديارهم وعلى قرية زراعية مساحة من الحقول تكفى لإطعام الجيش فى أوقات الحرب (٢٠٦) .

قسم سامورى قواته إلى ثلاثة مجموعات المجموعة الأولى ذات البنادق سريعة الطلقات وهدفها محاربة الفرنسيين والتصدى لهم ، والمجموعة الثانية كانت مسئولة عن حراسة وحماية المواطنين ، أن المجموعة الثالثة فكانت مسئولة عن ضم أراضى جديدة تجاه الشرق وكانت هذه المجموعة تعمل على مدى حدود الامبراطورية سنة وراء الأخرى (٢٠٧) .

ومما يسترعى الانتباه فى أسلوب سامورى الحربى أنه كان يلجأ إلى تخريب المدن والقرى التى يهجرها عند تتبع الفرنسيين له فكان لايخلف وراءه سوى الدمار وقد أفاده هذا الأسلوب فأدى إلى طول مقاومته ، تلك المقاومة التى استمرت سنوات عديدة بعد أن قدرها الفرنسيون بعدة أسابيع فقط وقد سخر سامورى قواته العسكرية للقضاء على الوثنيين ومحاربة الفرنسيين وساعده فى ذلك براعة جنوده ومقدرتهم القتالية العالية (٢٠٨) .

---

(٢٠٥) Hagreaves, J. : op. cit., pp. 134 – 136.

(٢٠٦) Ibid., p. 140.

(٢٠٧) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 70.

(٢٠٨) Hanotaux, Gabriel : Histoire des Colonies FranÇaises et de L'expansion de la France dans le monde, (paris 1929), tome IV, p. 204.

أما عن النظام المالى فى امبراطورية الماندنجو فالواقع أنه لم يكن لها نظام مالى محدد فالإمام اعتمد على ثروته الخاصة ، وعلى الهدايا التى يحصل عليها وينفق على الامبراطورية من حصيلة بيع المحصولات الخاصة بأراضيه والحقول المزروعة فى كل قرية أو عن طريق الإتجار بالأسرى وكانت حصيلة إنتاج ذهب واسولو Wassulu [٢٠٩] تستخدم لشراء الأسلحة .

أما عن النظام الدينى فالإمام هو قائد المؤمنين يحرص على بناء المساجد وإرسال الأطفال إلى المدارس بانتظام ، وكان ساموري يشرف بنفسه على الدراسة حتى أنه كان يختبر أولاده شخصيا مرتين فى الأسبوع [٢١٠] .

وجدير بالذكر أننا عند دراستنا لساموري نلاحظ أنه لم يكن له برنامج محدد أو خطة معينة فيما يتعلق بحركة الجهاد التى أعلنها فكل مانلحظه هو حماسه الشديد لنشر الإسلام وبناء المساجد ولذلك اختلفت حركته عن كل من عثمان دان فوديو ، والحاج عمر بالإضافة إلى أنه لم يعتنق أى طريقة صوفية كغيره من الزعماء الأفارقة .

وقبل أن نختم الحديث عن ساموري ينبغى أن نشير بأن امبراطوريته تميزت بأنها كانت متحركة Mobile empire فكان ساموري يتحرك فراراً من التقدم الفرنسى ولذلك كف عن بناء الحصون الكبيرة منذ أن عجز عن التصدى لنيران المدفعية الفرنسية فبعد أن استولى الفرنسيون على بيساندوجو اتجه ساموري نحو الغرب إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج ١٨٩٣ مكونا دولته الثانية الجديدة التى قضى عليها الفرنسيون فى عام ١٨٩٨ [٢١١] .

لقد وصف بيروز امبراطورية ساموري وصفاً دقيقاً فوصف بيساندوجو العاصمة الأولى بالنظافة والإشراق ، كما كتب عن ساموري القائد الفرنسى باراتيه Baratier مؤكداً بأنه من الصعب تدميره ، فقد كان استراتيجياً وسياسياً وقائداً يملك القوة والقدرة على وضع الخطط الحربية [٢١٢] .

---

(٢٠٩) انظر شكل (٤) - (٦) .

(٢١٠) Hogben, J. : op. cit., p. 161 .

(٢١١) Anderson, J. : op. cit., p. 70.

(٢١٢) Forstner, K. : op. cit., P. 218.

يلاحظ مما سبق أن تنظيم امبراطورية الماندنجو من الناحية الحربية وإدارية كان أكثر دقة مما صادفناه فى امبراطورية التكرور، ولعل ذلك هو السبب الذى جعل مقاومة ساموری للفرنسيين أكثر عنفاً إلى جانب الممالك السابقة التى ظهرت فى غرب أفريقيا فى القرن التاسع عشر، فإننا نصادف دولاً إسلامية كان لها تأثير فى المنطقة وإن لم تكن بنفس قوة وتنظيم الممالك السابقة وأقرب مثال لهذه الدول دولة الولوف فى كايور Cayor [٢١٣] . ودولة الساراكولى التى كونها محمدو لامين فى سنغمبيا ، كما ظهر بعض الحكام المسلمين الذين حكموا فى بعض المناطق مثل أئمة فوتا جالون الذين كانوا يلقبون أحيانا كاراماكو Karamako وقد غلب على هؤلاء جميعا الحماس الدينى والرغبة الصادقة فى نشر الإسلام والدفاع عنه ولكن الغزو الفرنسى العسكرى لم يمهل هذه الدولة لتحقيق أهدافها .

كما ينبغى أن نشير إلى وجود إمارات صغيرة لعبت دوراً هاماً فى المنطقة وإن لم يكن لها طابع الدولة ومنها الامارات الموريتانية .

تعتبر موريتانيا همزة الوصل بين العالمين العربى والأفريقى ، وتمثل الصحراء الجزء الأكبر من الأراضى الموريتانية وهى ليست خالية من السكان ، وإنما تقطنها قبائل عديدة ويرجع اسم موريتانيا أصلا إلى الكلمة اليونانية Mauros بمعنى الأسمر واللاتينية Mauritania وجمعها Mauritaniae بمعنى السود ، وقد أطلقت الكلمة على المنطقة بمعنى أرض السود . وقد أسست شنقيط [٢١٤] فى عام ١١٢٣ عندما اتفقت بعض القبائل الموريتانية على بناء عاصمة تكون بمثابة سوق تجارية وأدبية وتم بناؤها فى منطقة ادرار [٢١٥] .

يعتبر القرن السابع عشر الميلادى هو عصر تأسيس الإمارات الموريتانية وقد أسست فيه إمارة الترارزة والبراكنة ثم أسست إمارة ادرار وتجانت والحوض خلال القرن الثامن عشر، ورغم تأسيس تلك الإمارات إلا أنها لم تأخذ شكل دول بالمعنى المعروف وكل ما هنالك أنها تكونت من جماعة من شيوخ القبائل وضعوا نظام قانونى مستمد من الشريعة الإسلامية .

---

(٢١٣) انظر شكل (٥) - (٩) .

(٢١٤) معنى كلمة شنقيط باللهجة البربرية (عيون الخيل) ولعل ذلك ما يرجح بأنها كانت رباطا للجيوش التى تتقدم من الشمال لفتح السودان أو أنها كانت محطة للقوافل التجارية التى كانت تجوب الصحراء .

(٢١٥) صلاح العقاد وآخرون · الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، (معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٨) ، ص ٣ .

ولعل أشهر أمراء الترارزة محمد الحبيب ١٨٢٧ - ١٨٦٠ لأن اسمه اقترن بمقاومة التدخل الفرنسى ، وقد امتدت هذه الإمارة فشملت الأراضى التى وجدت فيها المنشآت الأورروبية من برتغالية وهولندية وأسبانيا وفرنسية ابتداء من أرجوين حتى السنغال . أما إمارة البراكنة فقد امتدت من تجانت حتى المحيط الأطلنطى وكان يقع شرق بلاد الترارزة وفى أقصى شمال الامارات الموريتانية تكونت إمارة ادرار التى امتدت من واداى حتى حدود البراكنة والترارزة جنوبا ، وقد لعب بعض أمراء هذه الإمارة دوراً كبيراً فى انعاش تجارة الصحراء واتسمت العلاقة بين هذه الامارات بالتوتر ونشوب الحروب الداخلية بينهم . وحرص كل أمير على أن يحكم إمارته بشكل مستقل وبعضهم أطلق على نفسه لقب الملك كما هو الحال فى إمارة ادرار والبراكنة . وقد فرض هؤلاء الأمراء والملوك الجزية والأتاوات على التجار الفرنسيين والبريطانيين الذين تسابقوا على إرضائهم ودفع المكافآت المالية لهم مقابل السماح لهم بالتجارة (٢١٦) .

وقد وصلت هذه الامارات فى فترة متأخرة من تاريخها إلى درجة كبيرة من التنظيم السياسى إذ تبادلت فيما بينها المبعوثين وعقدت معاهدات فيما بينها والبعض الآخر ، كما أن المعاهدات والاتفاقيات التى عقدتها مع الدول الأجنبية تنوعت من حيث مضمونها من معاهدات صداقة إلى تنظيم تجارة إلى عدم التدخل فى شئون الامارة (٢١٧) .

---

(٢١٦) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢١٧) المرجع السابق : ص ٢٤ .

ثانياً - العوامل الدولية المؤثرة على الاستعمار الفرنسى فى غرب أفريقيا :

١ - بدايات الاستعمار الفرنسى :

استطاعت فرنسا فى تاريخها الإستعمارى فى العصر الحديث أن تكون امبراطوريتين :

الامبراطورية الأولى بدأت فى القرن السابع عشر وتقوضت أركانها بعد هزيمة فرنسا على أثر حروب نابليون بونابرت ١٨١٤ وكان ميدان نشاط الفرنسيين فى هذه المرحلة :

١ - العالم الجديد كندا ، وجزر البحر الكاريبى .
٢ - فى الهند ، وجزر المحيط الأطلنطى (موريشيوس بوربون) .

أما الامبراطورية الثانية فتبدأ باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ واستطاع الفرنسيون خلال هذه المرحلة أن يمدوا نفوذهم فى شمال أفريقيا إلى الجزائر وتونس وأخيراً المغرب ، وفى غرب القارة إلى ما أطلق عليه اسم أفريقيا الغربية الفرنسية (السنغال - موريتانيا - السودان الفرنسى - غينيا الفرنسية - ساحل العاج - داهومى - النيجر - فولتا العليا) . وهى مناطق تبلغ مساحتها نحو سدس مساحة القارة الإجمالية . كما مدت فرنسا نفوذها إلى ما سمى بأفريقيا الاستوائية (تشاد - وسط أفريقيا - الكنغو - جابون) ، وفى الساحل الشرقى للقاره ثبتت فرنسا أقدامها فى الصومال الفرنسى بالإضافة إلى جزيرة مدغشقر [٢١٨] .

تبدأ الامبراطورية الثانية باحتلال فرنسا للجزائر ، ولكن يلاحظ أن نشاط فرنسا فى الجزائر منذ عام ١٨٣٠ لم يقابله نشاط مماثل فى غرب أفريقيا . وظلت الجزائر محط أنظار الفرنسيين فبعد عام ١٨١٥ وبمقتضى مبدأ مونرو أقلعت فرنسا عن أية محاولة للتوسع فى

---

(٢١٨) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .

أمريكا ، وألتمست التوسع فى القارة الإفريقية [٢١٩] وقررت حكومة شارل العاشر إنشاء مستعمرة فى شمال أفريقيا حيث يستطيع الأسطول الفرنسى أن يجد بعض القواعد على الساحل الأفريقى المقابل ، تكفل له حرية التنقل فى البحر المتوسط كما كان الغرض من ذلك أيضا لفت أنظار الفرنسيين إلى خارج بلادهم ، بدلا من التركيز على مشاكلهم الداخلية ، فصرح رئيس الوزراء الفرنسى بوليناك Polignac فى مجلس الوزراء بأن الحملة على الجزائر ستجعل أنظار الشعب الفرنسى متجهة إلى الخارج وأن النصر الخارجى سيساعد على تقوية الملكية [٢٢٠] .

يعتبر استيلاء فرنسا على الجزائر عام ١٨٣٠ أول فتح لأفريقيا فى العصر الحديث وكان السبب المباشر لذلك أنه بعد الحروب النابوليونية مرت فرنسا بفترة من الضعف ، كادت فيها أن تفقد هيبتها الدولية وكان الشعب الفرنسى فى حالة قلق داخلى ، فاحتلت الحكومة الفرنسية الجزائر لتحويل نظر الشعب إلى الناحية الخارجية ولإظهار مقدرتها على الخروج من ضعفها وأنها أصبحت من جديد قادرة على أن تسلك سلوكا امبراطوريا [٢٢١] .

وقد حاولت الحكومة الفرنسية تبرير استعمارها باتخاذ شعار نقل الحضارة إلى الشعوب الأخرى وكانت تلك الحضارة فى نظرهم تعنى تحويل السكان إلى الديانة المسيحية ونشر الثقافة الفرنسية [٢٢٢] واعتبر الفرنسيون بأن لهم واجبا حضاريا عليهم الإلتزام به . **Remplir notre mission Givilisatrice** ولم يقبل الفرنسيون أنفسهم هذا التبرير وأدركوا بأنه كان للتضليل ولإلباس الاستعمار ثوباً جذاباً [٢٢٣] . وقد عارض إرسال حملة الجزائر الرأى العام الفرنسى ، وشن أعضاء المعارضة حملة شعواء على الحكومة الفرنسية . وتأكدت الدول الأوروبية من نوايا فرنسا تجاه الجزائر ، فذكر مترنيخ ، بأن فرنسا سوف تقيم على ساحل الجزائر مستعمرة دائمة ، كما أكد دوق ولنجتون بأن روح التوسع والفتح عاطفة قوية فى

---

(٢١٩) أ . ج . جرانت : أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ / ١٩٥٠) (القاهرة ١٩٧٨) ، جـ٢ ص٣٢ .

(٢٢٠) شوقى ، الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، (القاهرة ١٩٧٧) ، ص٢٥٧ .

(٢٢١) على ابراهيم عبده : المنافسة الدولية فى أعالى النيل ، (القاهرة ١٩٥٨) ، ص٤٧

(٢٢٢) Guernier, E. : **Aique Occidentale Française** (Paris 1949), tome I. p. 50.

(٢٢٣) على ابراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٤٩

فرنسا ، ولم تكتف فرنسا باحتلالها الجزائر فمضت فى فتوحاتها حتى كونت الإمبراطورية الفرنسية فى شمال أفريقيا (٢٢٤) .

أما فى غرب أفريقيا فقد ظل تقدم فرنسا حتى ١٨٥٠ ببطء وبعد احتلال الجزائر ظل الرأى العام الفرنسى منقسما بين المؤيدين للتوسع الإستعمارى والمعارضين له وبين أنصار الملكية والجمهورية ولكل فريق رأيه الخاص فأنصار الجمهورية يحترمون مبادىء الحرية والمساواة والإخاء ، ورأوا بأنه ليس من حق فرنسا السيطرة على غيرها من الأمم أما أنصار الملكية ، فكانوا يريدون عودة أمجاد لويس الرابع عشر ، ونابليون بونابرت ، ورأوا ضرورة امتداد الحضارة الفرنسية إلى الأمم الأخرى (٢٢٥) .

ورغم أن غزو الجزائر لم يلاق نجاحاً كبيراً بين الناس ولكن فكرة إنشاء امبراطورية فرنسية نشطت خلال فترة حكم نابليون الثالث (١٨٤٨ – ١٨٧٠) ولاقت قبولا كبيرا (٢٢٦) .

إذا حاولنا تلخيص السياسة الفرنسية فى غرب أفريقيا حتى منتصف الخمسينيات من القرن التاسع عشر ، سنجد بأن السنغال التى أسست منذ عام ١٦٢٦ كانت هى المستعمرة الرئيسية ، ولذلك بذلت الجهود لتطويرها والاهتمام بها دون غيرها من المناطق ، وكانت الفكرة الرئيسية هى العمل على تأمين المستعمرة وعدم التوسع فى ضم المزيد من الأراضى (٢٢٧) .

أما فى منطقة غينيا الفرنسية فقد تركز النشاط الفرنسى فى الخمسينيات فى المنطقة الساحلية التى عرفت باسم أنهار الجنوب ، حيث تم إنشاء الوكالات والمراكز التجارية أما المناطق الداخلية لهذه المنطقة وهى فوتا جالون فلم يتم تدعيم السيطرة الفرنسية عليها خلال هذه الفترة (٢٢٨) .

---

(٢٢٤) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث (بيروت ١٩٧٠) ص ٣٩٨ .

(٢٢٥) Fage, J. : op. cit., p. 141.

(٢٢٦) Molard, Richard : **Afrique Occidentale Française** (Paris 1949), p. 136.

(٢٢٧) Hagreaves, John : **Prelude to the partition of West Africa**, (London 1963), p. 129.

(٢٢٨) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 260

وإذا انتقلنا إلى ساحل غينيا سنجد بأن فرنسا وطدت نفوذها فى ساحل العبيد عن طريق عقد المعاهدات التجارية مع حكام هذه المنطقة كذلك اتبعت نفس السياسة والأسلوب مع زعماء منطقة ساحل العاج فى كل من جران بسام ، واسينى ، ولكن ينبغى أن نشير بأن اهتمام فرنسا بساحل غينيا حتى الخمسينيات كان أقل من غيرها من المناطق [٢٢٩] وهكذا نلاحظ أنه حتى الخمسينيات لم تتخذ فرنسا سياسة توسعية فى غرب أفريقيا إلا بعد مجىء نابليون الثالث ١٨٤٨ – ١٨٧٠ [٢٣٠] .

٢ – الحرب السبعينية وأثرها على السياسة الاستعمارية الفرنسية :

اضطربت أحوال فرنسا السياسية بعد الحرب السبعينية فطمعت القوى السياسية المختلفة فى السلطة والنفوذ واعتقد كل فريق بأنه أحق وأصلح من غيره فى إدارة شئون البلاد [٢٣١] وعندما وصلت إلى باريس أنباء تسليم سيدان ووقوع الامبراطور نابليون الثالث أسيراً فى يد الألمان أعلن على الفور فريق من الجمهوريين إقامة جمهورية فى ٤ سبتمبر ١٨٧٠ وتأليف حكومة مؤقتة لاستئناف القتال ولكن لم تلبث المقاومة الفرنسية أن انهارت واضطرت باريس إلى التسليم للجيش الألمانى ووضعت الحرب أوزارها [٢٣٢] .

وفى عام ١٨٧٥ وضع دستور الجمهورية الثالثة وتم انتخاب جول جريفى Gules Grêvy رئيسا للجمهورية عام ١٨٧٩ [٢٣٣] .

---

(٢٢٩) Cornevin, Robert :**Histoire du Dahomey** (Paris 1962) , p. 382.

(٢٣٠) Guernier, E. op. cit., tome p. 63.

(٢٣١) **The Cambridge Modern History**,(Cambridge 1920), Vol. XII, p. 22.

(٢٣٢) عبد العزيز، نوار: **التاريخ المعاصر أوربا من الحرب البروسية حتى الحرب العالمية الأولى** (القاهر ١٩٧٩) ص٢٢٠ ، ٢٢١ .

(٢٣٣) انتخبت جمعية وطنية فى فبراير عام ١٨٧١ لاختيار مندوب فرنسا لمؤتمر الصلح واختير تيير Thiers رئيسا للحكومة المؤقتة فوقع صلح فرانكفورت ولكنه واجه بعد ذلك أعباء كثيرة فقد مزقت فرنسا الفتن الداخلية وضربت الفوضى أطنابها فى حياتها الاقتصادية ، فوجه تيير جهوده لانتعاش البلاد وحرص على تنظيم الجيش الفرنسى على النمط البروسى واقتبس نظام الخدمة العسكرية الاجبارية ولكنه اضطر للاستقالة عام ١٨٧٣ بعد أن رفضت الحمعية الوطنية اختيار النظام الجمهورى الذى اقترحه ، فخلفه المرشال مكماهوب الذى اشتهر بميله إلى أسرة البوربون ، فقام بمحاولة أخيرة لإعادة الملكية ولكن الجمعية الوطنية عام ١٨٧٥ أقرت الجمهورية ووضعت دستور للجمهورية الثالثة .

وقد أثرت الحرب السبعينية على المصالح الفرنسية فى غرب أفريقيا ، وانعكس ذلك بوضوح على النفوذ الفرنسى وقد تمثل ذلك فى هجر فرنسا لمنشأتها وسحب فرقها العسكرية منها على النحو التالى :

١ - انسحبت الفرق الفرنسية من مستعمرة السنغال والمستعمرة الرئيسية فى غرب أفريقيا مما شكل خطراً المنطقة بأسرها [٢٣٤] .

٢ - هُجرت المنشآت الفرنسية فى منطقة خليج غينيا ، إذ انسحبت الفرق الفرنسية من المنطقة ولكن استمر الوجود الفرنسى فيها بفضل جهود بعض التجار الفرنسيين ، وبفضل جهود هؤلاء استطاعت فرنسا أن تستعيد حقوقها وتدعى حقها التاريخى فى المنطقة ، ففى منطقة ساحل العبيد استمرت وكالة ريجى فى العمل والتجارة حتى بعد انسحاب الفرق الفرنسية [٢٣٥] ، كذلك فى ساحل العاج نشط التاجر الفرنسى فردييه Verdier وزميله لابلين Laplène ونجحا فى بناء العديد من المراكز التجارية واستمر لابلين فى المنطقة لمدة عشرين عاما مد خلالها نشاطه نحو الأراضى الداخلية لساحل العاج [٢٣٦] .

٣ - فى منطقة غينيا الفرنسية انكمش النفوذ الفرنسى فى المنطقة الساحلية منها أى فى منطقة أنهار الجنوب ولكن بفضل جهود سندرفال استمرت التجارة الفرنسية فى المنطقة [٢٣٧] .

٤ - نتج عن إنسحاب الفرق الفرنسية من ساحل غينيا وخاصة فى منطقتى ساحل العبيد ، وساحل العاج ، إن بدأت بريطانيا تمد نفوذها فى هذه المناطق . وعندما استأنفت فرنسا نشاطها الاستعمارى فيها ، أدى ذلك إلى حدوث تنافس بين الدولتين ، فأكدت بريطانيا بأن هذه الأراضى لم تعد فى حوزة فرنسا طالما انسحبت منها بعد الحرب السبعينية بينما تمسكت فرنسا بحقوقها فيها على نحو ما سنرى [٢٣٨] .

---

(٢٣٤) Guernier, E. : op. cit., Tome IV, p. 55.

(٢٣٥) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 168.

(٢٣٦) Avice, Emmanuel : La Côte D'Ivoire (Paris 1951), P. 38.

(٢٣٧) Hagreavers, J. : op. cit., Prelude, P. 267.

(٢٣٨) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 168.

ورغم ما نتج عن الحرب السبعينية من انسحاب الفرق الفرنسية فى غرب أفرية وتعرض المنشآت الفرنسية للخطر إلا أن فرنسا عادت إلى التوسع بعد انتهاء الحـ السبعينية ويعتبر عصر الجمهورية الثالثة (١٨٧٠ - ١٩١٤) من أزهى عصور فـ الاستعمارية فبعد توقف التوسع أثر هزيمة ١٨٧١ عادت فرنسا عام ١٨٧٩ إلى السـ الإستعمارية مع قوة تزيدها الرغبة فى التعويض عن فقدان الالزاس واللورين وكان هذه السياسة جول فرى Jules Ferry [٢٣٩] .

وقد اختلفت الآراء فى كيفية تعويض فرنسا عن فقدان الالزاس واللورين فرأى كليه Clemenceau بأن خير وسيلة لمحو هذا العار هو الانتقام من ألمانيا ، أما فرى فرأى التوسع الاستعمارى سيفيد الأمة الفرنسية من الناحيتين النفسية والمعنوية وسوف يعيد هيبتها المفقودة وقد وجدت آراؤه قبولا من الساسة الفرنسيين [٢٤٠] وذلك لأن الأ واللورين كانت مشكلة كبيرة بالنسبة للشعب الفرنسى ، وكان مفكرو فرنسا ، وقاد يبحثون عن كل وسيلة تمكن أن تسترد بها دولتهم كرامتها باستعادتهما ، ولم يكن فرنسا سوى القوة لاستردادهما ، ولكن كان عجز الحكومة الفرنسية خلال السبعـ والثمانينات من القرن التاسع عشر عن تحديد زمن معين لتحقيق هذا الهدف القومى ، قد بلبلة فى نفوس الشعب واضطرابا فى تفكيره السياسى ، وشعر الشعب الفرنسى بحالة الضياع السياسى ، لدرجة أنه ظهرت آراء نادت أن استرداد الالزاس واللورين ، أهم المرتبة الأولى من المحافظة على الامبراطورية الفرنسية الواسعة . ورأوا بأن توزيع الجـ الفرنسية على المستعمرات الفرنسية فى الشمال الأفريقى يقضى على أمل فرنسا فى اسـ الإقليمين ، وأنه من الأجدى لفرنسا أن توقف امبراطوريتها وتركز جيوشها ضد ألمانيا [٢٤١]

وفى نفس الوقت ظهرت آراء أخرى نادت بأن المجال المناسب لتعويض فرنسـ الالزاس واللورين هو التوسع الاستعمارى فى أفريقيا ، وذلك لصرف نظر الشعب الفرنسو القارة الأوروبية ، وعن الانتقام وشجعت ألمانيا هذا الاتجاه وذلك لكى تشعل العداوة فرنسا وانجلترا وفى هذا صالح لها كذلك لكى تصرف الشعب الفرنسى عن التفكير الـ فى الثأر [٢٤٢] .

---

(٢٣٩) صلاح ، العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى بدون سنة طبع ، ص ٥٤ .

(٢٤٠) James : New French imperialism (1880 – 1910), (London 1973), P. 15.

(٢٤١) عبد العزيز ، نوار : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢٤٢) شوقى الجمل : المرجع السابق ، تاريخ كشف ، ص ٤٩٧ .

ورأى جمبتا Gambeta ضرورة أن تقوم فرنسا بتعويض كارثة الراين عن طريق خلق مستعمرة كبيرة فى أفريقيا ، وأصبح التوسع الفرنسى فى غرب أفريقيا من أهم أهداف السياسة الفرنسية بالإضافة إلى هدف آخر ، وهو تجميع الممتلكات الفرنسية فى الجزائر مع ممتلكات فرنسا فى غرب أفريقيا [٢٤٣] ولذلك كان الاستعمار أمراً حيويا بعد هزيمة الألزاس ، وأرادت الحكومة الفرنسية فتح مناطق جديدة ونشر الثقافة الفرنسية والحضارة ، فقد كلفت هذه الحرب فرنسا الكثير من الأموال والرجال كما حطمت طموح فرنسا فى السيادة على أوربا [٢٤٤] .

وجدير بالذكر أن فرنسا عندما أرادت استئناف نشاطها الاستعمارى من جديد بعد الحرب السبعينية لم يعد هذا النشاط قاصراً على السنغال والمناطق الداخلية فيها ، وإنما شمل معظم الغرب الأفريقى وساحل غينيا . وقد لاقت فكرة التوسع التشجيع من قبل الكتاب فنشر البروفيسور الفرنسى بول جفاريل Paul Gaffarel كتابه عن المستعمرات الفرنسية ١٨٨٠ ، ذكر فيه بأن لابد لفرنسا من التوسع وإيجاد المستعمرات الجديدة وعودة روح الغال القديمة إليها ، أى عودة الحماس الاستعمارى لها [٢٤٥] .

كما سجل الكاتب الفرنسى دارسى Darcy بأنه بعد عام ١٨٧٠ ، اتسعت السياسة الاستعمارية الفرنسية اتساعاً حقيقياً فبدأ الناس يدركون أن اتساع الدولة خارج حدودها يعتبر شرطا أساسيا لبقائها وبدأ الناس يفهمون الشكل الحديث للكفاح من أجل الحياة ، فى الوقت الذى تنتشر فيه المنافسة العالمية فمن لا يتقدم يتقهقر ومن يتقهقر يغرقه الطوفان [٢٤٦] .

ومن الملاحظ أن المواطن الفرنسى العادى لم يبد أى اهتمام بالقارة الافريقية إلا بعد عام ١٨٧٠ ، فلم يكن يهمه كثيراً معرفة أخبار ، أو أحوال أقاليم غرب أفريقيا التى كان يجهل أسماءها ، وإنما ركز اهتمامه على تتبع أخبار بلاده ونشاطها فى الهند الصينية وجزر الانتيل ورينون [٢٤٧] .

---

(٢٤٣) . Johnston, Harry; A History of the Colonization of Africa (Cambridge 1913), p. 208

(٢٤٤) The Cambridge Modern History : op. cit., Vol.XII P. 128.

(٢٤٥) Gann, L: H. : op. cit., Vol. I, P. 140.

(٢٤٦) على ابراهيم عبده : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢٤٧) Gann, L H. : op. cit., Vol. I, P. 136.

وقد جاءت فترة الاهتمام بأفريقيا فى الوقت الذى بدأت تظهر فيه مشاريع كبيرة وعظيمة ، فخلال تلك الفترة جذبت الانتباه بعض المشروعات الكبرى مثل مشروع قناة السويس فى مصر ، الذى افتتح عام ١٨٦٩ ولقب دى ليسبس De Lesseps بلقب الفرنسى الأعظم نتيجة لهذا العمل ، وكان لهذا أثره على الرأى العام الفرنسى الذى شجع إقامة المشروعات الكبرى فى أفريقيا [٢٤٨]

كما كان اكتشاف الماس فى كمبرلى Kimberly منذ عام ١٨٦٧ واكتشاف النحاس فى كاتنجا Katanga له أثر كبير بالنسبة لأفريقيا ، فبدأ الأوروبيون يستعيدون الأساطير القديمة عن ثروة وذهب السودان التى ألهبت حماس الشباب الأوربى ، كذلك كان إنشاء خط حديدى بين نيويورك وسان فرانسيسكو والانتهاء منه عام ١٨٧٢ ، بعث الأمل فى إمكانية قهر الطبيعة وتحقيق التقدم فى بناء طرق كبيرة ، ومد الخطوط الحديدية ، بالإضافة إلى جهود ليوبولد الثانى فى الكونغو وكتابات الأدباء والمفكرين لتشجيع الكشف والاستعمار [٢٤٩] فشهدت القارة فى الفترة ما بين ١٨٧٥ - ١٨٩٠ تدفق الرحالة عليها فى محاولة لتحقيق.مشاريع كبرى . وقد كتب بول سولييه عام ١٨٧٩ عن رحلته إلى سيجو قائلا بأن العصر يشهد غزواً صناعياً وتجارياً أكثر منه غزواً عسكرياً . ولكن ليس معنى ذلك بأن كل المشروعات التى عرضت كانت قابلة للتنفيذ فبعضها كان خيالياً ولا يصلح [٢٥٠] ولكن هذه المشاريع ظهرت احتذاء بالمثل الأعلى للفرنسيين فى ذلك الوقت وهو دى ليسبس [٢٥١] .

ولكن لا ينبغى بأن نعتبر هذه المشروعات الاستعمارية هى الدافع وراء اهتمام فرنسا بالقارة الأفريقية ، ففرنسا اندفعت نحو القارة بدافع إظهار الهيبة السياسية ، ولا ننسى ما ذكره جمبتا بعد احتلال تونس عام ١٨٨١ بأن فرنسا فى طريقها لتأخذ دورها الكبير كما نشر بول سولييه فى مقدمة كتابه بأن الدافع لغزو أفريقيا ليس من أجل أغراض عسكرية

---

(٢٤٨) Meynier, O. : **Les Conquérants du Tchad** (Paris 1923), P. 71.

(٢٤٩) **Le Mois en Afrique**, Paris 1981. Vol VII. P. 403.

(٢٥٠) اقترح Roudaire زراعة الصحراء ، وإنشاء بحيرة داخلية فى تونس لتغيير المناخ ، كذلك كتب دنيس دى ريفوى Denis De Rivoye مؤكدا بأنه من السهل تحويل مجرى النيل وتحويل مصر إلى صحراء إذا ما حاولت انجلترا الاستيلاء عليها .

(٢٥١) Gann, L. H. : op. cit., Vol. I, P. 137.

وإنما لمصالح صناعية واقتصادية . وذكر بأن دى ليسبس أسدى الكثير من أجل مجد فرنسا وهو فى نظره لا يقل شأنها عن بونابرت [٢٥٢] .

وجدير بالذكر أن المشاريع الخيالية ، والصعبة التنفيذ استمر ظهورها حتى بعد فترة الحرب السبعينية ، فنجد أن سولييه اقترح عام ١٨٩٣ بناء خط حديدى عبر الصحراء يمتد من الجزائر حتى اجادس ، حيث ينقسم إلى قسمين قسم يصل شرقاً إلى اوبوك ، والثانى غربا حتى واداى ، ومنها يتفرع نحو تشاد ، ثم جوهانسبرج . وذلك من أجل الاستفادة من ثروات القارة . وفى الواقع استمر ظهور مثل هذه المشروعات الصعبة التنفيذ حتى الحرب العالمية الأولى ، ولعل أصحابها أرادوا تحقيق مجد شخصى لهم وتخليد أسمائهم أسوة بدى ليسبس [٢٥٣] .

وجاء تعيين جول فرى فى رئاسة الحكومة بمثابة مرحلة جديدة فى السياسة الاستعمارية الفرنسية ، فقد كان له أثر كبير فى تنشيط عملية التوسع الاستعمارى فقد آمن بفكرة التوسع ، وأعلن فى ٢١ نوفمبر ١٨٨١ لمجلس النواب الفرنسى بأن ظهور الثورة الصناعية والتطور الصناعى فى أوربا قد أوجد مشكلاتٍ كثيرةً منها إيجاد أسواق لتصريف المنتجات وإيجاد أسواق لكل دولة أوروبية ولذلك فإن سياسة الاستعمار سياسة ضرورية وهامة [٢٥٤] .

وقد لاقت آراء فرى قبولا من بعض أعضاء البرلمان الفرنسى مثل أوجين اتيان ، مما كان له أثر كبير على السياسة الفرنسية ، ورأى فرى ضرورة التوسع لإثراء فرنسا ، وعبر عن رأيه بالنسبة للتوسع الفرنسى بقوله « لسنا فلاسفة وإنما رجال عمل نريد لمستعمراتنا التوسع والقوة ولذلك يجب علينا التصرف عمليا وفعليا » [٢٥٥] .

وهكذا نرى أن تعيين فرى فى الوزارة كان بمثابة مرحلة جديدة فى السياسة الاستعمارية الفرنسية ، فأخذت الوزارة الفرنسية تتطلع إلى تطبيق سياستها التوسعية فى

---

(٢٥٢) The journal of African History (Cambridge 1970), PP. 406 – 407. Vol. XI Number I.

(٢٥٣) فى عام ١٩١٤ ظهر مشروع القائد الفرنسى Roumens الذى اقترح مد خط حديدى من الجزائر حتى الكاب ، وخط ثانى من بيزرته حتى الكونغو وقد لاقت هذه المشروعات التأييد والحماس من قبل الرأى العام فقط ولكن لم يكتب لها النجاح .

(٢٥٤) صلاح العقاد : المرجع السابق (مغرب) ، ص ٦٥ .

(٢٥٥) Cook, J. : op. cit., P. 115.

غرب أفريقيا . وأكد جورجيبيرى Jauréguiberry وزير البحرية الفرنسية ضرورة توسع بلاده فى منطقة النيجر وبأن السودان يمكن أن يكون نواه لامبراطورية فرنسية واسعة (٢٥٦) .

وحتى عام ١٨٨٠ كانت الحكومة الفرنسية تسعى لتغلغل نفوذها فى غرب أفريقيا ، وإذا كانت الحكومة الفرنسية قد أقرت غزو تونس عام ١٨٨١ وتوقيع معاهدة مع الباى ، إلا أن الوضع اختلف بالنسبة لتونس فقد أرادت فرنسا إظهار سيطرتها على البحر المتوسط وهيبتها فى الجزائر (٢٥٧) وإذا كان احتلال تونس ضمن خطة خاصة لمد النفوذ الفرنسى فى غرب البحر المتوسط ، فإن احتلال انجلترا لمصر عام ١٨٨٢ أخل بموازين القوى فى شرق هذا البحر فثارت فرنسا لهذا العمل ثورة كبيرة (٢٥٨) .

لقد كانت تونس دوما محط أنظار الفرنسيين ولقيت المسألة التونسية اهتماما من الساسة الفرنسيين ورغم هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية إلا أنها حرصت على تدعيم نفوذها فيها واحتفظت فرنسا بهذا النفوذ بفضل جهود قنصلها فى تونس روستان ، كما نجحت فرنسا بمساندة ألمانيا فى أن تصل إلى اتفاق مع انجلترا بعدم معارضتها للتدخل الفرنسى فى تونس (٢٥٩) . ولكن استيلاء انجلترا على مصر ، والتهديد الذى شعرت به فرنسا من قبل إيطاليا ، منذ استيلائها على تونس ، دفع الحكومة الفرنسية إلى ضرورة اتخاذ سياسة توسعية وتكوين مستعمرات عبر البحار وخاصة فى غرب أفريقيا (٢٦٠) كذلك ينبغى ألا نغفل هزيمة فرنسا فى الشرق الأقصى ، وتقهقر الحملة الفرنسية من لانج سون Lang – Son قد أطاح بوزارة فرى الثانية ، ولذلك أصبحت أفريقيا هى المجال المناسب للنشاط الاستعمارى الفرنسى فيها (٢٦١) .

لقد عمل قادة الجمهورية الثالثة الفرنسية على تحقيق سياسة فرنسا التوسعية على النحو التالى :

---

(٢٥٦) FORstner, K. : op. cit., P. 99.

(٢٥٧) Hagreaves,J. : op. cit., Prelude, P. 279.

(٢٥٨) FORstner: op. cit, p 4

(٢٥٩) شوقى الجمل : المرجع السابق ، (المغرب) ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٢٦٠) Ajayi, J.F. : op. cit., Vol. II, P. 410.

(٢٦١) Forstner, K. : op. cit., p. 4.

- ربط السنغال بالنيجر .

- اكتشاف الأراضى الداخلية لكل من داهومى ، وساحل العاج مع تحقيق الاتصال بينهما وبين النيجر .

- العمل على ربط غرب أفريقيا بكل من أفريقيا الشمالية وأفريقيا الاستوائية أى مد النشاط الفرنسى من البحر المتوسط حتى الكونغو .

ورغم أن فرنسا بدأت فى تحقيق هذه السياسة الجديدة والتى اتسمت بالتوسع والتوغل فى أراضى جديدة مجهولة تمهيداً للسيطرة عليها ، إلا أنّ تحقيق هذا الهدف لم يكن سهلاً ميسراً ، إذ استتبع ضرورة الاصطدام مع القرى الوطنية المختلفة (٣٦٢) .

ورغم هذا التطور فى السياسة الفرنسية إلا أنّ التوسع العسكرى الفرنسى فى غرب أفريقيا لم يتم بصورته الكبرى إلاّ بعد عام ١٨٨٤ أى بعد انعقاد مؤتمر برلين (٣٦٣) .

٢ - مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ :

يرجع إلى ليوبولد الثانى ملك بلجيكا الفضل فى إلقاء الضوء على مناطق كثيرة من القارة الأفريقية فقد أرسل البعثات الكشفية والمستكشفين فبدأ يتضح للعالم أنّ هناك قارة جديدة وسلالات جديدة تأخذ دورها فى الحضارة العالمية وسوف تغير موازين القوى الدولية (٣٦٤) .

وكان للملك ليوبولد أطماع استعمارية فى الكونغو ، تقابلت مع أطماع الدول الأوربية ولذلك عمل على إرسال عدة حملات كشفية إلى الكونغو برئاسة المكتشف المشهور ستانلى ، أسفرت عن توقيع عدة معاهدات مع زعماء القبائل والحكام الوطنيين الذين تنازلوا عن سيادتهم نظير بعض الهدايا (٣٦٥) .

---

(٣٦٢) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, P. 273.

(٣٦٣) Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, P. 404.

(٣٦٤) Betts, Raymond : The scramble for Africa (U.S.A. 1966), p. 4.

(٣٦٥) تمبرلى ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

وكان هدف ليوبولد من هذه الحملات هو الحصول على إعتراف بدولة الكونغو الحرة ولذلك حاول إغراء رجال الأعمال البريطانيين بممارسة نشاطهم التجارى فى المنطقة وعمل على إقناعهم بأن تجارتهم ستكون أكثر أمنا تحت إدارته مما لو كانت تحت إدارة البرتغال أو فرنسا كما حرص فى الوقت نفسه على ضرورة إقناع بسمارك بالاعتراف بدولة الكونغو الحرة [٢٦٦] .

وكان للبعثات الكشفية التى أرسلها ملك بلجيكا إلى أفريقيا ، بالإضافة إلى انعقاد مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٦ وإلتقاء سبعة من أشهر المكتشفين فيه ، قد ألقى الضوء على الإكتشافات التى تمت فى القارة ، كما كان لعودة ستانلى عام ١٨٧٧ من رحلته الشهيرة من أفريقيا الاستوائية وإعلان اكتشافاته فى أعالى الكونغو أثراً كبيراً على القارة الإفريقية [٢٦٧] .

وكان من أهم نتائج المؤتمر تكوين الهيئة الدولية لكشف أفريقيا ، وإدخال الحضارة فيها ، وتقرر أن تقوم فى كل دولة شعبة محلية تابعة لهذه الهيئة فبادرت بلجيكا بتكوين الشعبة البلجيكية ، أما فرنسا فقد كانت الشعبة الفرنسية على رأسها دى برازا De Brazza [٢٦٨] الذى نجح فى توقيع عدة معاهدات مع كل من حكام Ogooué – Batéké ، وأصبح نهر الكونغو هو الحد الفاصل بين أطماع كل من فرنسا وبلجيكا وقد قامت منافسة بين كل من ستانلى ودى برازا وخاصة وأن ليوبولد أراد احتكار تجارة الصمغ والعاج فى حوض الكونغو وآثار نشاط ستانلى الشركات التجارية الفرنسية التى كانت تعمل فى الضفة الشمالية من النهر [٢٦٩] ، فقد نجح ستانلى فى تأسيس اثنتين وعشرين محطة على نهر الكونغو وفروعه وعقد عدة اتفاقيات مع الزعماء المحليين وأسس مدينة ليوبولد فيل عام ١٨٨١ [٢٧٠] .

أدى تسابق فرنسا وبلجيكا على الكونغو إلى لفت أنظار الدول الأوروبية فبدأت البرتغال هى الأخرى تطالب بحقها على أساس أن مكتشفيها اكتشفوا مصب الكونغو فى

---

(٢٦٦) Anene, J. : **A FRica in The 19 and 20 Centuries** (ioadan 1966), P. 121

(٢٦٧) Albrecht – Carrié, René : **The Concert of Europe** (U. S. A. 1968), p. 310.

(٢٦٨) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، كشف ص ٢٩٦ .

(٢٦٩) Williams, B. : Modern A Frica 1972. P. 140

(٢٧٠) شوقى الجمل : المرجع السابق (كشف) ص ٢٩٨ .

القرن الخامس عشر ووقفت بريطانيا مع البرتغال كخطوة تمهيدية لفرض السيادة البريطانية على الكونغو واعترضت انجلترا عام ١٨٨٤ بادعاءات البرتغال القديمة على شواطىء الكنغو فى المنطقة الواقعة بين خطى عرض ١٢° ، ٨° من جهة الجنوب وضمنت إنجلترا بذلك لنفسها أن تمنع بلجيكا من الوصول بسيطرتها نحو الساحل وضمنت أيضا مراقبة النهر بفضل إنشاء لجنة مختلطة فى ٢٦ فبراير ١٨٨٤ ولكن قرار انجلترا قوبل بالإستياء الشديد من قبل الدول الأوروبية وذلك لتدخلها واضطرت انجلترا إلى التراجع وقبلت أن تعرض مسألة الكونغو على مؤتمر دولى يعقد فى برلين [٢٧١] .

سعى بسمارك لعقد مؤتمر برلين لبحث مشكلة الكونغو ، وكان المؤتمر محاولة منه ومن جول فرى وزير خارجية فرنسا لاستخدام الطرق الدبلوماسية لاقتطاع القارة الإفريقية ، وقد عقد المؤتمر فى الفترة ما بين ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ إلى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ . وحضر المؤتمر أربع عشرة دولة منها خمس دول كان لها النصيب الأكبر فى الاهتمام بالقارة الإفريقية ، والدول الخمس هى : ألمانيا ، وبريطانيا ، والبرتغال ، وفرنسا ، وبلجيكا . ولعب بسمارك دوراً كبيراً فى الموازنة الدولية بين الدول [٢٧٢] فقد أدرك بأنه لابد من منع تصادم الدول الأوروبية وأن استعمار أفريقيا لابد وأن يتم دون صدام مسلح ، ويجب أن يتم فى إطار مؤتمر دولى لذلك كانت الدول الأوروبية مقتنعة إلى حد كبير بجدوى هذا الأسلوب الدولى ونجحت فكرة عقد المؤتمر [٢٧٣] .

وإذا كان المؤتمر قد عقد لبحث مشكلة الكونغو إلا أنه ما لبث أم امتد وشمل عدة مشكلات أخرى وأخيرا تم الاتفاق فى المؤتمر على الآتى :

١ - حياد إقليم الكونغو وحرية الملاحة والتجارة فيه .

٢ - حرية الملاحة والتجارة فى حوض الكونغو والنيجر وحرية التجارة لكل الأمم .

٣ - عدم فرض أية دولة حمايتها أو سيطرتها على المناطق الساحلية فى أفريقيا دون أن تعلن ذلك إلى الدول الأخرى التى وقعت على هذا الاتفاق .

---

(٢٧١) المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

(٢٧٢) Albrecht – Carrié, R. : op. cit., P. 310.

(٢٧٣) عبد العزيز ، نوار : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

٤ – عدم إعلان أية دولة الحماية على منطقة من القارة الأفريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلى .

٥ – فيما يتعلق بالكونغو فقد تكتلت الدول الأوروبية ضد الاتفاق البريطانى البرتغالى إذ أنها أدركت أن بريطانيا تريد إعطاء الكونغو إلى البرتغال كخطوة أولى فى تصفية ممتلكات البرتغال واستيلاء بريطانيا عليها واضطرت بريطانيا تجاه التكتل الدولى للموافقة على قيام دولة الكونغو الحرة Congo Free State وعلى إدارة هيئة الكونغو الأعلى التى يرأسها الملك ليوبولد (٢٧٤) . وقد امتازت دولة الكونغو الحرة بالاتساع الكبير فقد امتدت من الشرق إلى الغرب وماثلت مساحتها المسافة من باريس إلى كيف (٢٧٥) .

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت حريصة خلال انعقاد المؤتمر على متابعة قراراته وتطور المناقشات فيه فقد أرسل دى كورسل De Courcel السفير الفرنسى فى برلين إلى جول فرى فى أول دبسمبر ١٨٨٤ يخبره بأن هناك نوايا لإضافة مادة هامة فى المؤتمر وهى حرية الملاحة فى نهر الكونغو وإنشاء لجنة دولية لمراقبة الملاحة فيه (٢٧٦) .

وقد وافقت بريطانيا على حرية الملاحة فى نهرى الكونغو والنيجر ولكنها رفضت تكوين لجنة مراقبة فى النيجر على غرار اللجنة التى تكونت فى أوربا بالنسبة لنهر الدانوب (٢٧٧) .

كذلك كان من أهم توصيات المؤتمر بأن كل القوى الأوروبية التى تفرض نفوذها على الأراضى الإفريقية عليها مراقبة الوطنية والعمل على تحسين أوضاعها وأحوالها الثقافية وصناعاتها ومساعدتها فى التخلص من تجارة الرقيق وعليها إرسال البعثات التبشيرية والعلمية والاستكشافية وأن تكون حرية العمل مكفولة لهذه البعثات (٢٧٨) .

---

(٢٧٤) شوقى الجمل : المرجع السابق (كشف) ص ٣٠٢ .

(٢٧٥) Davidson, Basil : **Guide to African History**, (London 1963), p. 76.

(٢٧٦) **Documents Diplomatiques Français** Ier Serie Tome V Dᵒ nᵒ 215, p. 495.

(٢٧٧) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, P. 46.

(٢٧٨) Moore, Clarck : **Africa Yesterday and Today** (N. Y. 1970), p. 124.

إذا حاولنا تقييم مؤتمر برلين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ سنجد أنه كان أول مؤتمر استعمارى عقد بين الدول الأوروبية المعنية بالاستعمار ، لإقرار الوضع القائم فى أفريقيا ولتنظيم مابقى من أراضى القارة . لقد كان انعقاد المؤتمر لتنظيم التجارة . فى حوض الكونغو ، ولإقرار حرية الملاحة فى النيجر ، ووضع مبادىء عامة لمنع اصطدام القوى الإستعمارية بعضها ببعض [٢٧٩] . ولذلك فهو يعتبر عملا دوليا لتنظيم السلب والنهب فى القارة الافريقية . لقد أضفى المؤتمر الشرعية الدولية لالتهام القارة ، وكان معنى نصوصه أنّ التملك بوضع اليد جائز فى الأراضى غير التابعة لدولة أخرى من الدول الموقعة على الاتفاقية سواء أكانت مسكونة بالقبائل أو الأمم ، ولم يكن رؤساء القبائل يقدرون معنى المعاهدات التى وقعوها ووضعت بلادهم تحت الحماية الاستعمارية على اعتبار أنهم لا وجود لهم فى نظر القانون الدولى [٢٨٠] .

وجدير بالذكر أنه عند عقد المؤتمر لم يمثل الأفارقة أى مندوب إنما تركت شئون أفريقيا ومصيرها الغامض فى يد الدول الأوروبية وكان تقسيم أفريقيا إلى وحدات هو الأساس الذى صارت تعرف به حدود الدول الحديثة [٢٨١] كما أن المؤتمر لم يهتم بحقوق الوطنيين ولا أملاكهم وإنما عنى فقط بضمان سلامة الدول الأوربية المستعمرة [٢٨٢] .

وقد ترتب على النص الأخير من المؤتمر بأن كل دولة أرسلت تجارها وشركاتها وجواسيسها ليجوبوا أفريقيا ، وليحصلوا على توقيع ، أو بصمة الزعماء أو الرؤساء الأفارقة . على معاهدات الحماية . وخلال الخمسة عشر سنة التالية لعقد المؤتمر كانت أفريقيا قد تم تقسيمها بين الدول الأوروبية ، وتم رسم الحدود وتعيين الفواصل السياسية بين حكم رجل أبيض وحكم رجل أبيض آخر [٢٨٣] .

وبعد المؤتمر كان مجرد وصول التجار والإرساليات التبشرية هو الخطوة الأولى عادة للاستعمار ، لأن يتبع ذلك تكوين شركات أو فرض حماية ، أو فرض السيطرة السياسية ،

---

(٢٧٩) Betts, R. : op. cit., p. 23.

(٢٨٠) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٣١ .

(٢٨١) Crowder, M. : op. cit., (Colonial), p. 62.

(٢٨٢) محمد قاسم ، أحمد هاشم التاريخ الحديث والمعاصر (القاهرة د . س .) ص ٢٠٧

(٢٨٣) عبد الملك ، عودة : السياسية والحكم فى افريقيا ، (القاهرة ١٩٥٩) ص ٩٦

والاقتصادية ، وكم من الحالات أدى فيها شره شركة أو إقدام فرد أو تصميم ضابط بحرى ، أو برى ، على رفع العلم الذى أدى إلى تقرير مصير أقطار وأمم [٢٨٤] .

إذا فندنا آراء الكتاب الغربيين حول المؤتمر ومدى ما حققه من نجاح نرى أن إميل بانئج Emile Banning فى تقييمه للمؤتمر رأى ، بأنه حقق هدفين رئيسيين :

١ - أقر المؤتمر دولة حرة كبرى فى قلب أفريقيا الاستوائية تكون من الناحية التجارية مفتوحة لكل الشعوب ، بينما من الناحية السياسية بعيدة عن المنافسات الدولية .

٢ - وضع المؤتمر أسس التنظيمات الاقتصادية المتعلقة بالمناطق الداخلية فى القارة .

وثبت المؤتمر مبادىء الحرية والمنافسة الشريفة كما أتاح الفرصة لتقسيم القارة شمالى وجنوبى خط الاستواء بطريقة سليمة دون سفك للدماء ولا خلافات طاحنة كتلك التى صاحبت استعمار الأمريكتين فتقسيم أفريقيا تم بتخطيط سنيم .

يلاحظ مما سبق أن رأى بانئج فيه الكثير من المغالطات والروح الاستعمارية فبالنسبة لدولة الكونغو الحرة لم تستمر تحمل هذه الصفة طويلا فقد أصبحت فى عام ١٩٠٨ مستعمرة بلجيكية [٢٨٥] .

أما ما ذكره الكاتب بالمنافسة الشريفة فلم تكن كما أطلق عليها شريفة بين الدول الأوروبية بإجبار السكان على توقيع معاهدات لايدركون طبيعتها ولا يفهمون نصوصها لا يدل على الشرف أبدا ، كذلك اختلاف نصوص المعاهدات بين الطرفين كان أمرا مألوفا ففرنسا على سبيل المثال فى كثير من الأحيان عندما كانت تعقد معاهدة مع القوى الوطنية كانت تحرص على وضع كلمة الحماية فى النص الفرنسى وتغفل كتابته فى النص العربى .

كان من نتيجة تسليم حوض الكونغو الشاسع إلى هذه المنظمة الجديدة التى أطلق عليها دولة الكونغو الحرة ، أن حكم ليوبولد بنفسه شخصيا دولة مترامية الأطراف أما الشروط

---

(٢٨٤) تمبرلى : المرجع السباق ، جـ ٢ ، ص ٣٠ .

(٢٨٥) شوقى ، الجمل ، المرجع السابق ، (كشف) ص ٣٠٤ .

لتى وضعت للرقابة الدولية ، والتجارة الدولية ، فقد حرفها ليوبولد فقد ابتدع أساليب من لاحتكار حالت دون المنافسة الدولية وأحل الرقابة البلجيكية محل الرقابة الدولية (٢٨٦) .

ولدينا أيضا تحليل سيبل كرو Sybil Growe وهى أستاذة العلوم السياسية بجامعة اكسفورد وقد ذكرت ما يلى :

١ - ذكر الذين دعوا لعقد المؤتمر بأن من أهدافه تحقيق حرية الملاحة والتجارة فى أحواض النيجر والكونغو ولكن فى الحقيقة فإن الأمر أسفر فى النهاية إلى احتكار الدول الكبرى للتجارة فى المناطق التى خضعت لنفوذها فى هذه الجهات (٢٨٧) .

٢ - كان القرار الإنسانى الوحيد الذى اتخذ هو المتعلق بمحاربة تجارة الرقيق ومع ذلك فإن حوض الكونغو أصبحت تمارس فيه أبشع أعمال الوحشية التى شهدها تاريخ الإستعمار .

٣ - حاول المؤتمر أن ينظم العلاقات بين الدول الإستعمارية على أسس قانونية محددة ، ولكن كل ما نجح فيه هو أن يدفع عجلة التكالب الإستعمارى على القارة الإفريقية .

والنتيجة التى أشارت إليها الكاتبة صحيحة فمن يلقى النظرة على خريطة أفريقيا قبل مؤتمر برلين وبعده يدرك بوضوح رد الفعل الحقيقى لقرارات المؤتمر فقد سارعت الدول الأوروبية بإلتهام القارة (٢٨٨) .

ويمكن القول بأن خريطة أفريقيا السياسية أصبحت بعد مؤتمر برلين على النحو التالى :

١ - صار الكونغو البلجيكى أول المستعمرات الداخلية التى استولت عليها القوى الأوروبية فعقب توقيع اتفاقية برلين بفترة وجيزة أعلن الملك ليوبولد قيام دولة الكونغو الحرة . وفى أغسطس ١٨٨٥ ، وهكذا ثبتت بلجيكا أقدامها فى حوض الكونغو على الرغم من أنها أصغر الدول الأوروبية وأقلها إمكانات وأحدثها كوحدة سياسية متكاملة (٢٨٩) .

---

(٢٨٦) تميرلى : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ٥٠ .

(٢٨٧) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ٣٠٥ .

(٢٨٨) شوقى الجمل : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٢٨٩) صفى الدين ، محمد : أفريقيا بين الدول الأوروبية القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٢٠

وما كاد ليوبولد يحصل على الاعتراف العالمى به كحاكم على دولة الكونغو حتى ألقى جانبا المبادىء السامية التى كانت المبرر الذى استند عليه ليكسب موافقةَ الدول إلى جانبه . ووضع بدلا من ذلك سياسة قائمة على احتكار التجارة ، بالإضافة إلى تسخير الأهالى بطريقة غير إنسانية لتحقيق سياسة الإستغلال التى رسمها . فأصدر عدة قوانين أصبحت الكوننو بموجبها ضيعة تستغل وتستثمر لحساب التاج البلجيكى ، وأصدر أمراً ملكياً عام ١٨٨٥ باعتبار جميع دولة الكوننو ملكاً خاصاً للحكومة (٢٩٠) .

وقد أساءت بلجيكا استغلال سكان المنطقة وأمعنت فى السخرة حتى تحرك الرأى العام الأوروبى عام ١٨٩٠ وخاصة فى انجلترا ضد الأعمال غير الإنسانية واضطر ليوبولد إلى قبول إرسال بعثة للتحقيق فى المنطقة (٢٩١) .

٢ - استغلت كل من فرنسا وبريطانيا بدايتهما المبكرة فى ميدان الإستعمار واستطاعتا بفضل قوتهما البحرية الاستيلاء على أكبر مساحة فى القارة .

٣ - استطاعت البرتغال الاحتفاظ بمستعمراتها فى كل من موزمبيق وأنجولا .

٤ - احتفظت أسبانيا بمناطق نفوذها المحدودة الأهمية فى ريودى أورو مضافا إليها الجزر المجاورة للسواحل الإفريقية .

٥ - تلقت إيطاليا تأييداً كبيراً من بريطانيا لاحتلالها عصب ثم مصوع واستطاعت أن تثبت أقدامها فى بقعة هامة من الساحل تبدو أهميتها فى مركزها الاستراتيجى فقط فهى جافة قليلة الإنتاج شبه صحراوية لا يساعدها مناخها على الاستقرار واقتنعت فترة ما بهذه المناطق التى تفصل هدفها الأكبر الحبشة عن البحر (٢٩٢) .

٦ - أما ألمانيا فقد سارعت بالاستيلاء على الكاميرون وتوجولاند وعلى جنوب غرب أفريقيا (٢٩٣) .

---

(٢٩٠) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ٣٢٢ .

(٢٩١) المرجع السابق : ص ٣٢٢ .

(٢٩٢) صفى الدين ، محمد : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٢٩٣) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ص ٣٠٦ .

يلاحظ أن أساليب الدول الأوروبية فى استعمار القارة تعددت واختلفت فلم تعد قاصرة على التسلط العسكرى أو الاقتصادى بل لجأت الدول الأوروبية إلى لآتى :

١ – ضم بعض المناطق إلى الدولة المستعمرة ضما كاملا مثلما فعلت فرنسا فى مستعمراتها وخاصة فى الجزائر .

٢ – كان مجرد رفع علم الدولة الاستعمارية على أرض شعب مختلف معناه قبول هذا الشعب لحماية الدولة صاحبة العلم .

٣ – إغراء شيوخ القبائل الإفريقية بتوقيع أوراق تنص على فرض الحماية دون أن يدرك هؤلاء حقيقة ومفهوم كلمة حماية .

٤ – استخدام الأساليب الإنسانية لتحقيق أهداف وتوسعات استعمارية مثل مكافحة الرقيق ونمو الدعوات إلى تنشيط العمل الأوربى فىأفريقيا باسم رسالة الرجل الأبيض وقد نجحت الدول الأوروبية فى استغلال هذين المبدأين فى السيطرة على الكثير من البلاد الافريقية [٢٩٤] .

٥ – نشاط الجمعيات التبشيرية فكان كثير من رجال الدين من دعاة الاستعمار اشتهر منهم أسماء متعددة فى هذا المجال نذكر منها الكاردنيال لافيجيرى La Vigerrie الذى ألف منذ ١٨٦٨ جماعة الآباء البيض وكانت تعمل لمساندة نشاط فرنسا الإستعمار ، كذلك نشطت البعثات التبشيرية فى الكونغو ، وفى شرق أفريقيا وكثر فى كتابات الأوروبيين وأقوالهم الحديث عن النظريات الإنسانية وعن عبء الرجل الأبيض أو الأخ الأكبر نحو أفريقيا [٢٩٥] .

وعلى سبيل المثال كان أنصار العصر الفيكتورى يرون أنفسهم بأنهم قادة الحضارة الأوروبية وأنه لابد للجنس الأنجلو ساكسونى من أن يأخذ مكانه فى التقدم [٢٩٦] ، وعبر

---

(٢٩٤) عبد العزيز ، نوار : المرجع السابق ، ص ٩٤ ، ٩٦ .

(٢٩٥) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، (كشف) ، ص ١٢٧ .

(٢٩٦) Hogben, J. : op. cit., p. 63.

دزرائيلى عن ذلك المبدأ عام ١٨٦٣ فدعا إلى ضرورة استخدام القوة لنشر النفوذ البريطانى التجارى والسياسى والدينى [٢٩٧] .

٦ - نشاط الشركات الاستعمارية تعطينا صورة واضحة عن الوسائل التى استخدمتها هذه الشركات للتوسع لحساب الدولة التابعة لها ؛ فقد كانت هذه الشركات مقدمة للإستعمار وإن كان بعض الرأسماليين ينادون بما سموه الاستغلال للصالح المشترك أى صالح الأفارقة والأوربيين حتى أطلقوا على أفريقيا اسم يورو أفريقيا Euro Africa ولكن أفريقيا لم تخرج فى الحقيقة أن تكون ظلا للقارة الأوروبية [٢٩٨] .

ولعل أهم هذه الشركات شركة النيجر الملكية التى عملت فى منطقة النيجر الأدنى وقد نجح قناصل ومديرو هذه الشركة فى إقصاء النفوذ الفرنسى منه هذه المنطقة ثم عملوا على تثبيت النفوذ البريطانى [٢٩٩] .

وجدير بالذكر أن الفكرة القديمة التى تقول بأن التجارة تأتى فى أعقاب الاستعمار قد انعكست فيما يتعلق بأفريقيا فأصبح من الأنسب أن تقول بأن العلم هو الذى يتبع التجارة لأن الشركات البريطانية كانت رائدة لحكومتها فى ميدان الاستعمار [٣٠٠] . وقد منحت الحكومة البريطانية [٣٠١] شركة النيجر الملكية الكثير من الامتيازات والسلطات حتى أصبح من حقها عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين فكانت فى وضعها تشبه شركة الهند الشرقية التى عملت على إدارة الهند وأصبحت الشركة هى الحكومة الفعالة فى المنطقة فأصبح من حقها فرض الضرائب على الوطنيين والمحافظة على النظام وسن القوانين [٣٠٢] .

---

(٢٩٧) Robinson, J. : op. cit., pp. 4–5.

(٢٩٨) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ١٤١ .

(٢٩٩) Bory, Paul : A l'Assaut de L'Afrique, p. 222.

(٣٠٠) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (كشف) ، ص ١٤١ .

(٣٠١) لمزيد من التفاصيل عن الصراع الفرنسى البريطانى فى غرب أفريقيا وتحديد الحدود بين مستعمرات الدولتين انظر رسالة الهام ذهنى (سياسة فرنسا التوسعية فى غرب أفريقيا من منتصف القرن ١٩ حتى الحرب العالمية الأولى الباب الخامس) .

(٣٠٢) Coleman, James : Nigeria (LOS Angelous 1960) p. 140.

وأخيراً فقد نشطت فرنسا نشاطاً كبيراً بعد مؤتمر برلين وأتم توسعها فى غرب أفريقيا بالصبغة العسكرية وقد اتخذت فرنسا من السنغال قاعدة لها للإنطلاق والتوسع نحو المناطق الداخلية ووفر لها نهر السنغال والنيجر طريقا للتوغل داخل القادة . كذلك تمكنت فرنسا من اتخاذ ساحل غينيا قاعدة لانطلاقها نحو المناطق الداخلية لكل من داهومى وساحل العاج وبذلك نستطيع أن نلخص الغزو العسكرى الفرنسى لغرب أفريقيا بعد مؤتمر برلين عن طريقين .

الطريق الأول : من السنغال المستعمرة القديمة التى اتخذت قاعدة للانطلاق والتوغل نحو تشاد والنيجر .

الطريق الثانى : عن طريق ساحل غينيا حيث توغلت فرنسا فى المناطق انداخلية لداهومى وساحل العاج وبذلك أمكنها ربط مستعمراتها فى الغرب الإفريقى بعضها بالبعض الآخر[٣٠٢] .

---

(٣٠٢) Ambriére, Francis : **Les Guides Bleus L'Afrique Occidéntele Française** (paris 1958), p. 57.

الفصل الثانى

الإستعمار الفرنسى للسنغال من منتصف القرن التاسع عشر إلى القضاء على المقاومة الوطنية

- سياسة فيدهرب التوسعية
- السنغال بعد رحيل فيدهرب
- السنغال فى أعقاب مؤتمر برلين

١ - سياسة فيدهرب التوسعية :

أجمع المؤرخون على أن فيدهرب هو أول حاكم فرنسى حقق لفرنسا أطماعها الاستعمارية فى غرب أفريقيا ، وبلور أهدافها التوسعية [٣٠٤] فقد أرسى دعائم الوجود الفرنسى الاستعمارى فى المنطقة وذلك قبل فترة الصراع الاستعمارى على القارة . فلم تمض فترة طويلة على رحيله ، حتى بدأت فترة التكالب الأوروبى على القاهرة فى أعقاب مؤتمر برلين ١٨٨٤ - ١٨٨٥ ولكن كانت فرنسا قد أمنت نفسها ووجودها فى المنطقة بتكوين قواعد لها فى غرب أفريقيا ، وبتدعيم سيطرتها على السنغال التى اتخذت منها محوراً للانطلاق نحو الداخل [٣٠٥] .

عين ليون فيدهرب Léon Faidherbe حاكما على السنغال فى عام ١٨٥٤ [٣٠٦] وجاء تعيينه بعد فترة من الاضطرابات التى شهدتها المنطقة فقد ألتزمت فرنسا خلال الفترة السابقة لوصوله بسياسة التهدئة والسلام دون التورط فى عملية غزو مع تطوير المنطقة دون احتلالها ، ولكن سرعان ماتغيرت هذه السياسة كلية بمجىء فيدهرب إلى المنطقة [٣٠٧] .

فقد وضع فيدهرب سياسة عامة للتعامل مع القوى الوطنية المختلفة تلخصت فى سياسة السلام أو الحرب Peace of Powder أى أن على القوى الوطنية المختلفة التعاون معه والاستسلام للنفوذ الفرنسى ، فإذا لم ترضخ له فليس أمامها سوى الحرب [٣٠٨] وعمل فيدهرب على تطبيق هذه السياسة منذ وصوله إلى السنغال ، فقد آمن بأنها الطريق الوحيد لتحقيق

---

(٣٠٤) Molard, R. : op. cit., p. 150.

(٣٠٥) Rooney, D. : The Building of Modern Africa, (London 1967) pp. 103 – 104.

(٣٠٦) حكم فيدهرب فترتين فى السنغال وامتدت فترة حكمه الأولى من ١٨٥٤ إلى ١٨٦١ والثانية من ١٨٦٣ الى ١٨٦٥ . وقد عمل من قبل فى الجزائر وفى منطقة السنغال فاشترك ١٨٥٣ مع حملة الحاكم بودان لإنشاء حصن بودور وقد إفادته خبرته السابقة فى الجزائر وفى السنغال فى تعلم اللغة العربية كذلك أتقن لغة الولوف مما ساعده على تفهم عقلية الوطنيين .

(٣٠٧) Adloff, R. : West Aftica, (N.Y 1964), p. 145.

(٣٠٨) Anderson, J. : op. cit., p. 136.

آماله وطموحه فى تكوين امبراطورية فرنسية تمتد من السنغال حتى المناطق الداخلية من القارة [٣٠٩] .

وجاء تعيين فيدهرب مواكبا لطموح فرنسا وسياستها التوسعية الجديدة فى المنطقة ، فقد انتهجت الامبراطورية الثانية سياسة أكثر نشاطا فى أفريقيا منذ منتصف القرن التاسع عشر [٣١٠] فتميزت سياسة نابليون الثالث بأنها سياسة عسكرية وتوسعية فى القارة ، فقد سعى لربط المستعمرات الفرنسية فى الجزائر مع مستعمرات السنغال فى غرب أفريقيا ، أى أنه أراد تحقيق الاتصال بين ممتلكات فرنسا فى الشمال الإفريقى مع مستعمرتها فى غرب أفريقيا [٣١١] كما أن حكومته اعتمدت على العسكريين من جهة والحزب الكاثوليكى من جهة أخرى ، وكلا الحزبين من أنصار التوسع العسكرى وقد وجهت هذه العناصر سياسة فرنسا من ١٨٥٢ حتى ١٨٧٠ [٣١٢] .

كان أهم عمل بالنسبة لفيدهرب هو تأمينه لحدود المستعمرة ضد هجمات القبائل الموريتانية التى هددت المستعمرة من جهة الشمال ، كذلك ضد التكرور من الشرق ويمكن تلخيص الوضع السياسى فى السنغال وقت مجىء فيدهرب إلى المنطقة على النحو التالى :

١ - إمارة اوالو Oualo فى الضفة اليسرى لنهر السنغال وقد امتدت من مصب النهر حتى داجنا .

٢ - مملكة كايور التى امتدت من سانت لويس حتى جوريه .

٣ - مملكة السرير فى جنوب كايور ، وفى منطقة بئول

٤ - ممالك سين وسالوم فى أقصى الجنوب .

٥ - فوتا السنغالية التى امتدت من داجنا حتى نجيرير Nguérer وانقسمت فوتا السنغالية التى عدة مناطق أهمها ديمار Dimar (وتمتد من جايه Gaé إلى دوفيه Dové) وتورو Toro(تمتد من دوفيه Dové إلى بوكى Boki) [٣١٣] .

---

(٣٠٩) Beslier, G. : **le Senégal**, (Paris 1925), P 135.

(٣١٠) زاهر ، رياض : الاستعمار الأوربى لافريقيا فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٥٨ .

(٣١١) Boahen, Adu: **Britain the Sahara and the Western sudan** (1788 – 1861), (Great Britain 1970) p. 222.

(٣١٢) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (مغرب الاستعمار) ص ٤٨ .

(٣١٣) Cultru, p. : **Histoire du Senégal du xv siécle á 1870** (Parios 1910) p. 322.

ولما كانت نظرية فيدهرب تقوم على أساس السلام أو الحرب فقد ترتب على ذلك دخوله فى منازعات مع القوى الوطنية المختلفة التى تمثلت فيما يلى :

(أ) حروب فيدهرب ضد القبائل الموريتانية :

وجد فيدهرب بأن الخطر الأكبر الذى يهدد مستعمرة السنغال جاء من الشمال ، أى من إغارات القبائل الموريتانية المتكررة . وقد وصلت إحدى هذه الغارات إلى سانت لويس نفسها ، وازداد الموقف سوءًا بنشوب الحرب الأهلية بين القبائل الموريتانية مما أثر على اقتصاد وتجارة السنغال [٣١٤] وبالإضافة إلى خطر قبائل الترارزة الموريتانية فى الشمال واجه فيدهرب خطرا آخر من جهة الشرق تمثل فى الحاج عمر زعيم التكرور ، هذا بالإضافة إلى تهديد مابا Mabâ للفرنسيين على الساحل [٣١٥] وقد خشى فيدهرب تحالف القوى الثلاث وخاصة وأن كلا منهم أعلن الجهاد ضد الفرنسيين فألهبوا حماس السكان وازداد عدد اتباعهم بدرجة ملحوظة ، ولذلك رأى فيدهرب ضرورة القضاء على كل قوة من القوى الثلاث على حدة قبل أن تتاح لهم فرصة التعاون ضد الفرنسيين فبدأ بتوجيه جهوده وحملاته العسكرية ضد القبائل الموريتانية فى الشمال من أجل تأمين حدود المستعمرة الشمالية [٣١٦] .

وجه فيدهرب جهوده ضد قبائل البراكنة والترارزة ، التى دعمت سيطرتها على منطقة أوالو الممتدة خلف سانت لويس فأرسل العديد من الحملات العسكرية طيلة أربع سنوات ، حتى تمكن فى النهاية من إخضاعها وقد شن فيدهرب هجوما عنيفا على القرى الموريتانية ، كما هاجم منطقة اوالو وأوقع الهزيمة بالموريتانيين فى ديولبودو Dioulboudou [٣١٧] ثم أقدم فيدهرب على خطوة خطيرة أدت إلى مزيد من التوتر بين الطرفين إذ قام بتحصين حصون بودور ، وداجنا وباقل فاعتبر الترارزة هذه الإجراءات موجهة ضدهم . وقد أعلن محمد الحبيب زعيم الترارزة عن رغبته فى العيش بسلام مع الفرنسيين ، وذهب بنفسه إلى سانت لويس لتأكيد حسن نواياه ، ولكن الوزير الفرنسى دوكاس Ducas لم يكن يثق فيه ، فكتب إلى فيدهرب عدة مرات بأنه لابد وأن يسيطر على القبائل الموريتانية وأن يحتكر

---

(٣١٤) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 60.

(٣١٥) كانت منطقة سين وسالوم وريب من أهم مناطق نفوذ مابا فى الجنوب .

(٣١٦) Beslier, G. : op. cit., p. 138.

(٣١٧) Adoloff, R. : op. cit., p. 147.

لنفسه تجارة الصمغ ، كما حثه على إلغاء الضرائب التى كانت تدفعها فرنسا لهذه القبائل ، وطالبه بضرورة السيطرة على نهر السنغال وحماية سكان الضفة اليسرى من إغارات الموريتانيين المتكررة [٣١٨] .

عمل محمد الحبيب على منع السفن الفرنسية من الإبحار فى نهر السنغال فشن الهجمات عليها وأرسل يهدد بتدمير الحصون الفرنسية فى كل من بودور وباقل ويمكن تعليل تغير موقف محمد الحبيب الفرنسيين بعد أن أكد لهم من قبل حسن نواياه ، بأنه وجد أن دعوته السلمية مع فيدهرب لم تحقق نتيجة حاسمة . وقد اضطر فيدهرب إلى تكوين قوة عسكرية للدفاع عن المنطقة متخذا من داجنا مركزا لعملياته العسكرية ، وأرسل إلى محمد الحبيب قوة بقيادة الكابتن كنار Canard نجحت فى دفع خطر الترارزة ، وإبعادهم عن النهر [٣١٩] .

وجدير بالذكر أن محمد الحبيب حاول التفاوض مرة أخرى مع فيدهرب بالطرق السلمية فأرسل إليه بشروطه لوقف إغارته ، والتى تلخصت فى النقاط التالية :

١ - زيادة الضرائب السنوية التى تدفعها فرنسا للقبائل الموريتانية .

٢ - هدم الحصون الفرنسية التى أقيمت على نهر السنغال .

٣ - تعهد الفرنسيين بعدم إنشاء أية منشآت جديدة وتعدهم بدفع ضرائب جديدة فى منطقة جات ندار المواجهة لسان لويس ، كذلك فى منطقة بوب نكيور Bop Nkior فى مقابل تزويد الفرنسيين بالماء والأخشاب .

ولكن فيدهرب لم يوافق على شروط زعيم الترارزة الذى استمر فى إغاراته على المنطقة فشن عام ١٨٥٥ هجوما عنيفا على السنغال ، ووصل إلى القرب من سان لويس واستمرت هجماته حتى ١٨٥٧ حتى نجح فيدهرب فى إلحاق الهزيمة به على شواطىء كيور فى ١٣ مايو ١٨٥٧ وفى ديمار Dimar [٣٢٠] وقد أرهبت هذه الهزائم بقية القبائل الموريتانية فقبل زعيم الدويش Dowich ويدعى Batax توقيع معاهدة مع الفرنسيين فى أول نوفمبر ١٨٥٧ .

---

(٣١٨) Beslier, G. : op. cit., p. 138.

(٣١٩) Beslier, G. : op. cit., p. 139.

(٣٢٠) Cultru, p. : op. cit., p. 29.

وقد نصت المعاهدة بأن الموريتانيين لهم ٣ ٪ من أرباح تجارة الصمغ فى الضفة اليمنى لنهر السنغال ، وبذلك حدد فيدهرب أماكن بيع الصمغ وقصره على الوكالات التجارية الفرنسية فقط . وأعقبت هذه المعاهدة معاهدة أخرى مع قبائل أولاد على ، وكانت لهم سيطرة على المنطقة الواقعة بين سلديه Saldé وكيدى Kaedi [٣٢١] .

أما بالنسبة للترارزة فعلى الرغم من هزيمة محمد الحبيب إلا أنه استعد لمهاجمة الفرنسيين مرة أخرى ساعده على ذلك أن الحاج عمر بدأ فى إثارة الاضطرابات للفرنسيين فى أعالى السنغال ، فى منطقة خاسو كما اقترح الحاج عمر على محمد الحبيب التعاون معه لقتال الفرنسيين ووجه رسالة إلى مسلمى السنغال ، دعاهم فيها إلى الاتحاد معه لمحاربة الفرنسيين المسيحيين وحثهم على عدم التعاون معهم . ولكن فيدهرب سارع بمعالجة الموقف قبل استفحاله فعقد معاهدة مع محمد الحبيب [٣٢٢] .

وقعت المعاهدة فى مايو ١٨٥٨ اعترف فيها محمد الحبيب بالحماية الفرنسية على أوالو وعلى جود يول Gaudiole [٣٢٣] كما تعهد بعدم عبور قبيلته لنهر السنغال وهم مسلحون . وعدم مهاجمة الضفة اليسرى لنهر السنغال كما وافق على احترام التجارة الفرنسية ، وتدعيم العلاقات بين الطرفين مع عدم اعتراض طرق التجارة والإبقاء على الأسواق . وفى المقابل تعهدت فرنسا بدفع مبلغ سنوى له [٣٢٤] .

حققت معاهدة ١٨٥٨ مع محمد الحبيب زعيم الترارزة الاستقرار للفرنسيين فبمقتضاها تنازل محمد الحبيب عن الأقاليم الواقعة جنوب نهر السنغال ، واعترف بالحماية الفرنسية على منطقة اوالو [٣٢٥] كما اطمأن فيدهرب على تأمين الحدود الشمالية لمستعمرة السنغال مما أتاح له الفرصة لتوجيه جهوده وعملياته الحربية ضد كل من الحاج عمر ومابا ، وضمن عدم تعرض قواته لأى هجوم مفاجىء من الشمال [٣٢٦] . أما محمد الحبيب فكان الدافع لقبوله

---

(٣٢١) Poulet, Georges ; Les Maures de L'Afrique Occidentale Française (Paris 1904),

(٣٢٢) Beslier, G. : op. cit., p. 141.

(٣٢٣) Gann, L. H. : op. cit., Vol I, p. 133.

(٣٢٤) Cultru, p. : op. cit., p. 333.

(٣٢٥) صلاح العقاد : المرجع السابق ، الجمهورية الموريتانية ، ص ٤٠ .

(٣٢٦) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 63.

المعاهدة أنه أدرك مدى قوة الفرنسيين ، وشعر بأنه لايقوى على التصدى للقوات الفرنسية وخاصة وأن فيدهرب ركز حملاته خلال الأربع سنوات الأولى من حكمه ضد الترارزة وغيرها من القبائل . ولعل أهم خطوة اتخذها فيدهرب لإحتكار تجارة الصمغ وقصرها على الفرنسيين فقط دون غيرهم من الدول الأوروبية هو توقيعه معاهدة مع انجلترا عام ١٨٥٧ وافقت بمقتضاها على التخلى عن حقوقها فى التجارة فى منطقة بورتنديك ذلك الحق الذى احتفظت به بمقتضى معاهدة باريس ١٨١٤ [٣٢٧] .

لقد اعتمد فيدهرب على الحملات العسكرية لتأمين مستعمرة السنغال فشن الاغارات على الأمارات الموريتانية بين الحين والآخر ، فقد اعتبر أن الأتاوات والضرائب التى تدفعها فرنسا سنويا لزعماء هذه القبائل تعتبر مهينة لمكانة وهيبة فرنسا فى المنطقة . كما أراد فى الوقت نفسه اقتلاع نفوذ القبائل الموريتانية على مسلمى السنغال [٣٢٨] .

وقد بقيت المعاهدات التى عقدها فيدهرب مع القبائل الموريتانية هى أساس تعامل الفرنسيين مع هذه القبائل ، وحددت العلاقة بين الطرفين خلال الخمسين سنة التالية [٣٢٩] .

وأخيرا لم تقتصر جهود فيدهرب على إرسال الحملات الحربية وإخضاع القبائل الموريتانية ، فقد أرسل بعض البعثات لاكتشاف المنطقة فأرسل الكابتن فنسان Vincent إلى منطقة ادرار فخرج من سانت لويس واتصل بالترارزة ووصل إلى آبار تيفورنو ثم إلى بورتنديك ، ودخل ادرار وشنقيط وعاد إلى سان لويس ووضع تقريرا مفصلا عما شاهده فى المنطقة [٣٣٠] .

كذلك أرسل كل من بوريل Bourrel واليونسال Aliounsal إلى قبائل البراكنة الموريتانية ، وكلف الملازم ماج Mage بزيارة واحة تاجنت وكتابة تقرير عنها [٣٣١] .

---

(٣٢٧) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٣٢٨) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، الجمهورية الموريتانية ، ص ٤٠ .

(٣٢٩) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣٣٠) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٣٣١) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 70.

(ب) توسيع حدود المستعمرة نحو الجنوب :

لإقرار الأمن فى السنغال أقام فيدهرب حاميات عسكرية فى كل من روفسك وبور تدال وجوال ، كما عمل على إعادة الاستقرار لجزيرة الرأس الأخضر عام ١٨٥٩ وقد أراد فيدهرب ضم سين وسالوم إلى السنغال وذلك لتوسيع حدود المستعمرة من جهة الجنوب فأرسل يهدد ملك منطقة سين ، ثم اتجه بقواته صوب فاتيك Fatike فى قلب مملكة سين وهزم ملكها بحجة أنه يسيىء معاملة التجار الفرنسيين ، ثم أخذ فيدهرب فى القيام ببعض العمليات العسكرية فى منطقة سين وسالوم لإجبار حكامها على توقيع معاهدة حماية مع الفرنسيين ، واستطاع عن طريق استخدام القوة أن يحصل على هذه المعاهدات [٣٣٢] .

وفى مارس ١٨٦٠ اتجه فيدهرب نحو منطقة الكازامانس الأدنى [٣٣٣] وذلك لوضع حد لإغارات بعض القرى على التجار الفرنسيين وتهديدهم للتجارة فى المنطقة ، فقام لابراد Laprade والكابتن دى فريجات De Fregate بإحراق قرى كارون Caronne وتيونج Thiong وتم إخضاع المنطقة للنفوذ الفرنسى ، وفرضت الحماية الفرنسية عليها [٣٣٤] .

وهكذا عن طريق القوى العسكرية استطاع فيدهرب مد حدود مستعمرة السنغال من جهة الجنوب بإجباره القوى الوطنية على توقيع معاهدات حماية مع الفرنسيين واستكمالا للتوسع نحو الجنوب ، تطلع فيدهرب إلى مد النفوذ الفرنسى فى منطقة هامة هى التى عرفت باسم منطقة أنهار الجنوب [٣٣٥] فبنى حصنا فى يونيه ١٨٦٠ وعين مندوبا فرنسيا فى بونجو وذلك بحجة تأمين وحماية التجار الفرنسيين ، كما حاول مد نشاطه نحو المناطق الداخلية من الساحل أى نحو فوتا جالون وأرسل الملازم لامبير Lambert عام ١٨٦٠ إلى المنطقة ولكن وزير المستعمرات شاسلوب لم يسمح له باتخاذ خطوة إيجابية فى هذه المنطقة وذلك خوفا من تشتيت جهود فرنسا ورأى شاسلوب ضرورة التركيز أولا على تدعيم السيطرة الفرنسية على السنغال ولذلك لم تتخذ فرنسا سياسة إيجابية تجاه المنطقة إلا بعد

---

(٣٣٢) Cultru, p.: op. cit., p. 369.

(٣٣٣) شملت منطقة الكازامانس الأراضى الجنوبية لمستعمرة السنغال وقد فصلها عن شمال السنغال مستعمرة غمبيا البريطانية وقد أثر هذا الفصل على هذه المنطقة فتأخرت عن الجزء الشمالى من السنغال

(٣٣٤) Cultru, p.: p. 350.

(٣٣٥) شملت هذه المنطقة الشاطىء الأيمن لنهر الكازامانس وكلسينى ونونيه وبونجو وقد ألفت الأراضى الساحلية لما عرف باسم مستعمرة غينيا الفرنسية فيما بعد .

عام ١٨٦٣ ورغم ذلك انتشرت الوكالات التجارية فى منطقة أنهار الجنوب على الساحل فى كل من نوتيه وبونجو وميلاكورى وحقق التجار مكاسب كبيرة بفضل تجارة الفول السودانى [٣٣٦] .

وهكذا اقتصر نشاط فيدهرب فى منطقة أنهار الجنوب على التجارة فقط ، ولم يسمح له بالقيام بأية عمليات عسكرية . أما عملية التوسع فى منطقة أنهار الجنوب فجاءت على يد بينيه لايراد الذى خلف فيدهرب [٣٣٧] .

(جـ) فيدهرب والحاج عمر :

عمل فيدهرب على إخضاع منطقة فوتا السنغالية ، ساعده فى ذلك رحيل معظم ـات الوطنية من المنطقة نحو الشرق ، وذلك للالتحاق بقوات الحاج عمر ومشاركته الجهاد التى أعلنها فى المنطقة [٣٣٨] .

وفى ١٨ يوليو ١٨٥٨ عقد فيدهرب معاهدة سلام مع زعيم ديمار تعهد فيها الأخير بمنع ـمال السلب والنهب من قبل رعاياه على الأراضى التابعة للنفوذ الفرنسى وذلك فى ١٠ أبريل ١٨٥٩ ، وقع معاهدة مماثلة مع زعيم تورو تعهد فيها بضمان حرية التجارة فى المنطقة . وفى عام ١٨٦٠ ضمت تورو ودامجا إلى السنغال ثم أعلن أمام فوتا قبوله النفوذ الفرنسى فى الأراضى التابعة له عام ١٨٦٣ .

وبذلك استطاع فيدهرب تأمين حدود السنغال ، وضم أراضى فوتا السنغالية إليه ، وإن كان هذا الضم جاء تدريجيا ففى البداية وقع معاهدة سلام مع زعماء المنطقة أعقبها معاهدة الحماية[٣٣٩] .

على الرغم من ضم منطقة فوتا السنغالية ووقف إغارات القبائل الموريتانية اضطر فيدهرب إلى فتح جبهة أخرى للقتال ضد الحاج عمر زعيم التكرور . وكان لابد من حدوث صدام بين الطرفين فالحاج عمر تزداد قوته يوما بعد يوم ، ويزداد عدد أتباعه ، وفيدهرب يعمل

---

(٣٣٦) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٣٣٧) Gann, L., H. : op. cit., Vol. I, p. 135.

(٣٣٨) Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, p. 364.

(٣٣٩) Cultru, p. : op. cit., pp. 346 – 347.

من ناحية أخرى على توسيع حدود المستعمرة ، وإحكام السيطرة الفرنسية على المنطقة(٢٤٠) .

إذا تتبعنا العلاقة بين الطرفين سنجد أنها كانت طيبة فى بداية الأمر لأن الحاج عمر ركز جهوده ضد الوثنيين لنشر الإسلام. ففى عام ١٨٤٧ قابل عمر دى جرامون De Grammont مدير الشئون الخارجية للمستعمرة ومعه بول هول وأكد عمر خلال هذه المقابلة بأنه حريص على الإبقاء على العلاقات الودية مع الفرنسيين وهو مستعد لتوفير الحماية للتجار الأوربيين ، ولكنه اشترط عليهم بيعه الأسلحة وأعلن لهم بأنه صديق للأوربيين يريد العيش فى سلام معهم ، ولايبغى سوى أن يدفعوا له الضرائب لكى يتمكنوا من التجارة بحرية (٢٤١) .

وفيما بين ١٨٥٢ - ١٨٥٤ أصبح للحاج عمر نفوذ كبير على مسلمى سنغمبيا ويامبوك وخاسو وبوندو(٢٤٢) ، ولم يقتصر تأثيره على مسلمى السنغال وما حولها وإنما امتد حتى غمبيا ، فعمل على إثارة أهالى المنطقة ضد القوات البريطانية ، ونظم حملة عسكرية اتجه بها صوب بتهورست Bathurst فى غمبيا لولا مسارعة الفرق الفرنسية لإنقاذ الموقف (٢٤٣) .

بدأ الفرنسيون يدركون مدى قوة الحاج عمر وخاصة وأن مسلمى فوتا السنغالية تطلعوا إلى الاتحاد معه ، ولذلك كان لابد لفيدهرب من الاعتماد على قوة أخرى يواجه بها التكرور فلجأ إلى التحالف مع البمبارا الوثنيين الذى مثلوا ألد أعداء الحاج عمر ، وفى نفس الوقت رحب البمبارا بهذا التحالف على أمل أن يمكنهم من استعادة نفوذهم ومركزهم السياسى الذى سلبهم منهم التكرور (٢٤٤) .

وحتى عام ١٨٥٧ كان الحاج عمر مازال على علاقة طيبة بالفرنسيين ، ولكن سرعان ماتبدلت هذه العلاقة عندما أرسل لهم يطلب منهم تزويده بالأسلحة الحديثة ولكنهم رفضوا وذلك خوفاً من تزايد قوته العسكرية ، فى الوقت نفسه عملوا على تسليح البمبارا ولذلك

---

(٢٤٠) Ajayi, J : op. cit., Vol. II, pp. 359 – 360 .

(٢٤١) Cultru, p. : op. cit., p. 334.

(٢٤٢) Ajayi, J. : op. cit., Tome II, p. 361.

(٢٤٣) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 52.

(٢٤٤) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 64.

تغير موقفه من الفرنسيين ، وأخذ اتباعه يهاجمون المراكز الفرنسية ويهددون التجارة فى منطقة باقل . ثم أقدم الحاج عمر على خطوة خطيرة إذ أعلن عن نواياه فى محاربة الفرنسيين حتى يدفعوا له الجزية كما دعا أتباعه فى سانت لويس إلى عدم التعاون والاتفاق مع الخونة الفرنسيين على حد تعبيره ، وكتب إلى فيدهرب بأنه لايريد إقامة أية منشآت فرنسية فى أراضيه كما أنه يعارض إرسال أى سفينة حربية فرنسية [٣٤٥] .

والواقع أن طلب الحاج عمر الجزية من الفرنسيين راجع إلى اقتناعه خلال هذه الفترة بقدرته العسكرية وإمكانه هزيمتهم وذلك يرجع إلى أن فيدهرب ركز جهوده خلال هذه الفترة نحو المناطق الشمالية من السنغال لإخضاع الموريتانيين ومنعهم من الإغارة على المستعمرة ، كذلك حتى هذه الفترة لم يدخل الحاج عمر فى صراع حقيقى مع القوة الفرنسية [٣٤٦] .

ونتيجة لتحالف الفرنسيين مع البمبارا قام الحاج عمر بطرد التجار الفرنسيين العاملين فى المنطقة الواقعة من باقل إلى بودور فى أعالى السنغال كما هاجم سمبالا Sambala حاكم خاسو لترحيبه بالفرنسيين فى أراضيه واضطره إلى الفرار إلى ميدين [٣٤٧] .

وقد قبل سمبالا بناء حصن فرنسى فى ميدين ففى خلال هذه الفترة أراد فيدهرب توسيع حدود المستعمرة إلى ماوراء باقل وإعادة النشاط التجارى للمنطقة ، فرأى إنشاء حصن فرنسى يساعد على رد هجمات الحاج عمر ، وقد عقد فيدهرب عدة اتفاقيات مع زعماء خاسو ومنحهم الهدايا مقابل ولائهم له . وبعد أن تم بناء الحصن ترك فيه خمسين رجلا تحت قيادة بول هول [٣٤٨] وزود الحصن بأربع مدافع [٣٤٩] .

مثل إنشاء حصن ميدين تهديداً كبيراً للحاج عمر ، فقد توسع فى فتوحاته حتى وصل إلى شمال غرب السنغال ، ولذلك عزم على مهاجمته [٣٥٠] وانتهز فرصة الجُفاف وعدم وصول

---

(٣٤٥) Forstner, K. : op. cit., p. 38.

(٣٤٦) Cultru, p. : op. cit., p. 335.

(٣٤٧) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 59.

(٣٤٨) أحد الخلاسين عمل فى خدمة الجيش الفرنسى .

(٣٤٩) Beslier, G. : op. cit., p. 140.

(٣٥٠) Crowder, M. : op. cit., p. 244.

السفن الحربية إلى المنطقة وقام بحصار الحصن لمدة ثلاث أشهر من أبريل ١٨٥٧ حتى يوليو ، وصمد بول هول طوال هذه الفترة حتى وصلت إليه الإمدادات من فيدهرب بعد أن عانى سكان الحصن من المجاعة ونقص المئونة مما اضطر سبالا حاكم ميدين إلى الفرار [٣٥١] .

وقد أظهر حصار عمر لحصن ميدين مدى قوته وعدم تقبله لإنشاء حصون فرنسية فى المنطقة أو فى عام ١٨٥٨ اتجه الحاج عمر إلى بامبوك وذلك للسيطرة على مناجمها الغنية بالذهب ، كما حاول الاستيلاء على تورو واوالو ولكن فيدهرب نجح فى إيقاف مخططات عمر للاستيلاء على الأقاليم الغربية من السنغال [٣٥٢] .

ثم هاجم عمر حصن ماتام ومركز جيمو Guémou [٣٥٣] عام ١٨٥٩ الواقع على الضفة اليمنى لنهر السنغال فأرسل فيدهرب القائد فارون Faron الذى رفع الحصار عن جيمو ، وقد فشل الحاج عمر فى التصدى للفرنسيين وأدرك أنه لاقبل له بمواجهتهم ، ولذلك فضل الاتجاه بفتوحاته صوب النيجر لاستكمال بناء امبراطوريته ، وأصبح نهر السنغال هو الحاجز والفاصل بين امبراطورية التكرور والفرنسيين [٣٥٤] . واعتبرت الأراضى الواقعة فى بافنج Bafing [٣٥٥] من بافولابى حتى ميدين تابعة للنفوذ الفرنسى ، أما الضفة اليمنى لنهر بافنج فهى تحت نفوذ الحاج عمر ، واعتبرت الضفة اليسرى لنهر الفالين تحت النفوذ الفرنسى بمقتضى الاتفاق، الذى عقد بين الطرفين عام ١٨٦٠ [٣٥٦] .

ونجحت فكرة فيدهرب فى بناء الحصون ، فحقق بفضل هذه الحصون الانتصارات ، كما تم تدعيم مركز فرنسا فى المناطق التى بنيت فيها الحصون ومنعت هذه الحصون الحاج عمر من توسيع دائرة نفوذه [٣٥٧] .

---

(٣٥١) دائرة المعارف : المرجع السابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٣٣ .

(٣٥٢) Cultru, P. : op. cit., p. 344.

(٣٥٣) انظر شكل (٥) .

(٣٥٤) Ajayi, J. op. cit., Vol. II, P. 362

(٣٥٥) انظر شكل (٦) - (٧) - (٨) .

(٣٥٦) Cultru, p. : op. cit., p. 346.

(٣٥٧) Fage, J. : op. cit., p. 149.

اتجه عمر بفتوحاته صوب النيجر فغزا سيجو وحارب البمبارا واستولى على ماسينا وحقق نجاحاً كبيراً فى المنطقة [٣٥٨] .

وعندما عاد فيدهرب إلى السنغال خلال فترة ولايته الثانية ١٨٦٣ وجد بأن امبراطورية الحاج عمر قد اتسعت بدرجة كبيرة حقيقة أن عمر اتجه بفتوحاته نحو النيجر وأوقف نشاطه فى السنغال ، إلا أن فيدهرب اعتبر امتداد التكرور على هذا النحو خطراً كبيراً على النفوذ الفرنسى وخاصة وأنه كان يتطلع لإقرار الوجود الفرنسى فى المناطق الداخلية ، ولذلك أصدر تعليماته إلى الضابط البحرى أوجين ماج Eugéne Mage للتوجه فى بعثة إلى سيجو عاصمة عمر عام ١٨٦٣ [٣٥٩] .

وكان هدف فيدهرب من هذه البعثة هو التعاون مع الحاج عمر فى المستقبل القريب على الأقل ، طالما كانت الفرق الفرنسية مشغولة بتدعيم سيطرتها على الساحل وقد وافق وزير البحرية دى شاسلوب على إرسال هذه البعثة لأهميتها السياسية والتجارية . وكان هدف البعثة أيضا اكتشاف خط يربط بين الممتلكات الفرنسية فى أعالى السنغال وأعالى النيجر ، وخاصة باماكو وهى أقرب نقطة للفرنسيين على نهر النيجر كذلك إيجاد مراكز تجارية للقوافل ومراكز لها . وكان هدف فيدهرب بعد ربط السنغال بالنيجر أن يتم ربط السودان بالجزائر فى المستقبل البعيد [٣٦٠] .

وقد وصل ماج إلى سيجو مصطحبا معه أفراد البعثة ومنهم الدكتور كونتان Quintin الذى لعب دوراً هاماً أثناء المباحثات ، ولكن أحمدو.شيخو ابن الحاج عمر الذى استقبل البعثة وأبقى أفرادها لمدة عامين فى سيجو ومنعهم من مغادرة المنطقة وظلت البعثة فى سيجو حتى وفاة الحاج عمر ، وتولى أحمدو الحكم [٣٦١] . وقد أوضح أفراد البعثة رغبتهم فى التفاوض مع الحاج عمر للسماح لهم بإنشاء مراكز تجارية فى المنطقة الواقعة بين بافولابى وباماكو ولكن أحمدو رفض قبول إنشاء مراكز أو حصون فى أراضى التكرور [٣٦٢]

---

(٣٥٨) Crowder, M. : op. cit., Resistance, P. 60.

(٣٥٩) Hagreaves, J. ; op. cit., France, p. 151.

(٣٦٠) Hagreaves, J. : op. cit., France, pp 151–152.

(٣٦١) Crowder, M : op. cit., Colonial, p. 366.

(٣٦٢) Hagreaves, J. : op. cit., France, p. 152.

وكانت التعليمات الصادرة من فيدهرب إلى ماج تقضى باكتشاف المنطقة الواقعية بين السنغال والنيجر لإنشاء سلسلة من الحصون فيها تمهيداً للسيطرة عليها . وقد نشر فيدهرب فى جريدة Le Revue Maritime et Colonial مقالا بعنوان مستقبل الصحراء كتب فيه عن أهمية ربط السنغال بالنيجر وإنشاء الحصون على طول المنطقة الممتدة من ميدين على السنغال حتى باماكو على النيجر ولتحقيق هذا المشروع لابد من استكشاف هذه المنطقة ، كذلك اكتشاف أقاليم النيجر والمناطق الداخلية الغامضة (بالنسبة للفرنسيين) لكى يتمكنوا من السيطرة على التجارة الداخلية وتنظيمها ومنافسة انجلترا وقد دعا فيدهرب وزارة البحرية الفرنسية إلى ضرورة استخدام القوة العسكرية لمد النشاط الفرنسى صوب المناطق الداخلية للنيجر ، مؤكداً بأنها الوسيلة الوحيدة للسيطرة على المنطقة [٣٦٣] .

وقد انتهى الصراع بين فيدهرب والحاج عمر بوفاة الأخير بعد المؤامرة التى دبرها له البمبارا وتولى ابنه أحمدو شيخو الحكم ليواصل جهود والده ضد الفرنسيين كما سنرى فى الفصل الثالث .

عند تقييمنا لأعمال فيدهرب فى السنغال نلاحظ أنه كان أول من حقق لفرنسا أهدافها الاستعمارية بطريقة فعلية ولذلك ظلت خططه ومشاريعه نواة التغلغل الفرنسى فى غرب أفريقيا لعدة سنوات طويلة [٣٦٤] فقد اهتم بإرسال البعثات إلى المناطق الداخلية وذلك بغرض تدعيم السيطرة العسكرية عليها ، فقد كان يؤمن بأن الكشف يجب أن يعقبه الغزو العسكرى ، فقد أرسل البعثات إلى كل من بامبوك وكينييا فى أعالى النيجر واشتهرت هاتان المنطقتان بمناجم الذهب وكان غرضه من هذه البعثات هو استغلال ثروة المنطقة تمهيداً لغزوها . كذلك لاننفل أن اكتشاف مناجم الذهب فى مناطق العالم المختلفة (فى كاليفورنيا واستراليا) كان له تأثير فى جذب أنظار الفرنسيين أيضا إلى محاولة اكتشاف مناجم وثروات مماثلة فى أفريقيا [٣٦٥] .

يلاحظ بالنسبة للبعثات الكشفية التى أرسلها فيدهرب ، أنها اتخذت طرقا جديدة مختلفة عن البعثات السابقة فقبل قدوم فيدهرب كانت معظم البعثات الكشفية تتجه من

---

(٣٦٣) Mage, E. : op. cit., pp. 1 – 2.

(٣٦٤) Cultru, p. : op. cit., p. 354.

(٣٦٥) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 69.

خليج غينيا نحو الشمال ولكن هذا الطريق كلف فرنسا الكثير من الأموال بالإضافة إلى صعوبة عبور منطقة الغابات الكثيفة ، ولكن منذ مجىء فيدهرب إلى السنغال قرر أن يكون تقدم البعثات شرقاً انطلاقا من سانت لويس فى السنغال (٣٦٦) .

ورغم استخدام فيدهرب العنف لإقرار السلام فى السنغال ضد القبائل الموريتانية والحاج عمر إلا أنه اضطر إلى الاعتماد على القوى الوطنية المحلية فى تحقيق أهدافه التوسعية فكون فرقًا عسكرية من الرماة السنغاليين ، ضمت عدداً كبيراً من الرقيق المحرر (٣٦٧) وكان الغرض من هذه الفرق هو القتال إلى جانب الفرنسيين ، وذلك نظراً لقدرة الأفارقة على تحمل طقس بلادهم ، ودرايتهم بالمناطق الداخلية فيها . أما الأوربيون فكان من الصعب فى ذلك الوقت تكوين فرق عسكرية منهم لعدم قدرتهم على تحمل طقس المنطقة والقتال فى أماكن نائية مجهولة بالنسبة لهم ، كذلك أوجد فيدهرب فى فرق الفرسان وظيفة جديدة هى Saphis أى ملازم ثانى من الوطنيين (٣٦٨) .

ولم يقتصر اعتماد فيدهرب على القوى الوطنية فى المجال العسكرى فحسب وإنما اعتمد عليهم أيضا فى النواحى الإدارية ، فخلال فترة حكمه عاونه بو المجدد فى إدارة شئون المستعمرة وكان من ضمن أعضاء المحكمة الإسلامية التى ألفها فيدهرب فى السنغال (٣٦٩) .

اهتم فيدهرب بالنواحى الإقتصادية والإجتماعية فى مستعمرة السنغال ولكن يلاحظ أن ذلك الاهتمام كان بدافع خدمة أهدافه الإستعمارية ، فخلال فترة حكمه الأولى اهتم بتطوير الزراعة ، وإنعاش التجارة ، وشجع زراعة الفول السودانى الذى اعتبر من أهم المصادر الاقتصادية فى السنغال فتم زراعته بكميات كبيرة فى ساحل بئول وكايور ، أما الصمغ فقد جمع من داجنا وبودور وباقل وماتام وميدين (٣٧٠)

وفى عام ١٨٥٧ تم بناء داكار وفى عام ١٨٦٠ أصدر وزير المستعمرات أمراً بضم جوريه إلى السنغال التى قسمت بدورها إلى ثلاث دوائر باقل - جوريه - سانت لويس . وتم بناء

---

(٣٦٦) Adloff, R. : op. cit., p. 145.

(٣٦٧) Cultru, p. : op. cit., p. 357.

(٣٦٨) Anderson, J. : op. cit., p. 136.

(٣٦٩) Hagreaves, J. : op. cit.. France, p. 148.

(٣٧٠) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 69.

جسر ربط بين كل من سانت لويس وجزيرة جات ندار ، كما شيد جسرا آخر ربط بين سانت لويس وجزيرة سور [٣٧١] كذلك تم رصف الطرق بين روفسك وتيس Thiés [٣٧٢] وبين كل من داكار وسانت لويس [٣٧٣] .

اهتم فيدهرب بإصدار جريدة بعنوان Le Moniteur du Sénegal وكانت تحوى تقارير عسكرية وجغرافية ومالية ومثلت هذه الجريدة صوت الحاكم كما حوت إرشادات زراعية لمزارعى السنغال ، ومعلومات تجارية [٣٧٤] . كذلك أولى فيدهرب المدارس اهتمامه ، فاهتم بإنشاء المدارس الإسلامية وأصدر أمراً عام ١٨٥٧ بإنشاء هذه المدارس ، كما سمح أيضا للمرابطين بإنشاء المدارس فى ١٦ أكتوبر ١٨٥٧ ، وفى الوقت نفسه انتشرت البعثات التبشيرية فى السنغال ، وتم فتح مدارس فرنسية فى كل من سانت لويس وباقل وداجنا [٣٧٥] .

نلاحظ أن فيدهرب اهتم بإنشاء المدارس الفرنسية لخدمة أغراضه العسكرية ولنشر النفوذ الفرنسى ، كذلك نشطت فى فترة حكمه البعثات التبشيرية ولكنه فى نفس الوقت كان حريصا على احتواء الوطنيين والعمل على إرضائهم ولو مؤقتا فسمح لهم بإنشاء المدارس الإسلامية ورغم استخدامه العنف ضد الوطنيين إلا أنه اهتم بدارسة العادات والتقاليد السائدة فى المنطقة ، حتى أنه طلب من البعثات الكشفية التى أرسلها ضرورة كتابة وتدوين تقارير عن النواحى الاجتماعية فى المناطق التى يصلون إليها [٣٧٦] .

لقد تشابهت آراء فيدهرب إلى حد كبير مع آراء سيسل ردوس Cecil Rodos الذى تطلع لمد النشاط البريطانى من الكاب حتى القاهرة أما فيدهرب فقد كان أمله هو إنشاء امبراطورية فرنسية تمتد من السنغال فى غرب أفريقيا حتى شرق القارة أى إن رودس أراد أن تشطر الممتلكات البريطانية القارة الإفريقية رأسيا ، بينما أراد فيدهرب أن تقسم الممتلكات الفرنسية القارة أفقيا [٣٧٧] .

---

(٣٧١) Cultru, P. : op. cit., p. 358.

(٣٧٢) انظر شكل (٩) .

(٣٧٣) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 69.

(٣٧٤) Ibid., p. 69.

(٣٧٥) Cultru, p. : op. cit., Histoire, p. 360.

(٣٧٦) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 73.

(٣٧٧) Anderson, J. : op. cit., p. 136.

كذلك شبه فيدهرب بالحاكم العام الفرنسى فى الجزائر راندون Randon الذى عين من عام ١٨٥١ حتى ١٨٥٩ فكلاهما عمل على تحقيق مشاريع الامبراطورية الثانية ونابليون الثالث عن طريق استخدام القوة العسكرية فى أفريقيا ، فالأول وسع حدود مستعمرة السنغال وقضى على الأخطار التى هددتها شمالا وشرقا وعمل على بناء الحصون العسكرية فى المنطقة ، واهتم بإرسال البعثات إلى مختلف أنحاء البلاد ، فدعم بذلك سيطرة فرنسا على السنغال . أما الثانى فقد تصدى لنشر النفوذ الفرنسى وبفضل جهوده تقدمت فرنسا نحو الجنوب حتى وصلت بقواتها إلى حافة الصحراء ، حيث مركز الطوارق ، كما تولى راندون بنفسه تطوير ثروات البلاد وأعاد للجزائر علاقتها التجارية مع الصحراء ، ومع غرب أفريقيا وركز جهوده فى جنوب الجزائر منذ ١٨٥٦ وأرسل البعثات إلى الصحراء لفتح المجال لإقامة علاقات تجارية مع توات وجات [٣٧٨] .

لقد نجح فيدهرب فى تحقيق أهدافه الاستعمارية فوضع الملامح الرئيسية لمستعمرة السنغال ، بعد أن وسع حدودها وضم إليها أراضى جديدة ، وأصبحت السنغال تمثل مستعمرة فرنسية بعد أن كانت مجرد وكالات تجارية منتشرة فى كل مكان [٣٧٩] .

وأخيرا يلاحظ أن معظم المؤرخين الغربيين أجمعوا على وصف فيدهرب بأنه باعث النهضة فى السنغال ، وأنه حقق الكثير من أجل تطوير الأفارقة وتعليمهم وأسدى إليهم الكثير من الخدمات ، ولكن فى الواقع أن كل إصلاحات فيدهرب اتسمت بالصبغة الاستعمارية ، فما قيل عن تطوير المستعمرة ، ورصف الطرق وإنشاء الجسور كان فى الواقع الهدف منه استغلال موارد المنطقة ، وتيسير الاتصال مع المناطق المنتجة ولتحقيق أكبر قدر ممكن من الفوائد الاقتصادية كذلك اعتماده على القوى الوطنية وخاصة الرماة السنغاليين لم يكن الهدف منه إنسانيا بقصد تعليم الأفارقة القتال أو استخدام الأسلحة الحديثة ، وإنما أراد به فيدهرب الاستفادة من خبرتهم ودرايتهم بالمنطقة للحصول على نتائج سريعة فى حملاته ولإدراكه كذلك ضعف قدرة الأوربيين على احتمال طقس المنطقة التى كانوا مازالوا يجهلونها والدليل على ذلك عندما تعارضت مصلحته مع مصلحة الوطنيين كما حدث مع الحاج عمر كشف عن وجهه الحقيقى . كما أننا لانغفل له تدميره وإحراقه للقرى التى

---

(٣٧٨) Boahen, A. : op. cit., p. 223.

(٣٧٩) Gann, L. H. : op. cit., Vol. I, p. 133.

رفضت الخضوع لسلطاته وإجباره الزعماء الوطنيين فى منطقة سنغمبيا توقيع معاهدات حماية معه .

ولذلك فإن فكرة تصويره بأنه كان محباً للسلام وللعدل فكرة مبالغ فيها من قبل المراجع الأجنبية ، فهو أول من استخدم نظرية السلام أو الحرب وأول من سعى لتطبيق نظرية التوسع الفرنسى فى المنطقة بطريقة فعلية وعملية .

٢ - السنغال بعد رحيل فيدهرب :

خلف بينيه لابراد Pinet Laprade فيدهرب فى حكم السنغال ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقى لمستعمرة أنهار الجنوب وذلك لما بذله خلال فترة حكمه من تدعيم السيطرة الفرنسية فى هذه المنطقة كذلك اشتهر لابراد بعملياته العسكرية ضد الولوف فى كايور ، من أجل إخضاعهم للنفوذ الفرنسى [٣٨٠] .

عمل لابراد على عقد المعاهدات مع الزعماء المحليين فى منطقة أنهار الجنوب ، كما أسس مراكز عسكرية فى كل من بوكيه Boké (Nunez) وبوفا Boffa (Pongo) وبنتى Penty (Mellacorée) [٣٨١] وكان غرضه الرئيسى من تدعيم النفوذ الفرنسى فى هذه المنطقة هو ضمان استقرار مستمرة السنغال من ناحية حدودها الجنوبية بالإضافة إلى رغبته فى منافسة النشاط التجارى البريطانى فى سيراليون فى منطقة الميلاكورى [٣٨٢] وعند نهر سكرسيس Scarcies وفوريكاريا Forécarich [٣٨٣] .

وبالإضافة إلى اهتمام لابراد بمنطقة أنهار الجنوب ، إلا أن هذا الاهتمام لم يمنعه من التركيز على المنطقة المتاخمة للسنغال لمنطقة سين وسالوم التى عمل فيدهرب من قبل على فرض السيطرة الفرنسية عليها . ولكن هذه المنطقة شهدت حركة إصلاح دينى بزعامة أحد المرابطين وهو مابا الذى أعلن الجهاد ضد الوثنيين ، متأثراً بحركة الجهاد التى أعلنها الحاج عمر من قبل ، وأخذ مابا ينشر الإسلام فى المنطقة ، وقد ساعد فى علو شأنه أن الحاج عمر أعلن فى عام ١٨٥٠ بان ماباهو نائبه فى منطقة سنغمبيا ، فحقق بذلك نجاحاً كبيراً وتزايد أتباعه بدرجة ملحوظة أفزعت الفرنسيين [٣٨٤] كذلك امتد نشاط مابا إلى منطقة

---

(٣٨٠) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 55.

(٣٨١) انظر شكل (٥) - (٧)

(٣٨٢) Gann, L. A. : op. cit., Vol. I, p. 135.

(٣٨٣) انظر شكل (٥) - (٦) - (٧) .

(٣٨٤) Zerbo, J. op. cit., p. 417.

الريب Rip ، فقام أتباعه بقتل ملكها الوثنى فى عام ١٨٦١ ، وأسس مدينه نيورو(٢٨٥) كما قام بغرو باؤول وسالوم وأحرق الحاصلات ، الزراعية فيها وأخذ فى تحريض السكان على الثورة ضد الفرنسيين (٢٨٦) .

ولم يكتف مابا بتهديد المصالح التجارية الفرنسية فى المنطقة ، وإنما هدد أيضا التجارة البريطانية فى غمبيا وخاصة فى المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى لنهر غمبيا ، وقد استاء الحاكم البريطانى فى غمبيا دارس D'Arcy من جراء الاضطرابات التى سببها اتباع مابا فى المستعمرة ، وخاصة وأنهم أخذوا فى الإغارة على عدة قرى تابعة لمناطق النفوذ البرطانى فهاجموا قرية نيومى Niumi واسان Essan فى ٢٦ مايو ١٨٦٢ وتحركت الفرق البريطانية لنجدة سكان المنطقة ، ويرجع هجوم مابا على هذه القرى وخاصة نيومى التى كانت محل للنزاع بينه وبين جماعات السوننكة ، فحاول دارسى إنقاذ الموقف من التدهور وأجرى مصالحه بين الطرفين . ولكن جميع الجهود التى بذلها فشلت فكتب إلى حكومته يقترح عليها حلا للنزاع أن تبادر بريطانيا وتعلن حمايتها على قرية نيومى ولكن الحكومة البريطانية رفضت اقتراحه فى ١٦ يونيو ١٨٦٢ (٢٨٧) .

وهكذا نلاحظ أن مابا فى فترة قصيرة أصبح بمثل عدواً مشتركا لكل من الفرنسيين فى منطقة سين وسالوم وللبريطانيين عند الضفة اليمنى لنهر غمبيا وترتب على ذلك ضرورة تعاونهما ضده لإحساسهما بالخطر المشترك وينبغى أن نشير بأن هذا التعاون لم يكن الأول من نوعه ، ففى عام ١٨٦١ أرسل حاكم السنغال بعض الفرق العسكرية الفرنسية لمساعدة حاكم غمبيا فى وضع حد للحروب الأهلية فى المنطقة (٢٨٨) .

وقد بذل دارسى جهوداً كبيرة لمنع انتشار الفوضى فعاود الاتصال بمابا والسوننكه فى محاولة للاصلاح بينهما من جديد ، وأخيراً تعهد مابا فى ٢٤ فبراير ١٨٦٣ بعدم التدخل فى شئون القرية أو سكانها ، ثم تحول بقواته لمحاربة السرير والولوف استكمالا لغزواته (٢٨٩) .

---

(٢٨٥) Ibid., p. 417.

(٢٨٦) Beslier, G. : op. cit., p. 149.

(٢٨٧) Gay, J. : A History of Gambia (Cambridge 1940), pp. 420 – 422.

(٢٨٨) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 107.

(٢٨٩) Gay, J. : op. cit., pp. 423 – 424.

وظلت عمليات مابا العسكرية ضد الوثنيين تثير الرعب فى المنطقة وتسبب الاضطرابات للفرنسيين فى السنغال ، ونظراً لتزايد قوته اضطروا إلى عقد معاهدة معه فى ١٦ أبريل ١٨٦٤ اعترفوا فيها بسيادته على منطقة سالوم ، وكان الهدف الحقيقى من وراء هذه المعاهدة هو منعه من إثارة الوطنيين ضد الفرنسيين ، كذلك عدم التعاون مع لات ديور فى منطقة كايور مما قد يؤدى إلى تهديد مستعمرة السنغال تهديداً خطراً من جراء هذا التعاون [٣٩٠] .

وقد انتهز السوننكة فرصة ابتعاد مابا بقواته عنهم وتركيزه لنشاطه ضد السرير والولوف فشنوا هجوما على قواته وألحقوا بها خسائر فادحة واضطروه إلى الفرار إلى التكرور ورغم ذلك ظل يحارب السرير لنشر الإسلام بينهم وقد قتل ١٨٦٣ فى سومب Somb فى إحدى معاركه ضدهم [٣٩١] .

أما الحكومة الفرنسية فقد أرسلت إلى لابراد بضرورة وقف عملياته العسكرية فى منطقة أنهار الجنوب وجنوب السنغال ، وذلك لأنها كلفت الدولة الكثير من الأموال فبدأ لابراد فى إحلال السلام فى المنطقة ساعده على ذلك مقتل مابا فعقد سلسلة من المعاهدات مع الحكام الوطنيين تعهدوا فيها بعدم إثارة الاضطرابات للفرنسيين [٣٩٢] .

وهكذا نلاحظ أن بعد رحيل فيدهرب ، تركز الاهتمام الفرنسى على منطقة جنوب السنغال وتأمين الحدود الجنوبية للمستعمرة ، ولكن رغم هذه الجهود لم يستطيع خلفاء فيدهرب تحقيق أن تقدم ملموس فى المنطقة خلال الخمسة عشر عاما التالية .

فى عام ١٨٦٩ عين الكولونيل فاليير Valiére حاكما على السنغال وقد اتبع نفس سياسة لابراد وهى إحلال السلام ، وعدم الاصطدام مع القوى الوطنية وقد تلخصت سياسة الحكومة الفرنسية خلال هذه الفترة بعدم التوسع والتزام سياسة أكثر هدوءاً ، بعد فترة التوسع التى شهدتها المستعمرة فى عهد فيدهرب ولكن ليس معنى ذلك التخلى عن الأراضى التى ضمتها فرنسا ، وإنما المحافظة عليها وعدم التوسع أو التورط فى أية عمليات عسكرية جديدة بدون مبرر [٣٩٣] .

---

(٣٩٠) Forde, D. : West African Kingdoms in the Nineteenth century (L. 1969)

(٣٩١) Zerbo, J. : op. cit., p. 417.

(٣٩٢) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 55.

(٣٩٣) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, P. 64.

وجدير بالذكر أن التجار الفرنسيين فى المنطقة كان لهم رأى آخر مخالف لسياسة الحكومة الفرنسية ، لأنهم كانوا يشجعون خطوات فرنسا الاستعمارية فى المنطقة ويؤيدون سياسة فيدهرب وأسلوبه فى الحكم وذلك لأنها خدمت مصالحهم التجارية وفتحت أمامهم الطرق المؤدية إلى المناطق الداخلية ، كما وفرت لهم أسواقاً جديدة للاستغلال . ولكن رغم ذلك فإن فترة السياسة السلمية المؤقتة التى اتخذها خلفاء فيدهرب ازدهرت فيها التجارة أيضا وحقق التجار أرباحا كثيرة ، وخاصة من تجارة الفول السودانى الذى أقبل الزنوج على زراعته على الضفة اليسرى للسنغال وفى كايور وسالوم وغمبيا بالإضافة إلى تجارة الصمغ (٣٦٤) .

إذن يمكننا أن نلخص السياسة الفرنسية فى غرب أفريقيا بأنها فى منتصف القرن التاسع عشر تغيرت تماماً بمجىء فيدهرب إلى السنغال الذى كان أول من اتخذ سياسة اتسمت بالجرأة فى التوسع ، وتنفيذ المشاريع واضعا بذلك أسس استعمار غرب أفريقيا متخذاً من السنغال محوراً للانطلاق أما خلفاؤه فلم يستطيعوا أن يكونوا بمثل قوته ، أيضا الحكومة الفرنسية كانت تنظر إلى التوسع بعين الحذر وكذلك اتسمت أحوال المستعمرة وحتى الحرب السبعينية بالهدوء والاستقرار وعدم التورط فى ضم أية أراضى جديدة .

وعندما هزمت فرنسا فى الحرب السبعينية وصلت أنباء هذه الهزيمة وانهيار الامبراطورية الثانية إلى سانت لويس ونشر فى إعلان رسمى فى الجريدة الرسمية فى ١٤ اكتوبر ١٨٧٠ خبر تكوين الجمهورية الثالثة . وكان رد الفعل لدى الأفارقة هو الابتهاج لهزيمة فرنسا التى مثلت فى نظرهم المسيحية . وكان للحرب السبعينية أثرها على المستعمرة ، فقد سارعت فرنسا بسحب فرقها منها كذلك من حصون ساحل غينيا فى جران سام واسينى وقد شعر الفرنسيون فى المستعمرة بأثر هذه الهزيمة فذكر بول هول بأن الإسلام سيقوى بعد الآن (٣٦٥) .

ولكن فرنسا بدأت فى استعادة نشاطها فى المستعمرة عام ١٨٧٩ فبدأت تتخذ سياسة أكثر نشاطا فى المنطقة تلخصت فى رغبتها فى ضم ممتلكاتها فى غرب أفريقيا وتكوين حزام من المستعمرات الإفريقية يمتد من الغرب عبر السودان حتى الساحل الشرقى الإفريقى عابراً

---

(٣٦٤) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 64.

(٣٦٥) Guernier, E. : op. cit., Tome IV, p. 55.

الكونغو والحبشة حتى مدغشقر ، ولكن هذه الخطة قطعها كتشنر وأنهاها فى فاشودة ومنعت انجلترا فرنسا من تحقيق هذا الحلم وأجبرتها على التوقف بزحفها حتى تشاد فقط (٢٩٦) .

وجاء تعيين بريير دى ليل Briére De L'isle خلفا لفالبير فحكم من عام ١٨٧٦ إلى ١٨٨١ ، وركز اهتمامه فى كل من غمبيا وفوتا ونجح فى القضاء على بعض الثورات البسيطة والتى لم يكن لها خطر كبير على الوجود الفرنسى فقد ثار توديه كابا Todé Kaba فى غمبيا وأرسل إليه بريير حملة بقيادة ريبان Reyband الذى نجح فى إلحاق الهزيمة به ، واعتلاف السرير فى سين بالحماية الفرنسية على بلادهم عام ١٨٧٧ . كذلك ثار ضد الفرنسيين فى فوتا عبد الله بوبكر زعيم البوسيبه Bosseya وقام بتحطم الخطوط البرقية لإظهار عدائه لهم فحطم الخطوط بين كل من سلديه وباقل فذهب دى ليل بنفسه إلى سلديه وضم مقاطعة ايرلابه Irlabé ولاو Lao إلى السنغال . فى ٢٤ اكتوبر ١٨٧٧ ، كما عقد معاهدة مع امام فوتا محمد أحمد الذى سلم له المقاطعتين السابقتين واحتفظ لنفسه بنجومار Nguomar وبوسيبه ولكن عبد الله بوبكر ظل على عدائه مع الفرنسيين حتى هزمه دى ليل ، واضطر فى النهاية إلى إعلان خضوعه عام ١٨٨١ (٢٩٧) .

ركز دى ليل اهتمامه على مد النفوذ الفرنسى صوب النيجر فوضع عدة مشروعات لمد الخطوط الحديدية من السنغال صوب النيجر ، وفى عام ١٨٧٨ وضع مشروعا لمد خط حديدى يصل بين سانت لويس وداكار وخط آخر يصل ميدين إلى كايس والثالث يصل حتى النيجر قرب باماكو وقد وافق جور جيبيرى وزير البحرية على مد خطوط السكك الحديدية ، وافتتح الخط الأول من سانت لويس إلى داكار عام ١٨٨٥ وامتد الخط الثانى من كايس حتى بافولانى وفى عام ١٨٩٠ تم افتتاح خط داكار ركايس (٢٩٨) .

---

(٢٩٦) Reeve, Henry, Fenwick; The Cambia (London 1912) p. 100.

(٢٩٧) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 164.

(٢٩٨) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 254.

٣ - السنغال فى أعقاب مؤتمر برلين :

بعد انعقاد مؤتمر برلين نشطت السياسة الفرنسية فى غرب أفريقيا واتخذت فرنسا من السنغال قاعدة لها للانطلاق نحو المناطق الداخلية ولتحقيق هذا الهدف أو بمعنى آخر لإحكام السيطرة الفرنسية على الأراضى الداخلية ، كان لابد أولا من تثبيت النفوذ الفرنسى فى المستعمرة الرئيسية وهى السنغال بصفتها قاعدة للانطلاق ومركزاً للتوغل ، ولكن استتبع ذلك الاصطدام مع القوى الوطنية التى تمثلت فى ذلك الوقت فى كل من لات ديور فى كايور ومحمدو لامين زعيم الساراكولى .

(ا) لات ديور زعيم كايور :

اشتهرت مملكة كايور[٣٩٩] بثروتها الزراعية ولذلك أثارت مطامع الكثيرين وخاصة القبائل الموريتانية التى دخلت فى نزاع معها بزعامة محمد الحبيب . أما عن علاقة كايور بالفرنسيين فقد بدأت عندما سمح لهم ملك كايور بيريما Bairaima عام ١٨٥٩ بإنشاء خط تلغرافى يربط بين سانت لويس وداكار ، ولكن تولى خليفته ماكودو Macodou الحكم رفض تنفيذ ذلك الاتفاق فأرسل إليه فيدهرب قوة عسكرية نجحت فى دخول العاصمة وكتب ماكودو إلى فيدهرب محتجا على هذا الغزو ، إلا أنه اضطر فى النهاية إلى توقيع معاهدة مع الفرنسيين فى أول فبراير ١٨٦١ وافق فيها على مد الخط التلغرافى ، كذلك وافق على بناء حصون فرنسية فى أراضيه فى كل من مبورو M'boro ولامبول Lompoul ، ومبيدجيم Mbidjem[٤٠٠] وجميع هذه الحصون تقع على الطريق الموصل إلى داكار ، كذلك وافق الملك على السماح للأوروبين بحرية التجارة والمرور فى أراضيه وفى مقابل هذه المعاهدة تعهد فيدهرب للملك بمساعدته ضد أعدائه ومعاونته فى الاحتفاظ بعرشه فى كايور[٤٠١] .

---

(٣٩٩) كايور الآن محافظة من محافظات السنغال ولكنها فى القرن الـ ١٩ كانت مملكة يسكنها الولوف وقد امتدت ١٥٠٠ ميلا من الجنوب الغربى حتى الشمال العربى و٨٠ ميلا من الشمال إلى الجنوب وتقع بين سانت لويس فى الشمال وروفسك فى الجنوب وأهم أقاليمهما ديمبور Diambour ومابوار Mabawqr - سنيكور Sanyokor ديندر Dyander وجات Ghet وكان زعماء القرى من المرابطين يعينهم الملك بنفسه وقد لقب الأخير بلقب دامل Damel اى ملك .

(٤٠٠) انظر شكل (٩) .

(٤٠١) Cultru, p. : op. cit., p. 351.

ولكن ما لبث الملك ماكودو أن حنث بوعده ورفض تنفيذ شروط المعاهدة فأصدر فيدهرب أوامره إلى فرقة فرنسية بالتقدم فى أراضى كايور حتى وصلت نجيجى Nguigui فلجأ الملك بدوره إلى التحالف مع الترارزة ضد الفرنسيين ، ولكن القوات الفرنسية نجحت فى إلحاق الهزيمة به واضطر إلى الفرار إلى سالوم (٤٠٢) وعين فيدهرب ماديوديو Madiodio بدلا منه ، فقبل توقيع معاهدة مع الفرنسيين إلا أنه سرعان ماانقلب عليهم ، وذلك بعد رحيل فيدهرب وانتهاء فترة ولايته الأولى فى السنغال (٤٠٣) .

ثم نجح لات ديور (٤٠٤) فى انتزاع الحكم من ماديوديو وألحق الهزيمة به فى نجولجول Ngolgole عام ١٨٦٢ وقد لعب لات يور دوراً كبيراً فى منطقة كايور ضد الفرنسيين فقد رفض منذ توليه الحكم التعاون معهم ، ولذلك عملت إدارة السنغال على عودة ماديوديو إلى الحكم فى كايور ونجحت فى نفى لات ديور من المنطقة لمدة أربع سنوات ١٨٦٤ - ١٨٦٨ حيث أقام فى سين وغمبيا (٤٠٥) .

وقد اهتم الفرنسيون بمنطقة كايور اهتماماً كبيراً فبعد عودة فيدهرب على حكم السنغال وخلال فترة حكمه الثانية قسم كايور إلى سبع وحدات إدارية ، وعين على كل منها زعيماً محلياً يتم اختياره من قبل الفرنسيين فقد أدرك فيدهرب أن كايور هى مفتاح المواصلات بين سانت لويس وداكار (٤٠٦) .

أما لات ديور فقد سعى للعودة مرة ثانية إلى الحكم بعد نفيه ولم يجد سوى إعلان ولائه للفرنسيين حتى يستعيد قوته ، فأعلن عام ١٨٦٩ استعداده لقبول السيطرة الفرنسية وأبدى هذه الرغبة للحاكم الفرنسى فالبير فعينه حاكماً على منطقة جات فقط ، ولكن لات ديور رفض الاكتفاء بهذه المنطقة ، واستأنف الجهاد ضد الفرنسيين حتى عام ١٨٧١ حيث تم توقيع معاهدة بين الطرفين ، أصبح لات ديور بمقتضاها ملكا على كايور ولكن مع اعترافه بالحماية الفرنسية (٤٠٧) .

---

(٤٠٢) Ibid., p. 352.

(٤٠٣) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٤٠٤) ولد لات ديور فى عام ١٨٤٢ فى بيئة وثنية ولكنه تلقى تعليما دينيا على يد المرابط بابكر ميباى Babakar - Mbay ثم أنتقل إلى نجيجى ومنها إلى Sagata حيث أقام فيها .

(٤٠٥) Zerbo, J. : op. cit., p. 415.

(٤٠٦) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 100.

(٤٠٧) Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

إذا حاولنا تعليل سبب قبول الفرنسيين توقيعهم معاهدة مع لات ديور خلال هذه الفترة ، سنجد أنه بسبب الحرب السبعينية وانسحاب الفرق الفرنسية من السنغال أراد الحاكم الفرنسى المحافظة على هدوء الموقف فى المستعمرة وتجنب التورط فى أية اشتباكات جديدة أو معارك حربية لا قبل له بها ففضل خلال هذه الفترة مهادنة القوى الوطنية ولو مؤقتا ولكن يلاحظ أنه رغم تحالف لات ديور مع الفرنسيين إلا أنه رفض دائما فكرة إقامة خطوط حديدية فى كايور فخلال هذه الفترة أرادت فرنسا مد خط حديدى من سانت لويس إلى داكار ، ورغم توقيع لات ديور معاهدة أخرى مع الفرنسيين عام ١٨٧٩ وافق فيها على مد الخط الحديدى فى أراضيه ، إلا أنه سرعان ما ثار مرة أخرى ضد الفرنسيين ، وأعلن رفضه لمد أى خطوط حديدية فى بلاده ، ولذلك عمل الفرنسيون على إبعاده من كايور وعينوا ساميا يحيى فال Samba Yahya Fall بدلا منه (٤٠٨) .

وظل لات ديور يثير المشاكل للفرنسيين ، فتحالف مع قبائل الترارزة . كذلك نجح فى تجميع الولوف ضد الفرنسيين ، واضطر الفرنسيون إلى اتخاذ موقف يتسم بالشدة فأعلنوا الحماية على كابور فى ٢٨ اغسطس ١٨٨٣ وعينوا سامبا لاؤيبه Samba Laobé ملكا عليها . ثم اتخذت الإدارة الفرنسية فى السنغال سياسة أكثر عنفاً مع لات ديور الذى استمر يثير المتاعب ضد الفرنسيين ويحرض الولوف على الثورة ضدهم وقد نجح فى هزيمة الفرق الفرنسية المدربة والمجهزة بأحدث الأسلحة وقد اضطرب الموقف فى السنغال بسبب انتصارات لات ديور ورفضه الدائم لإنشاء الخطوط الحديدية فى أراضيه بل لجأ أيضا إلى تدمير المنشآت الفرنسية فى المنطقة ، ولذلك كثفت إدارة السنغال الحملات العسكرية ضده وخاصة فى الفترة ما بين ١٨٨٤ - ١٨٨٦ حتى تمكنت فى النهاية فى التخلص منه وقتل لات ديور عام ١٨٨٦ بالقرب من آبار دياجليه Dyaglé (٤٠٩) .

لقد درات معارك عنيفة بين لات ديور والفرنسيين ولكل منهم دوافعه الخاصة فالإدارة الفرنسية فى السنغال ترى ضرورة مد الخطوط الحديدية من أجل إنعاش تجارة الفول السودانى ، أما لات ديور فقد أيقن بأن مد الخط الحديدى داخل الأراضى التابعة له سيتبعه

---

(٤٠٨) Forde, D. : op. cit., p. 273.

(٤٠٩) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 79.

إنشاء المراكز الفرنسية العسكرية ولذلك حاول أيضا من جانبه بالإضافة إلى تدميره الخطوط الحديدية . عمل على وقف نشاط تجارة الفول السودانى فدمر مزارعه وعمل على منع زراعته ليمنع توافد الأوربيين على بلاده . ولكنه أغفل أن التوسع الفرنسى فى كايور إنما هو جزء من خطة عامة رسمتها الإدارة الفرنسية للتوسع العسكرى فى غرب أفريقيا كله [٤١٠] .

وجدير بالذكر أن مقتل لات ديور لم يحل السلام فى المنطقة ، وذلك نتيجة لظهور على بورى [٤١١] زعيم الولوف الذى اتخذ من يانج يانج Yang Yang عاصمة له منذ عام ١٨٧٥ ، وأعلن نفسه ملكا على الولوف ، وعندما تزايد عدد أتباعه كون دولة من الولوف وبدأ فى إثارة الاضطرابات للفرنسيين فى كايور فحارب سامبا ملك كايور وحليف الفرنسيين ونجح فى إلحاق الهزيمة به فى جيليه Gilé ، وقد تخوف الفرنسيون من تزايد قوته فأرادوا أن يأمنوا جانبه ولذلك سارعوا بعقد معاهدة معه فى عام ١٨٨٩ حيث قبل الحماية الفرنسية على أراضيه ، ووافق على إنشاء خط حديدى [٤١٢] . ولكن بتزايد النفوذ العسكرى الفرنسى فى المنطقة تحالف على بورى مع أحمدو شيخو زعيم التكرور واشترك معه فى محاربة القوات الفرنسية ، ولكن فى عام ١٨٩٠ استطاع القائد الفرنسى دودز Dodds أن يستولى على عاصمة على بورى ففر إلى التكرور وأقام فترة لدى أحمدو شيخو حتى إستيلاء الفرنسيين على أراضى التكرور ففر بدوره إلى سوكوتو . وقد حاول على بورى إنشاء مملكة فى داهومى فى الأراضى الداخلية منها ، ولكن الفرنسيين ألقوا القبض عليه فى دوجند وتشى Dogondoutchi الواقعة على بعد ثلاثة كيلو مترات من دجلوف Djolof حيث تم قتله [٤١٣] .

وهكذا واجه الفرنسيون الاضطرابات فى منطقة كايور حتى أواخر القرن التاسع عشر ، واستغرقوا فترة طويلة حتى تمكنوا من تدعيم سيطرتهم عليها ، ولكن كان عليهم أيضا تدعيم السيطرة الفرنسية على منطقة سنغمبيا حيث نشط محمدو لامين زعيم الساراكولى .

---

(٤١٠) Forde, D. : op. cit., p. 274.

(٤١١) ولد على بورى عام ١٨٤٢ وتلقى تعليمه فى كايور وقد عمل مع قوات مابا فى المنطقة وحارب معه ضد الفرنسيين .

(٤١٢) Zerbo, J. : op. cit., p. 419.

(٤١٣) Ibid., p. 421.

(ب) محمدو لامين فى سنغمبيا :

ظهرت حركة محمدو لامين فى منطقة سنغمبيا Senegambia فى الفترة التى أعقبت مؤتمر برلين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ ، أى فى الفترة التى بدأت فيها فرنسا فى تدعيم سيطرتها على غرب أفريقيا بواسطة القوى العسكرية . وكان هدف لامين من حركته ، هو تكوين إمبراطورية من الساراكولى على غرار امبراطورية التكرور التى أسسها الحاج عمر [٤١٤] وقد امتدت دولة لامين فى منطقة سنغمبيا وشملت كل من بامبوك ، وبوندو ، وجوى Guoy وخاسو ، كما شملت إمارات ديافونو Diafounou وجويد يمكه Guidimaka [٤١٥] الواقعة بالقرب من كارته [٤١٦] .

تلقى لامين تعليماً دينياً ، فقد كان والده يعمل قاضياً فى جونديورو Goundiourou مسقط رأسه ، وكانت من أهم المراكز الدينية التى كثر فيها عدد المرابطين ، ونظراً لأهميتها توافد عليها عدد كبير من رجال الدين حتى اعتبرت مدينة مقدسة ولها هيبة خاصة بالنسبة للساراكولى . وقد تلقى لامين تعليمه على يد والده ثم تعلم بعد ذلك فى عدة مراكز أخرى فى كل من سنغمبيا وفوتا تورو [٤١٧] .

وفيما بين عامى ١٨٦٨ و ١٨٦٩ أدى لامين فريضة الحج ثم عاد إلى بلاده وأثناء عودته وقع أسيراً فى يد قوات أحمدو شيخو زعيم التكرور فمكث لديه حوالى سبع سنوات ١٨٧٨ – ١٨٨٥ مما كان له أثر بعد ذلك فى توتر العلاقة بين الطرفين [٤١٨] .

وعندما عاد لامين إلى بلاده ، صمم على تكوين امبراطورية من الساراكولى فحل محل امبراطورية التكرور . وكان معنى هذا أن لامين عليه مواجهة كل من التكرور والفرنسيين [٤١٩] .

أما بالنسبة للفرنسيين فكان لابد من اصطدام لامين معهم وخاصة وأن فرنسا بدأت فى توسيع نفوذها مدعمة بالحملات العسكرية ولكن حتى عام ١٨٨٥ لم يحدث صدام بين

---

(٤١٤) Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

(٤١٥) انظر شكل (٨) .

(٤١٦) Crowder, M. : op. cit., Resistance, P. 80.

(٤١٧) Ibid., P. 84.

(٤١٨) Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

(٤١٩) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 71.

الطرفين وإنما كل ما حدث بعض المناوشات التى سرعان ما كانت تنتهى . ففى عام ١٨٨٠ ثار الساراكولى فى قرية جوتيويل Goutiouble وهاجموا بعثة طبوغرافية فرنسية بقيادة سيلنفست Saillenfest (٤٢٠) .

ولكن منذ ١٨٨٥ بدأ الصدام الحقيقى بين لامين والفرنسيين فقد بدأ لامين فى مراسلة المدن المجاورة وأعلن عن برنامجه الذى تلخص فى النقاط التالية :

١ - إعلان الجهاد والحرب المقدسة .
٢ - تطوير الجيش وتزويده بأحدث الأسلحة .
٣ - تحسين علاقته مع جيرانه ، وخاصة حكم فوتا تورو وبوندو الذى دعاهم لامين إلى الدخول فى طاعته (٤٢١) .

وفى عام ١٨٨٦ أعلن لامين نفسه مهديا فى سينيدوبو الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفالمى بالقرب من ميدين ، وأعلن عن تصميمه لإعادة مجد الإسلام إلى المنطقة (٤٢٢) وسرعان ما أعلن لامين ضمه لكل من ديافونو ، وكارته ، وبوندو ، وجويد يمكه ، وقد قبلت هذه المناطق الدخول فى طاعته وخاصة بعد أن أشاع بأن أحمدو شيخو ينوى مهاجمتها (٤٢٣) . كذلك أرسل ابنه إلى جورى Gouri عاصمة ديافونو التابعة لأحمدو ، حيث أعلن نفسه زعيما على المنطقة محرضا السكان على الثورة ضد أحمدو والفرنسيين (٤٢٤) .

بدأ عداء لامين مع الفرنسيين فى عام ١٨٨٦ عندما حاصر الحصن الفرنسى فى باقل ، واستولى على القرى المحيطة به كذلك استولى على جوى ، فهدد بذلك الوجود الفرنسى فى سنغمبيا ، ولذلك بدأ الصراع بين الطرفين لمنع لامين من التوغل فى المنطقة وإيقاف أطماعه التوسعية (٤٢٥) . فقد شعر الفرنسيون بتحدى لامين لهم عند حصاره لباقل فقد دخل

---

(٤٢٠) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 84.
(٤٢١) Ibid., p. 88.
(٤٢٢) Hanotaux G. : op. cit., Tome IV, p. 182.
(٤٢٣) Oloruntimehin, B. :The Segu tukolor empire (London 1972) p. 273.
(٤٢٤) Meniaud, Jacques : Les Pionniers du Soudan. (Paris 1931) Tome I, p. 280.
(٤٢٥) Deschamps, H. : op. cit., Tome IV, p. 71

بقواته الحصن ، ودارت عدة معارك بينه وبين السكان فى الطرقات إلا أنه اضطر إلى التراجع بعد وصول الفرق الفرنسية إلى الحصن [٤٢٦] .

ويذكرنا حصار محمدو لامين لحصن باقل بذلك الحصار الذى فرضه من قبل الحاج عمر على حصن ميدين وبذلك نرى أن القوى الوطنية لجأت إلى أسلوب محاصرة الحصون الفرنسية فى المنطقة كنوع من رد الفعل على التغلغل الفرنسى فى المنطقة .

كذلك حاول لامين قطع طريق المواصلات بين باقل وكاييس لمنع وصول الامدادات الفرنسية إلى الحصن ، ولكنه فشل ، لأن الملازم فرى Frey وصل إلى باقل وبدأ فى شن سلسلة من الهجمات ضد قوات لامين [٤٢٧] .

ثم بدأت مواجهة أخرى عنيفة بين لامين والفرنسيين فى ١٤ مارس ١٨٨٦ ، أمام Koungel الواقعة بالقرب من باقل وكانت القوات الفرنسية بزعامة كل من الكابتن جولى Jolly والملازم لاتى Laty وتومانيه Toumané وقد لجأ لامين إلى قطع المواصلات بين باقل وماتام وصول أية نجدات للفرنسيين كما أنه فاجأهم بالهجوم عليهم لمنعهم من استخدام المدافع التى كانت فى حوزتهم ولجأ رجاله إلى استخدام السهام المسمومة ونجح لامين فى إلحاق الهزيمة بالفرنسيين فى جونديورو وأدى انتصاره عليهم إلى ارتفاع مكانته فتوافد عليه الأنصار لمبايعته والانضمام إلى قواته وسرت الحماسة فى صفوف الساراكولى وزاد من حرج موقف الفرنسيين أنه فى الوقت الذى قطع عليهم لامين وسائل المواصلات كان من الصعب عليهم إرسال أى قوات من سانت لويس وذلك لانخفاض مستوى المياه فى نهر السنغال وصعوبة إبحار السفن فيه فى ذلك الوقت من العام [٤٢٨] .

ثم توجه لامين إلى باقل للمرة الثانية وبدأ فى حصارها واضطر فرى إلى تأجيل عملياته العسكرية فى المنطقة والتركيز على إنقاذ حصن باقل من الوقوع فى يد الساراكولى وخاصة بعد فرار عدد كبير من السكان وانضمامهم إلى لامين الذى اتخذ من ديافوتو وجويد يمكة

---

(٤٢٦) Zerbo, J. : op. cit., p. 418.

(٤٢٧) Crowder, M. : op. cit., Colonial, pp. 79 – 80.

(٤٢٨) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 100.

قاعدة للهجوم على القوات الفرنسية ولذلك قام فرى بمهاجمة جويديمكة وإحراقها ، فرد عليه لامين بإحراق المركز الفرنسى فى سيندوبو ، وقتل حاكمها المعين من قبل الفرنسيين عمر باندا (٤٢٩) .

اتجه لامين بعد ذلك إلى أعالى غمبيا ، وأسس حصن فى ديانا Diana الواقعة على بعد مائتى كم من السنغال ، ثم بدأ فى محاربة السرير لإجبارهم على الدخول فى الإسلام (٤٣٠) .

حقق لامين انتصارات فى سنغمبيا ، وخشى الفرنسيون من قوته وأخذوا يحصنون حامياتهم العسكرية ومراكزهم على طول نهر السنغال وتدهور الموقف العسكرى بالنسبة للفرنسيين ، حتى تم تعيين جاللين قائداً أعلى للسودان الفرنسى فى ١٥ نوفمبر ١٨٨٦ بدلا من فرى وأراد جاللين أن يأمن جانب كل من ساموري زعيم الماندنجو كذلك أحمدو زعيم التكرور وذلك قبل إقدامه على محاربة لامين فقد خشى أن يقدما المساعدة له ، فعقد معاهدة مع ساموري لكى يأمن ظهر قواته أثناء تقدمه فى سنغمبيا ، وحتى لا يتعرض لأى هجوم مباغت من أعالى النيجر ، كذلك اتفق مع أحمدو شيخو على أن يتعاونا ضد لامين عدوهما المشترك (٤٣١) ولذلك ركز أحمدو شيخو حملاته فى كل من ديافونو وجويديمكه التى تركز فيها سويبو Soybou ابن محمدو لامين ، واستمر الاشتباك بين قوات التكرور والساراكولى حوالى ستة أشهر وفى ٧ ابريل ١٨٨٧ تمكن أحمدو من إلحاق الهزيمة بقوات الساراكولى فى جورى ، ولكن القوات الرئيسية كانت مع لامين فى ديانا فحاول سويبو اللحاق بفرق أبيه ، وأثناء عبوره نهر السنغال تمكن الملازم ريشمبرج Reichemberg من إلقاء القبض عليه فى قرية Diokokoi القريبة من معسكر جاليين فى اروندو Aroundou (٤٣٢) حيث تم إعدامه رمياً بالرصاص بينما ظل لامين فى أعالى غمبيا مسيطرا على ضفاف الفاليمى وبامبوك (٤٣٣) .

---

(٤٢٩) Ibid., p. 101.

(٤٣٠) Zerbo, J. : op. cit., p. 419.

(٤٣١) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 102.

(٤٣٢) Ibid., p. 103.

(٤٣٣) Deschamps, H. : op. cit., Tome I, pp. 280 – 285.

وجه جاللين حملتين للقضاء على لامين تحركت الأولى من أروند وصوب ديانا ، والثانية تحركت من ديامو Diamou بقيادة فاليير على أن تلتقى الحملتان فى ديانا . وجدير بالذكر أن الطريق إلى ديانا كان صعبا وشاقا فقد سارت الحملتان فى بلاد مجهولة بالنسبة للفرنسيين ، تغطيها الأشجار الكثيفة التى منعت الرؤية على بعد أمتار قليلة كما أن الطرق لم تكن معبدة حتى القرى القليلة التى صادفها الفرنسيون أثناء زحفهم هجرت تماماً . وقد حاول لامين مهاجمة كل فرقة على حدة ، فهزم فى شرق ديانا فى سرونديان Saroundian ثم جمع جاللينى قواته متجها إلى ديانا فوجد لامين قد هجرها إلى غمبيا [٤٢٤] .

ولعل أهم النتائج التى أسفرت عنها حملة جاللينى هو إرسال حملتين للتعرف على البلاد جغرافياً واقتصادياً ، ولتوقيع المعاهدات مع الزعماء المحليين كما أرسل البعثات العديدة للتعرف على سكان المنطقة والبلاد المحيطة بها بعثة الكابتن فورتن Fortin التى اتجهت إلى نييرى وبوندو وبعثة الكابتن اوبردورف Oberdorf إلى دينجويرى فى أعالى النيجر ، كما أرسلت بعثة إلى بامبوك لرسم خرائط مفصلة للمنطقة [٤٢٥] .

بعد فرار لامين إلى غمبيا استولى جاللينى على نيانى Niani وسندوجو Sandougou ثم عاد إلى كايس وكلف الكابتن فورتى بالقضاء على لامين وطوال فصل شتاء ١٨٨٧ ، كان الكابتن فورتن يقوم بالعديد من العمليات العسكرية عند نهر بانى جنوب باقل ضد قوات لامين الذى لجأ إلى ملك فردو Firdou طالبا منه الحماية ، ولكن الملك خشى عقاب الفرنسيين وانتقامهم فأسرع بقتله فى ١٠ ديسمبر ١٨٨٧ فى جنوب نيانى وأحضر رأسه إلى فورتن وكان لمقتله أصداء واسعة فى المنطقة ، فأسرعت الأقاليم الواقعة فى حوض غمبيا بين بوندو وريب لقبول الحماية الفرنسية [٤٣٦] .

وبموت لامين انتهت المقاومة العنيفة التى واجهت الفرنسيين فى السنغال مما أتاح لهم فرصة العمل بشىء من الهدوء النسبى فى تقوية مراكزهم ، وإعادة تنظيم مواصلاتهم كما يلاحظ أن جاللينى اتبع أسلوب التغلب على الزعماء المحليين منفردين والحيلولة دون

---

(٤٢٤) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 280 – 285.

(٤٢٥) Ibid., p. 285.

(٤٣٦) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 182.

تكتلهم ، ولذلك فقد أسرع بعقد معاهدة مع أحمدو شيخو ، ولكن لم يكن ذلك يعنى أن الفرنسيين تخلو عن عدائهم له أو أنهم سيتركونه وشأنه ، وإنما كانوا فى حاجة إليه للتخلص من خطر محمدو لامين أولا ثم التخلص منه بعد ذلك .

من العرض السابق نلاحظ أن السنغال كانت من أهم المستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا فهى المستعمرة الأم الرئيسية ، وقد تطورت فيها السياسة الفرنسية ، ففى البداية عملت فرنسا على مهادنة القوى الوطنية مع حرصها فى الوقت نفسه على تطوير المنطقة ولكن دون الإقدام على احتلالها أو غزوها . ولكن بمجىء فيدهرب تغيرت هذه السياسة كلية ، فقد استخدم القوة العسكرية ضد معارضيه وأرسى دعائم التوسع العسكرى الفرنسى فى المنطقة . بعد رحيله عانت المستعمرة من الاضطرابات وخاصة بعد هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية ، ولكن سرعان ما استعاد الفرنسيون نشاطهم مرة أخرى فى المنطقة متخذين من السنغال قاعدة للتوسع نحو المناطق الداخلية ، واستتبع ذلك تدعيم سيطرتهم على السنغال بالقضاء على المقاومة الوطنية فيها والتى تمثلت فى لات ديور فى كايور ، ومحمدو لامين زعيم الساراكولى .

الفصل الثالث

غينيا الفرنسية والسودان الفرنسى

أولا - غينيا الفرنسية

ثانيا - السودان الفرنسى

أولا - غينيا الفرنسية :

١ - غينيا الفرنسية قبل الحروب السبعينية :

تحتل غينيا الفرنسية موقعاً خطيراً ، فهى فى الانحناء الجنوبى الغربى لمنطقة أفريقيا الغربية ، ومحطة هامة بين جنوبى أفريقيا وأفريقيا الغربية ويحدها شرقا ساحل العاج وشمالا السنغال وغينيا البرتغالية وجنوبا ليبريا وسيراليون وتطل من ناحية الغرب على المحيط الأطلنطى (٤٣٧) . وتعتبر غينيا أكثر المستعمرات الفرنسية كثافة ، وتمتاز بسواحلها المغمورة وكثرة الخلجان ومرتفعاتها الداخلية حيث هضبة فوتا جالون الغزيزة الأمطار التى تلائم ظروفها سكن غير الإفريقيين (٤٣٨) .

وجدير بالذكر أن اسم غينيا أطلق على المستعمرة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وقد أنصب اهتمام الفرنسيين على المنطقة الساحلية التى عرفت باسم أنهار الجنوب ، كذلك على المنطقة الداخلية فى فوتا جالون ، ولكن سرعان ما دعمت فرنسا سيطرتها على المنطقة ودمجت المناطق الداخلية والساحلية ومدت حدود المستعمرة حتى شملت أجزاء من السودان الفرنسى وأودية النيجر (٤٣٩) .

ومنذ القرن الثامن عشر كون المسلمون فى المنطقة حكومات إسلامية ، وخاصة فى المناطق الداخلية فى فوتا جالون ، وقسموها إلى عدة دول أو أقاليم يحكم كلا منها حاكم يلقب الفا Alfa ولذلك تبع انتشار النفوذ الفرنسى فى المنطقة ضرورة اصطدام مع القوى الوطنية الإسلامية (٤٤٠) وقد شكلت المنطقة أهمية كبيرة من الناحية التجارية ولذلك سعت فرنسا لإقامة امبراطورية تجارية مزدهرة فى المناطق الداخلية وخاصة فى تمبو عاصمة فوتا

---

(٤٣٧) أحمد ، شلبى : المرجع السابق جـ ٦ ، ص ٥٤ .

(٤٣٨) جمال الدين ، الدناصورى : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ٣٥٨ .

(٤٣٩) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 94.

(٤٤٠) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 62.

جالون ، كما سعت أيضا لتدعيم سيطرتها على المناطق الساحلية وخاصة فى منطقة أنهار الجنوب ، وقد حققت المنطقتان أنهار الجنوب على الساحل وفوتا جالون فى الداخل اتصالا سهلا ومباشراً بمنطقة أعالى النيجر التى تطلع الفرنسيون إلى الوصول إليها [٤٤١] .

ويلاحظ أن الاهتمام بالنشاط التجارى لغينيا لم يصاحب فترة الإستعمار فقط ، وإنما يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر ففى عام ١٨١٨ رحل موليان Mollein من سانت لويس وزار كلا من دمبور ، وفرلو ، ودامجا ثم اتجه نحو فوتا جالون حيث اكتشف منابع نهر غمبيا ، وأعلن أن النيجر والسنغال وغمبيا لهم منابع منفصلة بعضها عن الآخر . كما نجح موليان فى الوصول إلى تمبو واتجه شمالا إلى منطقة بيساو [٤٤٢] .

وفى عام ١٨٢٧ عبر الرحالة الشهير رينيه كاييه المنطقة ، وفى عام ١٨٥٠ وصل هيكار إلى منابع كل من نهر ريوجراند [٤٤٣] والفاليمى [٤٤٤] ، ولم تكن الرحلات والزيارات للمنطقة هى المظهر الوحيد لاهتمام الفرنسيين لها فمنذ عام ١٨٢٧ وحكام السنغال يحرصون على تنمية موارد المنطقة الزراعية والتجارية ولذلك اهتم روجيه بالوصول إلى جزيرة ديوجنيه Diogné فى مصب الكازامانس ، وفى عام ١٨٢٩ نجح التاجر الفرنسى بلانشار Blanchard فى إنشاء وكالة فرنسية فى منطقة كانت Cagnat رغم اعتراض التجار البرتغاليين الذين أرادوا توسيع دائرة نفوذهم من منطقة بيساو وزنجيشور Zinguichor . وفى عام ١٨٣٦ أصدر الحاكم بيجول Pujoi أوامره إلى القائد البحرى فى جوريه مالافو Malavoix بإنشاء مركز فى كارابن Carabane ثم أسس ملافو مركزين جديدين فى عام ١٨٣٧ فى كل من سيدهد Sedhiou وديمبرنج Diambéring جنوب كارابن وأخذت فرنسا تسعى لتدعيم نفوذها فى منطقة أنهار الجنوب [٤٤٥] وفى أغسطس ١٨٣٩ وقعت فرنسا معاهدة مع زعماء لاندومون Landoumans بمقتضاها أصبح للتجار الفرنسيين الحق فى التجارة فى منطقة ريونونيه ، وفى عام ١٨٤٠ تم إنشاء ثلاث وكالات تجارية فرنسية ، ووقع الملازم البحرى دى كرهاليه De Kerhallet معاهدة أكدت النفوذ الفرنسى فى المنطقة ، ثم عملت فرنسا كذلك على

---

(٤٤١) Forstner, K. : op. cit., p. 151.

(٤٤٢) Guernier, E. : op. cit., Tome, p. 68.

(٤٤٣) انظر شكل (٧) .

(٤٤٤) انظر شكل (٥) – (٧) – (٨) .

(٤٤٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 259.

توسيع نفوذها فى منطقة الميلاكورى ، ففى عام ١٨ أبريل ١٨٤٥ ، وقع الملازم البحرى لافون دى لاديبه Laffon De Ladebat معاهدة لمد النفوذ الفرنسى فى الميلاكورى ، كما وقع اتفاقا مع الزعيم مورى لاى Mouri Laye سنة ١٨٤٥ أصبح بمقتضاه لفرنسا الحق فى التجارة واحتكار منطقة وادى الميلاكورى ، كما وجه لافون حملة ضد قبائل بجا Baga لتهديدهم التجار الفرنسيين فى ريونونيه ، وإثارة المتاعب أمامهم ، وأخيرا وقع معهم معاهدة فى ٢٧ مايو ١٨٤٥ للحد من اعتداءاتهم على التجارة الفرنسية . وقد امتدت السيطرة الفرنسية إلى منطقة أخرى ذات أهمية وهى منطقة بوكى ، فوقع الملازم البحرى دوكريه دى فيلونوف Ducrest De Villeneuve مع زعماء المنطقة معاهدة تجارية ، ولكن زعماء المنطقة رفضوا التخلى عن تجارة الرقيق فتم إحراق المنطقة ، وأجبر هؤلاء الزعماء على توقيع اتفاق فى ١٨ يوليو ١٨٤٨ لتنظيم التجارة بين الطرفين [٤٤٦] .

ولما كانت منطقة أنهار الجنوب تمثل أهمية كبيرة لموقعها وتجارتها ، فقد أقام التجار الفرنسيون عدة مراكز لهم فى كل من ريوكاسينى Rio Cassini ونونيه ويونجو وميلاكورى واسكاريا ، ولكن كان من المتعذر على الوطنيين قبول إنشاء مراكز فرنسية أو وكالات فى أراضيهم ، ولذلك فإنهم سرعان ما كانوا يدمرونها بين حين وآخر رغم المعاهدات التى عقدوها مع الفرنسيين [٤٤٧] .

وجدير بالذكر أن منطقة أنهار الجنوب كانت محط أنظار البريطانيين أيضا منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وقد عقد التجار البريطانيون بالفعل عدة معاهدات مع الزعماء الوطنيين فى المنطقة فعقدت عدة معاهدات فى الفترة ما بين ١٨٤٢ - ١٨٤٥ إلا أن الحكومة البريطانية لم توجه خلال هذه الفترة اهتمامها بالمنطقة [٤٤٨] وقد خشيت السلطات الفرنسية فى السنغال من تزايد النفوذ البريطانى فحصلت فى عام ١٨٤٦ على موافقة من ملك لاندومون بإقامة مراكز فرنسى فى بوكى ، ثم حصل الفرنسيون بعد ذلك بعشر سنوات على حق بناء الوكالات التجارية والمصانع فى بونجو [٤٤٩] .

---

(٤٤٦) Ibid., p. 260.

(٤٤٧) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 61.

(٤٤٨) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 129.

(٤٤٩) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 61.

وكان تعيين فيدهرب حاكما فى السنغال خطوة هامة فى تقدم النفوذ الفرنسى ، فقد أولى المنطقة اهتمامه ، وقام بزيارة لنونيه لتفقد المصالح الفرنسية فيها ، وأسس عام ١٨٦٠ حصنا فرنسيا فى نونيه ، كما وضع مندوباً فرنسياً فى بونجو ، وكان هدف فيدهرب من خلال هذه الزيارات أن يوفر مزيداً من الحماية للتجار الفرنسيين ، كما حاول فيدهرب التطلع إلى المناطق الداخلية ومد النفوذ الفرنسى فيها وخاصة فى فوتا جالون ، فأرسل عام ١٨٦٠ لامبير Lambert إلى فوتا جالون لاستطلاع الموقف فيها ولكن وزير المستعمرات لم يسمح لفيدهرب باتخاذ أى خطوات فعالة نحو المنطقة إلا بعد عام ١٨٦٣ ، وكان لضغط التجار الفرنسيين على الحكومة الفرنسية أثر كبير فى توجيه أنظار الحكومة إلى المنطقة وقد دعا هؤلاء التجار الحكومة لفرض حمايتها على الساحل ، ولكن كان اهتمام الحكومة فى ذلك الوقت منصبا على تأمين السنغال ، وإعادة تنظيم الأراضى الجديدة التى ضمت إليها وعدم التوسع فى ضم مزيد من الأراضى [٤٥٠] .

وبتعيين بنيه لابراد فى السنغال تطورت الأوضاع فى المنطقة ويطلق عليه المؤسس الحقيقى لأنهار الجنوب فقد استولى عام ١٨٦٥ على هضبة بوكى وقرية دومنجيا Dominghia فى بونجو ، وأعلن الحماية الفرنسية على بنتى بعد موافقة ملكها ماليجى Maligui وأسس مركزاً فرنسياً فيها ، وكانت تقع بالقرب من حدود فريتاون [٤٥١] وكانت سياسة لابراد تهدف إلى تدعيم السيطرة الفرنسية فى منطقة أنهار الجنوب والامتداد نحو فوتا جالون فى الداخل ، وقد نجحت هذه السياسة فى فصل منطقة غينيا ومنع بريطانيا من ربط مستعمرتها سيراليون الواقعة جنوبا بمستعمرتها فى الشمال غمبيا [٤٥٢] .

أدى نشوب الحرب الأهلية فى منطقة أنهار الجنوب إلى تعطيل مصالح التجار الفرنسيين ، فقد نشبت الحرب بين كل من ماليجى وابن عمه بوكارى Bokkari وكانت منطقة الميلاكورى منطقة تنافس بين كل من التجار الفرنسيين والبريطانيين ، ولما كان هؤلاء التجار يميلون إلى تأييد ماليجى لأنه كان أكثر استعداداً للتعاون معهم . فقد أمدوه بالأسلحة ضد غريمه بوكارى ، ولكنهم عندما أدركوا أن الحرب الأهلية لن تنتهى فى

---

(٤٥٠) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 129.

(٤٥١) Ibid., p. 130.

(٤٥٢) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 261.

المنطقة وتدهورت التجارة تدهوراً كبيراً وخطيراً اضطر هؤلاء التجار إلى اللجوء إلى حكوماتهم لوضع حد للاضطرابات (٤٥٣) .

وكان حاكم سيراليون فى ذلك الوقت تشمبرلين Chamberlayne الذى أدرك أن حكومته لن توافق على القيام بحملة فى المنطقة ، ولذلك أرسل سفينة حربية لمراقبة مصالح التجار البريطانيين ثم طلب من حكومته من إدارة المستعمرات التدخل لحماية البريطانيين مذكرا إياهم بالمعاهدات التى عقدتها بريطانيا من قبل مع الزعماء المحليين ، كما طالب بتعيين مندوب بريطانى فى المنطقة ولكن إدارة المستعمرات لم تهتم بتقرير تشمبرلين . أما التجار الفرنسيون فقد أرسلوا فى طلب المعونة من حكومتهم ، وقام القائد البحرى لافون دى لاديبه بزيارة منطقة أنهار الجنوب وكتب تقريرا عن المنطقة وطالب بتحييدها (٤٥٤) .

أما موقف لابراد من الحرب الأهلية التى نشبت فى المنطقة ، فقد أراد إظهار القوة الفرنسية ، وخاصة فى منطقة أنهار فوريكاريا فوقع معاهدة مع ماليجى عام ١٨٦٦ قبل فيها الأخير الحماية الفرنسية ، وكانت هذه المعاهدة تأكيداً لنفوذ فرنسا ، ولكن الحروب الأهلية لم تتوقف فى المنطقة وما لبث أن قتل ماليجى وتولى أخاه الحكم بعده ، ولكنه كان ضعيفا ولم يكن بنفس قوة ماليجى ولذلك فضلت فرنسا التفاوض مع حاكم أقوى ، فاتجهت إلى غريم ماليجى السابق بوكارى ووقعت معه معاهدة فى سنة ١٨٦٦ اعترف فيها بالنفوذ الفرنسى وفى فبراير ١٨٦٧ تم بناء حصن عسكرى فى المنطقة (٤٥٥) .

ولكن على الرغم من الجهود التى بذلها التجار الفرنسيون فى منطقة أنهار الجنوب ، كذلك جهود حكام السنغال وخاصة لابراد إلا أن وزارة البحرية الفرنسية اعتبرت أن منطقة غمبيا لها أولوية وأهمية أكثر من منطقة أنهار الجنوب وذلك لمتاخمتها للسنغال ولذلك كانت المعاهدات التى وقعها الضباط البحريون فى المنطقة بدافع من الغيرة الوطنية وتأكيداً للنفوذ الفرنسى وإبعاداً للنفوذ البريطانى ولكنها لم تلق حماساً كبيراً من قبل الحكومة الفرنسية (٤٥٦) .

---

(٤٥٣) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, pp. 130 – 132.

(٤٥٤) Ibid., p. 135.

(٤٥٥) Hagreaves, J. : op. cit., France, p. 177.

(٤٥٦) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 94.

٢ - تطور السياسة الفرنسية فى المنطقة :

شهدت منطقة أنهار الجنوب وفوتا جالون صراعاً عنيفاً بين القوتين الفرنسية والبريطانية فى أعقاب الحرب السبعينية ، وكان تعيين بريير دى ليل حاكما فى السنغال ١٨٧٦ بداية مراحلة جديدة لسياسة فرنسا فى المنطقة ، كذلك كان تعيين صموئيل روى ١٨٧٦ حاكما فى سيراليون معناه التنافس بين القوتين .

فقد سعى روى لمد النفوذ البريطانى شمالا نحو بونجو فى الوقت الذى أخذ فيه دى ليل فى التوسع جنوبيا [٤٥٧] وقد وقع دى ليل فى ١٥ فبراير ١٨٧٦ معاهدة مع ملك ريوبونجو جون كوتى John Cotty اعترف فيها بحماية فرنسا على أراضيه فى مقابل دفع مبلغ سنوى له وهو ٥٠٠ فرنك ، وقد حاول حاكم سيراليون إغراءه بعدم توقيع هذه المعاهدة وتوقيع معاهدة مع انجلترا ، ولكن جون كوتى رفض وقد أسرع القائد الفرنسى فى جوريه لإثبات حقوق فرنسا فى ريوبونجو . فانشأ مركزا فى بوفا ، وبذلك أصبح للفرنسيين ثلاث مراكز مراكزان تم إنشاؤهما من قبل فى بوكى ، (ريو نونيه) وبنتى (الميلاكورى) وأخيراً بوفا فى ريوبونجو [٤٥٨]

وكانت خطة روى تطويق النفوذ الفرنسى فى المنطقة وجمع شمل المناطق الداخلية فى كل من غمبيا وسيراليون فى وحدة واحدة . ولذلك مثل النشاط الفرنسى تهديداً خطيراً لخططه ، كما هدد أيضا مستعمرة سيراليون ، وخاصة المناطق الداخلية وحال دون امتداد المستعمرة ، ولذلك أرسل بعثة بقيادة جولد سبورى كان هدفها توقيع المعاهدات مع الزعماء المحليين وكانت البعثة لها أغراض سياسية وجغرافية ، وقد وضع جولد سبورى تقريراً بأن المنطقة لا تصلح للتجارة ، كما فشل فى الوصول إلى الفاليبى Falaba وذكر بأن تجارة فوتا جالون محدودة ، ولا جدوى من إنفاق الأموال لتنميتها ، ولكن كان أهم نتائج حققها جولد سبورى من بعثته هو توقيعه معاهدة صداقة مع إبراهيما سورى زعيم فوتا جالون فى مارس ١٨٨١ [٤٥٩] .

---

(٤٥٧) Gann, L., : op. cit., Vol. II, p. 145.

(٤٥٨) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 260.

(٤٥٩) Fyee, C. : op. cit., p. 428.

وقد حاول بعد ذلك حاكم سيراليون هافلوك Havelock فتح اتصالات مع تمبو فى الداخل ولكن جهوده لم تكن ذات قيمة وذلك لأن الفرنسيين أسسوا فى عام ١٨٨٣ حصناً فى باماكو فى أعالى النيجر لمراقبة المنطقة ولمد النشاط الفرنسى ، كما نجح الفرنسيون منذ عام ١٨٨٠ فى توقيع عدة معاهدات مع الزعماء الوطنيين فى المنطقة الساحلية الممتدة من ريوبونجو حتى فوريكاريا . وفى عام ١٨٨١ تم الاتفاق بين الدولتين على تحديد الحدود فيما بينهما ، فأعطيت فرنسا الميلاكورى مع الساحل الشمالى لريو نونيه وجزيرة ماتاكونج ، أما انجلترا فحصلت على منطقة سكرسيس [٤٦٠] .

وجدير بالذكر أنه إذا كان التجار البريطانيون قد لعبوا دوراً كبيراً فى منطقة النيجر الأدنى لإقرار النفوذ البريطانى ، فإن بعض التجار الفرنسيين ساعدوا حكومتهم أيضا فى بسط حمايتها وسيطرتها على كثير من المناطق مثل جهود ريجى ووكالته فى ساحل غينيا كذلك جهود دى سندرفال فى منطقة فوتا جالون فقد استطاع اميه وليفيه باستريه دى ستدرنال Aimé Olivier Pastré De Sanderval وهو مهندس فرنسى أن يدعم سيطرته على منطقة فوتا جالون ، وخاصة بعد الحرب السبعينية ورغم أن جهوده فى المنطقة كانت جهوداً شخصية نابعة من رغبته فى تحقيق مجد شخصى إلا أننا لا نستطيع أن نغفل دوره الهام فى تثبيت النفوذ الفرنسى . فقد عمل دى سندرفال على إقامة علاقات طيبة مع الزعماء الوطنيين فى فوتا جالون ، واستطاع اثنان من عملائه اكتشاف منابع النيجر من فوتا جالون فقد أرسل مدير الوكالة فرمنك Verminck كلا من زويفل Zweifel وموستيه Moustier إلى فوتا جالون ونجحا فى الوصول إلى قرية فوريا Foria حيث اكتشفا المنبع الرئيسى لنهر تمبيكو Tembiko ، وهو من روافد النيجر الرئيسية . وفى عام ١٨٧٩ وقعت معاهدة مع زعماء منطقة سامو لإقرار النفوذ الفرنسى فى الأراضى القريبة من النيجر وفى عام ١٨٨٠ حصل دى سندرفال على حقوق فى جزيرة تمبو فاقر النفوذ الفرنسى فى دوبركا Dubréka وقد تبع ذلك تأسيس ميناء كوناكرى ، كما حصل دى سندرفال أيضا على موافقة أئمة فوتا جالون على مد خط حديدى من فوتا جالون حتى الساحل . وقد لقبه سكان المنطقة بالملك وضرب النفوذ باسمه ، وبفضل جهوده منع امتداد النشاط البريطانى فى فوتا جالون ، كما قدم الكثير من المساعدات للبعثات الفرنسية مثل بعثة الملازم بلات Plat التى أرسلت

---

(٤٦٠) Gann, L. H. : op. cit., Vol II, P. 147.

عام ١٨٨٨ وبعثة ليفاسير Levasseur ، وساعد القوات الفرنسية فى حملاتها ضد الزعماء المعارضين لها . وعندما دعمت فرنسا سيطرتها فى فوتا جالون ، سلم حقوقه ومنشآته إلى الفرنسيين ثم رحل إلى فرنسا [٤٦١] .

وبعد عودته إلى فرنسا نشر كتابا عن فترة إقامته فى فوتا جالون ولقب بالكونت دى سندرفال [٤٦٢] .

وعندما وصل جاللينى إلى السودان ، نادى بضرورة تدعيم النفوذ الفرنسى فى فوتا جالون ، وإقامة مواصلات مباشرة بين أعالى النيجر ومنطقة ميلاكورى ، وقد ساعد جاللينى فى تحقيق مشاريعه تأييد إيتيان وكيل وزارة المستعمرات له ، وكانت منطقة فوتا جالون هى محط أنظار الفرنسيين خلال هذه الفترة [٤٦٣] وقد عهد إلى الدكتور بايول Bayol وهو طبيب فى البحرية الفرنسية بتدعيم السيطرة الفرنسية على فوتا جالون من أجل بناء امبراطورية تجارية فى تمبو ، وقد نجح بايول فى توقيع معاهدة مع إبراهيما سورى ١٨٨١ أصبح بمقتضاها النفوذ الفرنسى مدعما فى فوتا جالون ، وأستبعد إبراهيما النفوذ البريطانى من مناطق نفوذه وقد أعترضت كل من بريطانيا بهذه المعاهدة عام ١٨٨٢ وألمانيا عام ١٨٨٥ والبرتغال عام ١٨٨٦ . وقد شملت المعاهدة ١٢ مادة أصبحت بمقتضاها فوتا جالون تحت الحماية الفرنسية ، وأعطت المعاهدة الحق للتجار الفرنسيين بالتجارة فى المنطقة وقد أعطى الزعماء الوطنيون لفرنسا وثيقتين الأولى تشمل اعتراف أئمة فوتا جالون بحقوق فرنسا فى احتلال الأراضى الواقعة على الساحل ، والوثيقة الثانية هى معاهدة الحماية من ١٢ مادة ، قصرت فيها فرنسا النشاط التجارى للسكان معها فقط ، وقد ألغى إبراهيما سورى اتفاقه مع السلطات البريطانية وأرسل رسالة بهذا المعنى إلى حاكم سيراليون . ولو تساءلنا عن سبب موافقة أئمة فوتا جالون على توقيع المعاهدة ، سنجد أنهم كانوا على خلاف مع التكرور ، وقد شعروا بالغيرة تجاههم نظراً لامتداد امبراطوريتهم كما شعروا بالخطر أيضا ، ولذلك أرادوا منافسة التوكولور فى سلطاتهم الدينية والسياسية فى المنطقة ، كذلك خشوا من تحالف الفرنسيين مع التوكولور وإتحادهم ضدهم ، ولذلك وافقوا على توقيع المعاهدة ولكن

---

(٤٦١) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 261 – 262.

(٤٦٢) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude; P. 267.

(٤٦٣) Forstner, K. : op. cit., P. 151.

يلاحظ أن النص العربى للمعاهدة لم يتضمن بأنها معاهدة حماية وإنما تضمنت بأنها معاهدة صداقة بين الدولتين بينما النص الفرنسى ذكر فيه لفظ حماية واضحا [٤٦٤] .

وللأسف لم يدرك هؤلاء الزعماء بأنهم كالمستجير من الرمضاء بالنار وكان أولى لهم التعاون مع التكرور المسلمين ضد الفرنسيين ولكن هذا الخطأ من جانبهم تكرر فى كل منطقة من غرب أفريقيا ونلحظه دائما ، فنجد محمدو لامين رفض التعاون من التكرور كذلك ساموري رفض فى البداية التحالف معهم ، ولو أن القوة الإسلامية فى غرب أفريقيا اتحدت لربما غيرت الكثير من تاريخ المنطقة .

أما عن المعاهدة التى وقعها بايول مع إبراهيما سورى فقد كتب عنها وعن زيارته لمنطقة فوتا جالون [٤٦٥] فكتب بإفاضة عن الأحوال السياسية والدينية فيها وعن نشاط المرابطين ، وكيفية انتشار الإسلام فى المنطقة [٤٦٦] .

وفى ٢٨ يونيو ١٨٨٢ تم توقيع اتفاق فرنسى بريطانى للاعتراف بنفوذ فرنسا فى ريو نوبيه وريو بونجو وكالوم وميلاكورى وفوتا جالون ، كما تم تحديد الممتلكات الفرنسية والبريطانية فى أنهار الجنوب وسيراليون ، وصدر مرسوم فى ١٢ اكتوبر ١٨٨٢ بتنظيم مستعمرة أنهار الجنوب ووضعها تحت إدارة ملازم حاكم هو الدكتور بايول [٤٦٧] كذلك ، وافقت ألمانيا على التخلى عن أطماعها فى منطقة أنهار الجنوب فى مقابل اعتراف فرنسا بنفوذها فى بورتو سيجورو وبتى بوبو اللتين أصبحتا فيما بعد ضمن مستعمرة توجو ، وذلك بموجب الاتفاق الفرنسى الألمانى الذى عقد فى ٢٤ ديسمبر عام ١٨٨٥ [٤٦٨] .

ويرجع سبب عقد هذا الاتفاق إلى أن التجار الألمان شعروا بالغيرة لتزايد النفوذ الفرنسى فى فوتا جالون ، فادعوا ملكية الأراضى الواقعة عند دوبريكا وبحيرة برمايا Bramaya وكالوم Kaloum وأرسلت الحكومة الألمانية الكابتن شيدن Scheiden لضم هذه الأراضى ،

---

(٤٦٤) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, PP. 268 – 269.

(٤٦٥) ذكر بايول بأن كلمة فوتا جالون حسب الروايات الشعبية جاءت من اتحاد جماعة Jalonkas الوثنية مع الفولة المسلمين الذين عملوا على نشر الإسلام فى المنطقة فنتج عن هذا الاتحاد تسمية المنطقة فوتا جالون .

(٤٦٦) Hagreaves, J. : op. cit., France, P. 112.

(٤٦٧) Hanotaux, G. : op.cit., Tome IV, P. 264.

(٤٦٨) Guernier, E. : op. cit., Tome I, P. 62.

وكانت فرنسا قد وقعت عدة معاهدات مع زعماء المنطقة ولكنها لم توقع معاهدات حماية مع بعض المناطق مثل كبيتاى Kabitaye وكوبا Koba وكوريرا Korréra ، ولذلك ادعى التجار الألمان حقهم فى هذه الجهات وأرسلت حملة لاحتلال كوريرا التى كانت تابعة لكالوم . ولكن بمقتضى الاتفاق الألمانى الفرنسى تنازلت ألمانيا عن إدعاءاتها فى المنطقة (٤٦٩) .

كذلك اعترفت البرتغال بالنفوذ الفرنسى فى غينيا وتم عقد اتفاق فى ١٢ مايو ١٨٨٦ فى باريس تم فيه تحديد الحدود فى غرب أفريقيا ، ونصت المادة الأولى على تحديد حدود غينيا والمادة الثانية اعتراف ملك البرتغال بالحماية الفرنسية على أراضى فوتا جالون ، وفق المعاهدة التى عقدتها فرنسا مع أئمة فوتا جالون عام ١٨٨١ ، كما تعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بعدم مد النفوذ الفرنسى فى منطقة غينيا البرتغالية (٤٧٠) .

وبهذا الاعتراف أصبحت مستعمرة أنهار الجنوب معترفا بها رسميا ودوليا وبمقتضى مراسيم ١٦ يونيو ، ٤ أغسطس ١٨٨٦ أصبح حاكم أنهار الجنوب يتمتع بسلطات كبيرة ومنحته هذه المراسيم الحق فى الإشراف على مستعمرة أنهار الجنوب ، بالإضافة إلى المنشآت الفرنسية فى ساحل الذهب (ساحل العاج)وفى خليج بنين (داهومى) (٤٧١) .

وهكذا نلمس أن فرنسا دعمت سيطرتها على غينيا عن طريق المعاهدات التى عقدتها مع أئمة فوتا جالون وزعماء المناطق الساحلية وقد شكلت الأراضى الداخلية لغينيا جزءاً من امبراطورية أئمة فوتا جالون ، كذلك ضمت إليها فيها بعد أجزاء من أراضى ساموری (٤٧٢) .

ولكن على الرغم من هذه الاتفاقيات والمعاهدات إلا أن الوجود الفرنسى ظل غير منتظم ، وغير مستقر وذلك بسبب الثورات ضد الفرنسيين فحكام المنطقة دأبوا على رفض معاهداتهم مع فرنسا مثل زعيم كالوم بالادمبا Balla Damba الذى عقد معاهدة حماية مع

---

(٤٦٩) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, P. 262.

(٤٧٠) Hertslet, Edward : The Map of Africa by Treaty London 1894, Vol. I, PP. 297 – 299 N°80.

(٤٧١) Hanotaux,G. : op. cit. Tome IV, P. 265.

(٤٧٢) Crowder, M. : op. cit., Colonial, P. 93.

الفرنسيين ، ولكن سرعان ما أعلن رفضه لها عام ١٨٨٤ [٤٧٣] ولذلك حرصت فرنسا على تأكيد نفوذها فأرسلت البعثات إلى المنطقة فشهد عام ١٨٨٧ إرسال بعثتين : الأولى سياسية عبرت فوتا جالون وكانت بزعامة الكابتن اوبردروف ، ولكنه توفى فى الطريق فتولى أمر البعثه الملازم بلات Plat فى ٩ يناير ١٨٨٨ ونجح فى الوصول إلى تمبو فى ٦ مارس وفى ٩ مارس دخل مدينة فوكومبا Foukoumba وكانت مدينة لها هيبة وقدسية عند مسلمى فوتا جالون ، فجدد بلات معاهدة فرنسا مع إبراهيما سورى [٤٧٤] أما البعثة الثانية فقد رحلت من سيجيرى تحت قيادة اوديود Audéoud وعبرت فوتا جالون إلى بنتى ونجحت فى فتح طريق من النيجر حتى الأطلنطى [٤٧٥] .

وجدير بالذكر أن فرنسا كانت حريصة دوما على حقها فى المعاهدات التى عقدتها فى المنطقة فدأبت على إرسال نسخ من هذه المعاهدات إلى بريطانيا تأكيدا لنفوذها ففى ٢٧ يونيو ١٨٨٩ أرسل القنصل الفرنسى ميلوت Maillot عدة نسخ من معاهدات وقعتها فرنسا مع أئمة فوتا جالون إلى وزارة المستعمرات البريطانية [٤٧٦] وذلك لأن انجلترا على الرغم من اتفاقها مع فرنسا إلا أنها دأبت على محاولة عقد معاهدات مع زعماء المناطق الداخلية فى فوتا جالون . ونتيجة لذلك قدم القنصل الفرنسى ميلوت احتجاجا إلى مدير سيراليون مذكرا إياه بالمعاهدات التى وقعتها فرنسا فى المنطقة [٤٧٧] . وجاء رد بتشت Patchett مدير سيراليون بأن بريطانيا سبق لها أيضا توقيع عدة معاهدات مع حكام فوتا جالون فى الفترة الواقعة فيما بين ١٨٧٣ و ١٨٨١ ، وأنها قامت بدورها بإرسال نسخ من هذه المعاهدات إلى الحكومة الفرنسية [٤٧٨] .

وهكذا نلاحظ أنه على الرغم من اتفاق ١٨٨٢ بين الدولتين ، إلا أن التنافس بينهما استمر فى المناطق الداخلية .

---

(٤٧٣) Forstner, K. : op. cit., P. 152.

(٤٧٤) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 266

(٤٧٥) Forstner, K. : op. cit., P. 152.

(٤٧٦) F. O. 403 / 85 N° 101 Colonial office to Foreign office, June 27, 1889.

(٤٧٧) F. O. 403 / 85 N° 101 inclosure 2. Maillot to administrator Patchett, Free Town, May 21, 1889.

(٤٧٨) F. O. 403 / 85 inclosure 3. N° 101 Sierra Leone May 21, 1889.

وقد اهتمت الحكومة الفرنسية كذلك الرأى العام الفرنسى بتدعيم السيطرة على فوتاجالون فنشر الكاتب الفرنسى سيفين دى لابلاس Sevin Des La Place فى صحيفة Revue Françaises de Létranger et des Colonies مقالا فى أول يوليو ١٨٨٩ بعنوان السودان الفرنسى طالب فيه دى لابلاس ضرورة تدعيم السيطرة الفرنسية فى فوتا جالون ، وخاصة وأن لجنة تحديد الحدود الفرنسية البريطانية فى غرب أفريقيا على وشك الانتهاء من أعمالها ولذلك فلابد من بحث مسألة فوتا جالون ، وإرسال البعثات السلمية إلى تمبو لتحسين العلاقة مع سكان المنطقة ، كذلك طالب دى لابلاس بالاستعانة باجيبو شقيق أحمدو شيخو فى دينجويرى لمساعدة الفرنسيين فى إرسال حملة عسكرية إلى تمبو (٤٧٩) .

وفى الوقت الذى أثار اجتماع تحديد الحدود المسئولين الفرنسيين لإثبات مناطق نفوذهم ، فإن وزارة المستعمرات البريطانية اهتمت هى الأخرى بضرورة إثبات حقها فى المنطقة الواقعة على الضفة الشمالية لنهر سكرسيس ، وطالبت بتحسين العلاقة بين بريطانيا والوطنيين حتى لا يقدموا على الارتباط بأية معاهدات مع فرنسا (٤٨٠) .

وفى عام ١٨٨٩ تم تحديد الحدود بين مستعمرة أنهار الجنوب وسيراليون واعترفت بريطانيا بالنفوذ الفرنسى فى فوتا جالون ، وضمنت فرنسا بذلك فتح طريق مباشر بين السودان والميلاكورى ومن أعالى النيجر إلى المحيط الأطلنطى كما أمنت مواصلاتها بين السودان وساحل العاج (٤٨١) .

وفى عام ١٨٩٠ تولى باليه Ballay إدارة المستعمرة واستمر فى منصبه حتى عام ١٩٠٠ ، وقد ساهم مساهمة فعالة فى تنمية المستعمرة وجعل من ميناء كوناكرى ميناء هاماً لا يقل أهمية عن ميناء فريتاون (٤٨٢) ، وقد أرسل باليه البعثات للتعرف على المناطق المختلفة فأرسل بعثة بروسلار فيدهرب Brosselard Faidherbe ومعه الكابتن فليكس ديبو Felix Dubois فرحلا من بنتى نحو الميلاكورى ثم أعالى النيجر لدراسة إمكانية ربط أنهار الجنوب بالسودان الفرنسى والنيجر ، وأنهت البعثة أعمالها عام ١٨٩١ ، ووضعت عدة اقتراحات تضمنت إنشاء خط حديدى لربط المناطق الداخلية بالساحل (٤٨٣) .

---

(٤٧٩) F . O . 403 / 85 N° 109, Patchett to Maillot 1889.

(٤٨٠) F . O . 403 / 85 Colonial office to Foreign office July 18, 1889.

(٤٨١) Forstner, K. : op. cit., p. 155.

(٤٨٢) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 62.

(٤٨٣) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 268.

وفى ١٧ ديسمبر ١٨٩٣ ، تم تأسيس مستعمرة غينيا الفرنسية وصدر مرسوم فصلها عن السنغال ، وفى ١٠ مارس ١٨٩٣ تغير اسم المستعمرة من مستعمرة أنهار الجنوب إلى مستعمرة غينيا الفرنسية . وفى عام ١٨٩٥ أصبحت غينيا الفرنسية تتكون من ثلاث أقاليم ، الإقليم الساحلى (أنهار الجنوب) ، وفى الوسط فوتاجالون ، ثم الإقليم الشرقى ويشمل دينجويرى وبيلا Beyla وأودية النيجر التى كانت تابعة للسودان الفرنسى [٤٨٤] .

ولكن رغم جهود فرنسا استمرت الحروب الأهلية فى المنطقة كما استمرت ثورات الوطنيين ضدها ففى ١٨٨٩ ، أرادت فرنسا الاستيلاء على أراضى الزعيم دينا ساليفو Dina Salifou زعيم منطقة Nalou ولذلك أرسلته فى بعثة إلى باريس حيث استقبل استقبالا كبيراً وقام دينا بزيادة دار الأوبرا . ولكنه عندما عاد إلى بلاده رفض تسليم أراضيه لفرنسا ، وأخذ يعمل لإثارة القبائل ضدها فعزل من منصبه عام ١٨٩٥ وتوفى بالسنغال عام ١٨٩٧ [٤٨٥] .

والذى يهمنا من أمر هذه الزيارة أن فرنسا أرادت تأكيد حسن نواياها للوطنيين ، وتحسين علاقتها معهم ، وقد ألقى هانوتو اللوم الشديد على الزعيم دينا فذكر : « بأن الاستقبال الذى قوبل به فى باريس جعل هذا الزنجى يعتقد حقا أنه ملك كبير » لأنه بعد عودته رفض التفريط فى أراضيه ، وبالطبع نلاحظ تحيزها نوتو الشديد فهل المدنية فى نظره هى التخلى عن الأراضى الموروثة ، وهل مجرد إغراء الزعيم دينا بزيارة باريس يعد سببا كافيا لتخليه عن أراضيه ، وكأن هذه الزيارة هبة أو بركة نالها وعليه أن يدفع ثمنها ، وإلا كيف يجرؤ على عدم الانبهار بالحضارة الغربية .

وقد استمرت الحروب الأهلية فى المنطقة وسببت مشكلات خطيرة لفرنسا ففى عام ١٨٩٦ ذهب المبعوث الفرنسى دى بيكمان De Beeckmann إلى تمبو لتجديد المعاهدات التى عقدتها فرنسا مع إبراهيما سورى ، فجددها معه خليفته بوكار بيرو Bokar – Biro ، ولكن ثورة الأهالى على الأخير وتعيين عمر بادنمبا Oumar Bademba بدلا منه سبب المتاعب للفرنسيين وكان عليهم تغير موقفهم ومساندة عمر بادنمبا لاجتماع الرأى على تعيينه ، فساهم الحاكم باليه فى إرسال الحملات ضد بوكار وتولى الكابتن مولر Muller

---

(٤٨٤) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 95.

(٤٨٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tomr IV, p. 267.

تعقبه بمساندة بعض الزعماء الوطنيين حيث تم قتله ، ولكن ابنه شرع فى الانتقام من الزعماء الذين تعاونوا على قتل والده واضطراب الموقف ، وظهر أن عمر بادنيا عاجز تماما عن وقف الحرب ، ولذلك عين بابا Baba Alémou بدلا منه ورغم ذلك لم تنقطع الثورات فى المنطقة ضد الفرنسيين ، ففى عام ١٨٩٧ ثار تيرمو سيريه Tierom Siré شقيق بوكار ، ولكن القائد الفرنسى نوارو Noirot أسرع بتجميع قواته وهزمه [٤٨٦] .

فى ١٧ اكتوبر ١٨٩٩ ضم إلى فوتا جالون بعض مراكز السودان الفرنسى هى كسيسنيدو ، ودينجويرى ، وسيجيرى ، وكوروسا ، وكنكان ، وبيلا فامتدت المستعمرة بذلك شرقا حتى النيجر وقد مثلت هذه المناطق أجزاء من الأراضى التى سيطر عليها ساموري فى أعالى النيجر [٤٨٧] .

ورغم إخماد الثورات فى فوتاجالون ، ومبادرة الإدارة الفرنسية إلى محاربة الزعماء الوطنيين إلا أن المنطقة شهدت العديد من الإضطرابات حتى عام ١٩٠٠ ، وقد حاول نوارو الذى عين أول إداراى فى فوتاجالون أن يتوقف هذه الاضطرابات وأن يتفق مع الزعماء المحليين ولكن فى الواقع لم تتمكن السلطات الفرنسية من تدعيم سيطرتها فى المنطقة إلا بعد القضاء على ساموري تورى فى أعالى النيجر ، كذلك بعد تدعيم سلطتها فى المناطق الداخلية لساحل العاج . ورغم أن الموقف بدأ يتسم بالهدوء النسبى فى المنطقة إلا أنه سرعان ما نشبت عدة ثورات مرة أخرى خلال أعوام ١٩٠٨ – ١٩١٥ [٤٨٨] .

---

(٤٨٦) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV. P. 269.

(٤٨٧) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 62.

(٤٨٨) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 337.

ثانياً – السودان الفرنسى :

١ – أحمدو شيخو وامبراطورية التكرور :

(أ) أحمدو شيخو وعلاقته بالفرنسيين قبل ١٨٨٤ :

خلف أحمدو شيخو والده الحاج عمر الذى عهد إليه قبل وفاته بإدارة مملكة البمباره فى سيجو عام ١٨٦٢ ، ولقبه خليفة التيجانية فى السودان وبعد وفاة الحاج عمر كان لابد لأحمدو من تدعيم سيطرته على الأراضى التى استولى عليها والده ، كما كان عليه النضال ضد الزحف الفرنسى على أراضيه ، وقد لقب أحمدو بأمير المؤمنين فأضفى عليه هذا اللقب مكانة دينية بين التوكولور [٤٨٩] .

انقسمت البلاد الخاضعة لنفوذ أحمدو شيخو إلى أربع مجموعات [٤٩٠] المجموعة الأولى وهى مجموعة سيجو – التى اتخذها أحمدو عاصمة لدولته وتشمل هذه المجموعة القرى الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر مثل نيامينا وتوبا Touba وبانمبا Banemba . كما سيطر على بقايا مملكة البمباره فى سيجو وامتدات سيطرته على شريط من الأرض امتد بين نهر النيجر ونهر بانى [٤٩١] .

أما المجموعة الثانية فكان يحدها من الشمال الغربى مراكش والصفة اليمنى لنهر السنغال الأوسط ، ومن الجنوب نهر السنغال والباخوى والباؤولى ، وكان سكان تلك المجموعة من البمباره والساراكولى والكاجورا . وفى هذه المنطقة نجد منطقتين على جانب كبير من الأهمية نيورور التى حكمها شقيق أحمدو ، مونتاجا Mountaga وكونياكارى Koniakary

---

(٤٨٩) Encyclopedie de L'Islam Tome I, P. 301.

(٤٩٠) انظر شكل (١) – (٤) – (٥) – (٨) .

(٤٩١) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 127.

التى حكمها شقيقه باسيرو Bassirou وقد انفصلت المجموعة الأولى عن الثانية أى سيجو ونيورو بقرى تابعة للبمباره الوثنيين فى إقليم بليد وجو Beledougou [٤٩٢] .

أما المجموعة الثالثة فتتكون من الأراضى الواقعة جنوب أعالى السنغال وتمتد من نهر باخوى وباؤولى حتى نهر النيجر، كذلك الأراضى الواقعة شمال فوتا جالون ودينجويرى فى أعالى نهر النيجر. وكما انقطعت المواصلات بين سيجو ونيورو انقطعت أيضا بين سيجو والمجموعة الثالثة لسيطرة البمباره على الطرق المؤدية إلى نهر باؤولى. المجموعة الرابعة والأخيرة تشمل دينجويرى الواقعة فى أعالى النيجر، وكانت مستقلة عن أحمدو لأن شقيقة اجيبو استقل بها [٤٩٣] .

وقد واجه أحمدو منافسة شديدة من قبل البمباره الذين أخضعهم الحاج عمر من قبل، ولكنهم دأبوا على الثورة وقطع المواصلات بين سيجو وكارته ورفضوا اعتناق الإسلام كما واجه أحمدو أيضا العداء من قبل أقاربه الذين طمعوا فى انتزاع الحكم منه والانفصال عنه [٤٩٤] ورغم محاولات أحمدو لمواجهة أعدائه والسيطرة على الأراضى التابعة له، وتزويد جيشه بالمحاربين المدربين، إلا أن امبراطورية التوكولور لم تنهض نهضتها التى كانت عليها منذ زمن الحاج عمر [٤٩٥] ويرجع السبب فى ضعف امبراطورية التوكولور إلى صعوبة الاتصال بين أجزائها المختلفة، كذلك لثورات البمباره المتكررة، وحقدهم الدفين على التوكولور، واستعانتهم بالفرنسيين فضلا عن العامل الأساسى والرئيسى لهذا الضعف ألا وهو التغلغل الفرنسى فى المنطقة الواقعة فى أعالى النيجر والسنغال لاتخاذها نقطة ارتكاز ووثوب نحو بقية الغرب الإفريقى وتحقيق حلم فرنسا فى الامتداد شرقا، وقد أدى هذا التغلغل إلى ضرورة الاصطدام بامبراطورية التوكولور ورغم محاولات الاتفاق بين الطرفين إلا أنها كانت حلولا مؤقتة أو كسبا للوقت من جانب الفرنسيين الذين سرعان ما انقضوا عليها [٤٩٦] .

---

(٤٩٢) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 127.

(٤٩٣) Ibid., P. 128.

(٤٩٤) Encyclopedie de L'Islam : op. cit., Tome I, p.306.

(٤٩٥) Forstner, K. : op. cit., P. 48.

(٤٩٦) Forstner, K. : op. cit., P. 175.

وجدير بالذكر أن أحمدو حاول مقاومة النفوذ الفرنسى فى المنطقة ، فأنشأ سلسلة من الحصون فى كل من نيورو وديالا واستطاعت هذه الحصون الصمود المؤقت أمام التوغل الفرنسى وربما يرجع إليها الفضل فى تأخير الغزو الفرنسى الذى كان أمراً لا مفر منه (٤٩٧) .

إذا حاولنا تتبع العلاقة بين التوكولور والفرنسيين تلك العلاقة التى انتهت بتدمير امبراطورية التوكولور ، سنجد أنه كانت هناك محاولات للاتفاق السلمى بين الطرفين (٤٩٨) .

وكان إقرار السلام بين الطرفين أمراً ضرورياً ، فالفرنسيون أرادوا مد تجارتهم إلى منطقة السودان الغربى ، كذلك أحمدو أراد استكمال نشر الجهاد بين الوثنيين والقضاء على البمباره ، وتدعيم سيطرته على الأراضى التابعة له وتحقيقا لهذا الهدف أرسل فيدهرب بعثة دبلوماسية إلى سيجو تكونت من الملازم البحرى أوجينى ماج ، والطبيب كونتان فى ٢٨ فبراير عام ١٨٦٣ وفى ذلك الوقت كان الحاج عمر ما زال على قيد الحياة ، ولكن التوكولور استبقوا البعثة فترة من الزمن ثم استمرت المفاوضات بين الطرفين فى عام ١٨٦٦ وأسفرت تلك المفاوضات عن توقيع معاهدة عرفت بمعاهدة ماج (٤٩٩) وكان أهم شروطها :

١ - اعتراف الفرنسيين بسلطة أحمدو فى الأراضى التى يسيطر عليها .
٢ - السماح للتوكولور بشراء ما يحتاجون إليه من سانت لويس .
٣ - تأمين المواصلات مع فوتا .
٤ - توفير الحماية للفرنسيين والسماح لهم بحرية التجارة فى مقابل حصول أحمدو على ١٠٪ من تجارتهم .
٥ - وعد ماج أحمدو بتسليمه اثنى عشر مدفعا .

ولكن أحمدو رفض السماح للفرنسيين ببناء الحصون والمراكز فى المنطقة الممتدة بين بافولابى فى السنغال وباماكو الواقعة على النيجر ولم تحقق المعاهدة النجاح المنشود لأن الحاكم الفرنسى فى السنغال ، فاليير (الذى خلف فيدهرب) رفض تسليم المدافع لأحمدو مما أدى إلى توتر العلاقة بين الطرفين (٥٠٠) .

---

(٤٩٦) Forstner, K.: op. cit., p. 175.
(٤٩٧) Crowder, M · op. cit., Colonial, p. 80.
(٤٩٨) Forstner, K.: op. cit., p. 175.
(٤٩٩) Oloruntimehin, B.: op. cit., pp. 224 – 227..
(٥٠٠) Forstner, K.: op. cit., p. 50.

ورغم أم معاهدة ماج لم تحقق السلام التام بين الطرفين إلا أن أهميتها أنها مثلت رغبة الطرفين فى ذلك الوقت فى تحقيق السلام بينهما . ولكن بتعيين بريبو دى ليل حاكما للسنغال عام ١٨٧٦ ، توترت من جديد العلاقة بين الطرفين وخاصة وأن دى ليل ناصر سمبالا Sambala حاكم ميدين ضد التوكولر بل أرسل إليه نجدات وأسلحة واشترك معه فى محاربة التوكولور فى لوجر Logo فكان رد أحمدو هو عرقلة التجارة الفرنسية وتهديد مصالح التجار الفرنسيين بالإضافة إلى أنه بدأ يفكر فى الاتصال بالبريطانيين [٥٠١] .

وإزاء توتر العلاقة من جديد بين أحمدو والفرنسيين قام الرحالة الفرنسى بول سولييه بزيارة أحمدو ونشر تفاصيل هذه الزيارة فى كتابه Avenir de la France en Afrique فكتب عن المدن التى زارها وعن امبراطورية التوكولور والأراضى التابعة لأحمدو والثروات المختلفة الموجودة فى أراضيه مثل مناجم الذهب والغابات المليئة بالأخشاب الثمينة ، كما كتب عن نظم الحكم والإدارة فى امبراطورية التوكولور . وقد قابل سولييه كبار الشخصيات لدى أحمدو وحكام الأقاليم المختلفة ، وقد وصل سولييه إلى سيجو فى ١٩ اكتوبر ١٨٧٨ وقابل سامبا نادية أحد قواد أحمدو ثم تقابل مع أحمدو الذى أحسن استقباله ، وقد دافع سولييه فى كتابه عن أحمدو وأوضح بأن التوكولور ليسوا متوحشين كما يذاع عنهم ، بل هم من المسلمين المتقدمين لهم فنون متقدمة وصناعات دقيقة ولكنه أوضح بأن امبراطورية التوكولور ليست قوية كما كانت زمن الحاج عمر ورجح انهيارها بعد وفاة أحمدو [٥٠٢] .

أما أحمدو فعلى الرغم من حسن استقباله لسولييه إلا أنه أعرب له عن فكرة تحالفه مع بريطانيا ، وخاصة وأن الفرنسيين قد خذلوه ورفضوا إمداده بالمدافع التى وعدوه بها فى معاهدة ماج . ولم يكن أحمدو يهدد الفرنسيين بتحالفه مع بريطانيا ، فقد زار سيجو عام ١٨٧٦ الحاكم البريطانى فى غمبيا كوبر Cooper وذلك لفتح طرق التجارة للتجار البريطانيين والمستعمرات البريطانية فى غمبيا وسيراليون . وقد اتصل أحمدو بحاكم سيراليون أيضا حتى أنه فى عام ١٨٧٩ زار سيراليون حوالى ألف من تجار سيجو ، كما انتعشت السلع البريطانية وراجت فى منطقة أعالى السنغال ، وقد كتب كوبر حاكم غبيا إلى أحمدو عن رغبة الحكومة البريطانية لتدعيم التجارة معه . كما كتب إليه الدكتور روس

---

(٥٠١) Hagreaves, J. : op. cit., Prelud, p. 229.

(٥٠٢) Soleillet, Paul : **Les Voyages et de Couvertes de paul Soleillet dans Le Sahara et dans Le Soudan,** (Paris 1881), pp. 172 – 178.

Ross وكان يعمل فى سيراليون ومن المقربين للسيرروى حاكم سيراليون يقترح عليه مد طريق تجارى من دينجويرى فى أعالى النيجر إلى سيجو، وعرض عليه إرسال بعثة بريطانية لتوقيع اتفاق تجارى معه (٥٠٣).

وإزاء تطور العلاقة بين كل من التوكولور والسلطات البريطانية عهد حاكم السنغال إلى الكابتن جاللينى مراقبة النشاط البريطانى فى منطقة النيجر فاقترح جاللينى عام ١٨٧٩ إنشاء مراكز فرنسية فى كل من بافولابى وفونجالا Fangalla وكيتا، فعن طريق هذه المراكز يسهل الاتصال بالبمباره حلفاء الفرنسيين، ويمكن مراقبة النشاط البريطانى (٥٠٤). كما أرسل حاكم السنغال جاللينى فى بعثة إلى أحمدو لمحاولة الاتفاق معه، وأثناء ذهاب جاللينى إلى سيجو هاجمه البمباره فى عام ١٨٨٨ وقتلوا معظم أفراد بعثته، وذلك خوفا من تحالفه مع التكرور، فلجأ جاللينى إلى نانجو Nango التى تبعد ٣٥ كم سيجو عاصمة التوكولور وقد مكث فيها جاللينى تسعة أشهر قبل أن يتمكن من مقابلة أحمدو، وظل طوال هذه الفترة تحت رقابة شديدة وقد عزا جاللينى بقاءه فى نانجو هذه الفترة الطويلة إلى أن حاكم سيراليون سعى للدس بينه وبين أحمدو، ليحول دون اتفاقهما، وكمية الإضافة إلى ذلك نجد أن محاولة جاللينى الاتصال بالبمباره قد أثارت مخاوف التكرور، فأوضح له سيدو Seydou مستشار أحمدو بأن سمعته قد ساءت قبل وصوله إلى نانجو. ولذلك ظل حبيسا فى نانجو من أغسطس ١٨٨٠ حتى مارس ١٨٨١ حتى سمح له بمغادرة المكان، ثم وقع اتفاقية مع أحمدو فى ٣ نوفمبر عام ١٨٨٠ عرفت بإتفاقية نانجو (٥٠٥) وفى هذه الاتفاقية طلب جاللينى من أحمدو إعلان الحماية الفرنسية على أراضيه والسماح للتجارة الفرنسيين بالتجارة فيها، ولكن أحمدو رفض الحماية الفرنسية، ولكنه وافق على السماح للتجار الفرنسيين بالتجارة (٥٠٦).

وجدير بالذكر أن اتفاقية بانجو لم تحظ بقبول لدى حاكم السنغال دى ليل لأنها تمت قبل موافقة البرلمان عليها وقد تمسك أحمدو بشرط إقامة حصون فرنسية فى أراضيه، كذلك عدم موافقته مد أى خطوط حديدية وأوضح سيدو مستشار أحمدو لجاللينى عدم ثقتهم

---

(٥٠٣) Oloruntimehin, B. : op. cit., pp. 235 – 238.

(٥٠٤) Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 239.

(٥٠٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 175.

(٥٠٦) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 81.

فى الفرنسيين لتدخلهم فى شئونهم كما أعلن له رفض أحمدو تعيين مندوب فرنسى فى أراضيه (٥٠٧) .

ويلاحظ أن نصوص معاهدة نانجو اختلفت باللغة الفرنسية عن النصوص العربية ، ففى المادة السادسة من النص العربى تضمنت السماح للتجار الفرنسيين بالتجارة على ضفة النيجر من منابعه حتى تمبكتو ، ولهم حرية التجارة فى الأراضى التى يستولى عليها أحمدو فى المستقبل ، أما النص الفرنسى فقد تضمن بأن سلطان سيجو يعلن قبوله الحماية الفرنسية على النيجر من منابعه حتى تمبكتو كذلك الحماية على الأراضى التى سوف يقوم بغزوها على طول النهر وفى المادة السابعة من المعاهدة نصت فى النص العربى بالسماح للفرنسيين بالتجارة والملاحة فى نهر النيجر ، أما فى النص الفرنسى فقد تضمنت السماح للفرنسيين فقط بالملاحة والتجارة وبناء المنشآت على طول نهر النيجر . وكان لاختلاف نصوص المعاهدة أثر كبير فى توتر العلاقة بين الطرفين (٥٠٨) كما أن وزارة البحرية الفرنسية رفضت اعتماد هذه المعاهدة ، لأنها رأت أنه من الأجدى التحالف والاعتماد على البمباره بدلا من أحمدو التوكولور (٥٠٩) .

وفى ٦ سبتمبر ١٨٨٠ صدر مرسوم بإنشاء وظيفة جديدة هى وظيفة القائد الأعلى لأعالى النهر Commandant Superieur du Haut Fleuve وكانت هذه الوظيفة بداية لتنظيم عسكرى جديد لمستعمرة السنغال والمنطقة بأسرها وأول من تولى هذا المنصب كان جوستاف بورنى ديبورد Gustave Borgnis Desbordes فى أول يناير ١٨٨١ (٥١٠) .

وكان لهذا المنصب أهمية كبيرة ، فبمقتضاه تم تنظيم عملية السيطرة على ضفاف النيجر وقد تميز التقدم الفرنسى فى المنطقة بإستخدام القوة العسكرية لأكثر من عشر سنوات ، ثم تحرك الفرنسيون فى محورين الأول صوب أراضى بوريه وسنكران ، وواسولو وصوب الأراضى التى يسيطر عليه ساموري تورى ، والثانى صوب الأراضى التى يسيطر عليها أحمدو (٥١١) .

---

(٥٠٧) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, p. 259.

(٥٠٨) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 338 – 339

(٥٠٩) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 149.

(٥١٠) Johnston, H. : op. cit., p. 202.

(٥١١) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, PP. 263–264.

أما عن بورني ديبورد أول قائد عسكري لأقاليم أعالي النهر فقد تطلع لإحراز أمجاد شخصية ، شأنه في ذلك شأن بقية الضباط الفرنسيين والأوربيين بصفة عام فعكف على دراسة المنطقة الواقعة بين بافولاني والنيجر واقترح ضرورة مد خط حديدي من ميدين في السنغال حتى باماكو على النيجر وذلك لتحقيق اتصال مباشر مع منطقة النيجر ، ولإبعاد النفوذ البريطاني وقد قام ديبورد بثلاث حملات هامة في المنطقة لإنشاء عدة حصون فرنسية تخدم أغراضه العسكرية (٥١٢) .

كان الغرض من حملة ديبورد الأولى هو الوصول إلى كيتا وبناء حصن فرنسي في المنطقة ، وقد خرجت الحملة من ميدين في ٩ يناير ١٨٨١ وسارت في اتجاه أعالي السنغال حتى بافولابي حيث المركز الفرنسي ، ثم واصلت سيرها حتى كيتا حيث بدأ الفرنسيون في بناء الحصن ولكن أهالي جوبانكو وهي قرية محصنة تبعد ١٧ كم عن كيتا رفضوا التعاون مع ديبورد ، ولذلك أطلق عليهم نيران مدافعه واستولى على القرية . وبعد ذلك اتجه إلى حصن مورجولا التابع للتوكولور وحاصره (٥١٣) ثم توغل ديبورد جنوبا في بوريه وسنكران في أعالي النيجر ، وعاد في ١٢ يونيو ١٨٨١ إلى سانت لويس وحققت حملته غرضها في بناء الحصن ، كما مهد طريقا بين كيتا وبافولابي ، ومد خطا تلغرافيا طوله ١٢١ كم بين بافولابي وتوكولو ورسم خريطة منفصلة للمنطقة الواقعة بين ميدين وبادمبيه وتوكولو وكونيا كاري (٥١٤) وقد كتب ديبورد بعد عودته تقريراً عن ضرورة استخدام القوة لدعم السيطرة الفرنسية في المنطقة ، كما أوضح أن السودان في حاجة إلى عدة عمليات عسكرية للاستيلاء عليه ، وأن التوغل السلمي فيه خرافة ولن تتم (٥١٥) . وتمتع ديبورد بنفوذ كبير في المنطقة ، كما أن دي ليل حاكم السنغال منحه سلطات وصلاحيات كبيرة حتى أنه بعد رحيله أصبح ديبورد هو الحاكم الفعلي (٥١٦) .

أما حملة ديبورد الثانية فكانت في عام ١٨٨١ - ١٨٨٢ وأقرتها وزارة البحرية الفرنسية وكان هدفها الوصول إلى النيجر عن طريق باماكو وتموين المراكز الفرنسية في بافولابي

---

(٥١٢) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 149.

(٥١٣) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 147.

(٥١٤) Hagreaves, J. : op. cit., Prelude, P. 263.

(٥١٥) Forstner, K. : op. cit., p. 81.

(٥١٦) Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 251.

وكيتا ، وتعتبر هذه الحملة تكملة للحملة الأولى . ويلاحظ أن كنار الذى عين حاكما للسنغال كان يرى ضرورة خفض نفقات المستعمرة لتفشى الحمى الصفراء فيها ، ولذلك طلب من ديبورد ضرورة وقف العمليات العسكرية ولكن ديبورد رفض ، فقد كان يحظى بتأييد من وزير البحرية الفرنسية جور جيبرى ولذلك استمر ديبورد فى حملاته . وتم تعيين فالون Vallon حاكما فى السنغال بدلا من كنار . وقد نجح ديبورد فى تحقيق هدف حملته الثانية التى اقتصرت على تموين المراكز الفرنسية فى كل من بافولابى وكيتا [٥١٧] .

أما الحملة الثالثة فكانت فى ١٨٨٢ - ١٨٨٣ والهدف منها إنشاء حصن باماكو على النيجر ، ويعتبر بناء حصن باماكو بداية لغزو السودان ، فقد أتاح للفرنسيين فرصة التوغل داخل البلاد [٥١٨] . ولعل أهم النتائج التى ترتبت على إنشاء حصن باماكو مايلى :

١ - دخل زعيم التوكولور فى المنطقة تيتى Titi فى طاعة ديبورد خوفا من انتقام الفرنسيين وساعده فى بناء الحصن .

٢ - أضيرت مصالح أحمدو فقد قطعت المواصلات بين الحصن فى باماكو وسيجو العاصمة .

٣ - بدأ أحمدو يستعد لمحاربة الفرنسيين .

٤ - أدرك ساموری أن بناء حصن باماكو يمثل تهديداً بالنسبة له هو الآخر [٥١٩] .

وقد أرسل مونتاجا شقيق أحمدو إلى ديبورد رسالة يحمله فيها مسئولية تدمير بلاده ، والتحالف مع أعداء التوكولور من البمباره . ولكن ديبورد نجح فى تحقيق أهدافه وتدعيم السيطرة الفرنسية فى المنطقة الواقعة بين ميدين على نهر السنغال وباماكو على النيجر [٥٢٠] .

ما أن خلف بواليف Boileve ديبورد كقائد أعلى لأعالى النهر حتى أوقف العمليات العسكرية . فى الفترة مابين ١٨٨٣ - ١٨٨٤ إذ وجدت الحكومة الفرنسية بأن حملات ديبورد كلفتها الكثيرة ، كما أنها لم تحرز أى تقدم سياسى فى المنطقة بل على العكس أدت إلى

---

(٥١٧) Johnston, H. : op. cit., p. 204.

(٥١٨) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 82.

(٥١٩) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 163-178.

(٥٢٠) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 58.

سوء العلاقة بينهم وبين التوكولور. وكانت سياسة بواليف هى المحافظة على مركز الفرنسيين السياسى والعسكرى والإدارى وعدم توريط فرنسا فى أى عمليات عسكرية أو إرهاق ميزانيتها بالأعمال الحربية وعدم تكبدها خسائر فى الأرواح ، وصدرت التعليمات إلى بواليف بأن يقتصر نشاطه على تموين الحصون والمراكز الفرنسية وأن يستمر فى تشييد الطرق والكبارى والحصون من كايس إلى باماكو [٥٢١] وفى رسالة من ديبورد إلى بواليف يتضح لنا سياسة فرنسا فى تلك الفترة ، ألا وهى الاكتفاء بالإنجازات التى حققوها .

يجب علينا فى تلك المرحلة العمل على تزويد الحصون والمراكز بالمؤن والجنود ويجب الاستيلاء على كل وادى باخوى وإنشاء حصن سيجيرى . كما يجب بناء حصنين فى كل من كونديان ونياجا سولاكى يكونا نقطتى إسعاف ونجده وحماية لبقية الحصون [٥٢٢] .

وجدير بالذكر أنه نتيجة لتحركات الفرنسيين العسكرية نقل أحمدو عاصمة بلاده سيجو الواقعة قرب باماكو إلى نيورو عاصمة كارته ليتخذ منها مركزاً استراتيجياً فى نضاله ضد الفرنسيين . ومنذ تلك الفترة والعلاقات بينه وبين الفرنسيين فى تدهور مستمر ، وخاصة بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ وانطلاق فرنسا الجامح فى غرب القارة فلم تعد فرنسا تكتفى بالحصون والمراكز ، وإنما أصبحت تعمل على تدعيم سيادتها بالقوة الفعلية العسكرية [٥٢٣] .

(ب) علاقة أحمدو بالفرنسيين بعد ١٨٨٤ :

خلف كومب Combes زميله بواليف فى قيادة السودان فى الفترة بين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ ، حيث كان أحمدو قد ترك سيجو إلى نيورو ، وأخذ يهدد الفرنسيين ، وهاجم التوكولور البمباره فى بليدوجو ، ونجحت فرقة منهم فى الإستيلاء على نيامينا على الضفة اليسرى لنهر النيجر ، كما هددوا أيضا المركز الفرنسى فى باماكو [٥٢٤] .

---

(٥٢١) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 180.

(٥٢٢) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 194–196.

(٥٢٣) Guernier, M. : op. cit., Tome I, p. 58.

(٥٢٤) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 67.

وجدير بالذكر أن هناك أصواتا ظهرت فى باريس بعد تعيين كومب نادت بالانسحاب من السودان ، والاكتفاء بالمستعمرة الفرنسية فى السنغال ، ولكن أشينار ومونتى Monteil وهما من الضباط العسكريين تصديا لهذا الرأى وأكد الكابتن مونتى « بأن مصلحة فرنسا العليا هى فى الإبقاء على وجودها فى السودان » وقد عبر عن رأيه هذا فى البرلمان الفرنسى قائلا :

« إنى أحذر الوزارة عن خطر ترك السودان ، فمعنى ذلك أن مراكزنا سوف تصبح مرة أخرى فى يد الطاغية سامورى ، وسوف يصاب الأهالى بخيبة أمل ، لأنهم رأوا فى الوجود الفرنسى حماية لهم ، كما أننا عقدنا معاهدات صداقة مع العديد من الزعماء المحليين . فمعنى ترك السودان ، أننا لن نستطيع أن نمزق تلك المعاهدات ، وسوف يؤثر ذلك على مركز فرنسا ، وسوف يعتقد السودان الغربى كله أننا انسحبنا لأننا عاجزون عن مقاومة سامورى والتصدى له » . كما أيد أرشينار رأى مونتى وأضاف بأن الانسحاب من السودان يعنى قيام ثورة شاملة سوف تهدد السنغال نفسها [٥٢٥] .

ويوصول فرى Frey إلى السودان كقائد لأعالى النهر ركز كل اهتمامه للقضاء على محمدو لامين ولذلك اتسمت العلاقة بين التوكولور والفرنسيين بالهدوء فى تلك الفترة ، ولم يعكر صفوها إلا حرص الفرنسيين على الإبقاء على علاقاتهم الودية مع البمبارا ليتخذوهم درعا لهم عندما يقررون مهاجمة التوكولور واستمروا يبيعونهم الأسلحة سرا رغم احتجاجات أحمدو المتكررة [٥٢٦] .

وفى ١٨٨٦ عين جالينى قائداً أعلى للسودان الفرنسى Commandant Superieur du Soudan Français وظهر لأول مرة اصطلاح السودان الفرنسى فى الأراضى التى امتدت إليها السيطرة الفرنسية ، وكان اصطلاح أعالى النهر هو الاصطلاح الشائع من قبل ، وكان المقصود به أعالى نهر السنغال . ولكن بعد تقدم الفرنسيين فى المنطقة ظهر اصطلاح السودان الفرنسى [٥٢٧] . ركز جاللينى جهوده ضد محمدو لامين ، ولذلك رأى ضرورة التعاون مع أحمدو مؤقتا وأسفر هذا التعاون عن توقيع معاهدة جورى Gouri فى ١٢ مايو ١٨٨٧ ،

---

(٥٢٥) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 246.

(٥٢٦) Ibid., p. 343.

(٥٢٧) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 58.

بين أحمدو والفرنسيين وبمقتضى هذه المعاهدة وضع أحمدو بلاده تحت الحماية الفرنسية ، وفتح الطريق أمام الفرنسيين للملاحة والإبحار فى النيجر كما سمح لهم ببناء المنشآت فى أراضيه (٥٢٨) .

وجدير بالذكر أن جاللينى نشر رأيه عن معاهدة جورى فى كتاب عام ١٨٩١ ، حمل فيه على سياسة التوسع العسكرى فقد ذكر أن معاهدة جورى أتاحت لفرنسا وضع دولة أحمدو تحت الحماية الفرنسية وبذلك امتدت السيطرة الفرنسية من السنغال حتى النيجر وذكر جاللينى بأن أحمدو لا يشكل فى نظره خطراً على الفرنسيين بل على العكس لقد تعاون معه حتى تم إلقاء القبض على سويبو Soybou ابن محمدو لامين وكتب جاللينى بأنه عندما زار السودان للمرة الأولى ١٨٨٠ - ١٨٨١ كان يعتقد بأن التوكولور يمثلون عقبة أمام التقدم الفرنسى ولكن فى عام ١٨٨٦ حينما عاد كقائد عسكرى وجد بأنه من الممكن الاستفادة منهم فى تطوير التجارة ، كما سجل إعجابه بديانتهم أى بالدين الإسلامى الذى يحثهم على التطور والرقى وأكد بأن القضاء على التوكولور سيؤدى إلى تدمير التجارة الفرنسية . كما عارض فكرة إقامة خطوط حديدية فى أعالى السنغال ، وأكد بأنه من الناحية الاقتصادية لن تجنى فرنسا فوائد من السودان لأن المناطق الداخلية ليست على درجة كبيرة من الثراء (٥٢٩) .

ويمكن أن نقول أن تعيين جاللينى فى السودان الفرنسى حقق لفرنسا فوائد كثيرة فقد تمكن من توقيع معاهدة بيساندوجو مع سامورى ومعاهدة جورى مع أحمدو ، كما قبل اجيبو شقيق أحمدو فى دينجويرى وضع أراضيه تحت السيطرة الفرنسية ، كما نجح فى التخلص من محمدو لامين نهائيا بفضل جهود الكابتن فورتى واستطاع مد النفوذ الفرنسى فى أعالى النيجر ، وامتدت الإدارة الفرنسية فى السودان بحيث شملت المناطق التالية :

(أ) نهر السنغال من باقل حتى فرعى باوؤل وباخوى .

(ب) سيطر الفرنسيون على النيجر من نيامينا شمالا حتى سيجيرى فى أعالى النيجر .

(جـ) امتدت الادارة الفرنسية عند الحدود من دينجويرى حتى نهر غمبيا .

---

(٥٢٨) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 182.

(٥٢٩) Hagreaves, J. : op. cit., France, pp. 161-162.

وقد أديرت هذه الممتلكات إدارة مباشرة ، ولذلك قسمت إلى عدة مراكز إدارية يتولى إدارتها ضباط يخضعون للقائد الأعلى للسودان ، وهذه المراكز هى باقل - ميدين - بافولابى - كيتا - باماكو - سيجيرى . وتم اتخاذ كايس مركز للعمليات العسكرية (٥٣٠) .

خلف لويس ارشينار Louis Archinard جالليني كقائد أعلى للسودان الفرسى فى الفترة مابين ١٨٨٨ - ١٨٩٠ ، ثم غادر المنطقة إلى فرنسا وعاد إليها مرة ثانية فى عام ١٨٩٢ - ١٨٩٣ وتتلخص سياسته فى اقتناعه بضرورة القضاء على أحمدو وهو بذلك لا يشارك جالليني فى الاعتقاد بالإبقاء على العلاقات الودية مع التوكولور (٥٣١) .

وعلى الرغم من تحذيرات حاكم السنغال بعدم استخدام القوة ، إلا أن أرشينار كان قد عقد العزم على تدمير امبراطورية التوكولور فقام بثلاث حملات ضدهم أسفرت فى النهاية عن تدميرهم والقضاء على أحمدو شيخو (٥٣٢) .

وإذا استعرضنا أحوال المنطقة عند قدوم أرشينار نجد أن الفرنسيين سيطروا على المنطقة الممتدة من كايس فى السنغال حتى نهر النيجر ، ولكنهم لم يستطيعوا إحكام سيطرتهم على جنوب وشمال هذه المنطقة . ففى الشمال كان أحمدو يتحكم فى نيورو متخذا إياها قاعدة لحكمه . كذلك سيجو الواقعة على نهر النيجر كان مادانى يحكم قبضته عليها . أما بندياجرا الواقعة شمال سيجو فكانت تحت حكم تيجانى Tigani ، كذلك كان سامورى يركز هجماته ضد الفرنسيين فى أعالى النيجر (٥٣٣) .

عند وصول أرشينار إلى السودان كانت العلاقات بين التوكولور والفرنسيين متوقفة تماما ، وذلك لأن جالليني قبل رحيله قام بطرد التوكولور من حصنهم كونديان الواقع على السنغال ١٨٨٨ ، مما أدى إلى غضب أحمدو ، ورغم كل محاولات جالليني لاسترضائه إلا أنه رفض تبريراته كلها ، وأصر على قطع علاقاته مع الفرنسيين . وإذا تساءلنا عن سبب إقدام جالليني على هذه الخطوة رغم توقيعه معاهدة جورى مع أحمدو ورغم تمسكه بسياسة مهادنة

---

(٥٣٠) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 302.
(٥٣١) Johnston, H. : op. cit., p. 204.
(٥٣٢) Forstner, K. : op. cit., p. 176.
(٥٣٣) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 183

التوكولور ، سنجد بأنه كان فى حاجة إلى حصن كونديان لأنه يحتل موقعا استراتيجيا هاماً فهو يتحكم فى وادى نهر بافنج المتصل بنهر السنغال (٥٢٤) .

ولكن بقدوم أرشينار إلى السودان وبعد التغلب على محمدو لامين لم يبق للفرنسيين سوى اكتساح وابتلاع أراضى أحمدو ، ليحققوا حلمهم فى بناء امبراطورية كبيرة فى داخل غرب أفريقيا . لقد كان أرشينار هو المخطط الحقيقى للغزو الفرنسى . وقد ناضل فى سبيل إثبات صحة نظريته بضرورة القضاء على التوكولور واستطاع أن يقنع الحكومة الفرنسية بآرائه بل أنه دفعها لغزو التوكولور وأجبرها على الإعتراف بغزواته وأعماله (٥٢٥) .

قاد أرشبنار ثلاث حملات رئيسية ضد التوكولور حتى تمكن من تدمير دولتهم كانت الحملة الأولى بحجة أن التوكولور استعادوا حصن كونديان فتحركت قواته من المركز الفرنسى فى بافولابى الواقع على نهر السنغال فى ١٤ فبراير ١٨٨٩ واتجه نحو الحصن عين الكابتن كيكندون Quiquandon فى مقدمة الحملة وقد لجأ أرشبنار إلى حيلة ساعدته فى الاستيلاء على الحصن إذ دفع بمقدمة الحملة إلى الظهور أمام قوات الحصن مما جعل التوكولور يستهينون بهذا العدد القليل من الرجال ، وتأكدوا بأنهم لن يقووا على اقتحام الحصن ولكنهم فوجئوا بعد ذلك بمحاصرة الفرنسيين لهم من كل مكان (٥٢٦) .

ترتب الاستيلاء على حصن كونديان عدة نتائج هامة :

١ – قضى على أسس الاتفاق بين الفرنسيين والتوكولور .

٢ – إثارة الرعب والفزع فى المنطقة ، حتى إن ارشبنار كتب بأن سقوط الحصن نشر الرعب فى المنطقة ، وجعل التوكولور يدركون مدى قوة الفرنسيين .

٣ – قطع خط المواصلات بين منطقة السنغال ودينجويزى بينها وبين بقية امبراطورية التوكولور فكتب أجيبو إلى شقيقه أحمدو بأنه يجد نفسه معزولا وسط المراكز الفرنسية وأنه لم يعد يقوى على تقديم أى مساعدة فعلية له .

---

(٥٢٤) Oloruntimehin, B. : op. cit., pp. 275-279.

(٥٢٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 185.

(٥٢٦) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 401.

٤ - حاول أحمدو قطع الطريق على القوات الفرنسية ، ولكنه تراجع بسبب ضعف قواته ، وخوفه من هجمات البمبارة فقام بقطع الطريق مع ميدين والسنغال [٥٣٧] .

أما حملة أرشينار الثانية فكان هدفها احتلال سيجو ، وقد كشف التقرير الذى قدمه الملازم مارشان Marchand عن ضعف دفاع سيجو . وعدم قدرتها على الصمود طويلا . وأرسل أرشينار إلى ايتيان وكيل وزارة الخارجية يؤكد له ضرورة الاستيلاء على سيجو . وفى الواقع شعر ايتيان بالحيرة ، لأن جاللينى أكد له بأن امبراطورية التوكولور سوف تنهار بعد وفاة أحمدو ، ولذلك ليس هناك مبرر لمهاجمتها وتكلف النفقات الباهظة بينما فى الوقت نفسه أرشينار يلح عليه ويرسل له العديد من التقارير عن مدى خطورة الموقف ، وعن إمكانية تحالف ساموري مع أحمدو وأخيراً قرر حاكم السنغال كليمنت توما أن يسمح لأرشينار بحرية العمل [٥٣٨] .

وهكذا انتصر رأى أرشينار ، وأعد حملة للاستيلاء على سيجو وكان على أرشينار أن يقوم ببعض العمليات الاستطلاعية قبل إرسال الحملة ، فعمد إلى مارشان يجمع المعلومات عن الوضع العسكرى فى سيجو ، فعمل مارشان الإبحار بالسفن الحربية أمام سيجو وأخذ يدون ملاحظاته عن توزيع التحصينات القوية والضعيفة فى وسائل الدفاع . وفى ٦أبريل وصلت القوات الفرنسية أمام سيجو [٥٣٩] وكان الاستيلاء على سيجو له عدة نتائج :

١ - كان نذيراً بزوال امبراطورية التوكولور .

٢ - كان لسقوط سيجو أثر كبير فى السودان الغربى فهى العاصمة السابقة لأمير المؤمنين أحمدو .

٣ - توافد زعماء المناطق المجاورة للدخول فى طاعة الفرنسيين [٥٤٠] ، بعد احتلال سيجو كان أرشينار تواقا لتطهير الطريق إلى نيورو ، حيث مركز أحمدو فتحرك شمالا إلى حصن اوسيبوجو Ouossebougou على الحدود الشرقية لكارته ، ورغم مساعدة البمبارا له إلا أن الاستيلاء على الحصن لم يكن سهلا ، وذلك لأن أحمدو ركز قواته لمهاجمة

---

(٥٣٧) Oloruntimehin, B. : op. cit., pp. 284-285.

(٥٣٨) Forstner, K. : op. cit., p. 182.

(٥٣٩) Meniaud, J. op. cit., Tome I, p. 431.

(٥٤٠) Ibid., p. 431.

الفرنسيين فى باديبه وبافولابى كما هاجم المناطق الواقعة عند المجرى الأدنى لنهر بافنج باخوى وهدد كايس وباقل (٥٤١) .

ولكن أرشينار نجح فى الاستيلاء على الحصن كما استولى على حصن كونيا كارى فى ١٥ يونيو ١٨٩٠ وكان يقع جنوب كارته وقد ترتب على الاستيلاء على حصن كونيا كارى عدة نتائج :

١ - انسحاب أحمدو بقواته إلى نيورو مما أعطى للفرنسيين فرصة أكبر لتوسيع نشاطهم فى مناطق عديدة قريبة من كارته .

٢ - فقد أحمدو عدداً كبيراً من رجاله ، وكان من الصعب تعويضهم .

٣ - خضوع سكان المنطقة للفرنسيين (٥٤٢)

أما حملة أرشينار الثالثة ، فكان هدفها مركز أحمدو الرئيسى فى نيورو وبذلك يكون الفرنسيون قد توغلوا فى قلب دولة أحمدو ولم يبق فى يديه سوى كارته التى لن تستطيع الصمود طويلا ، وقد كون أرشينار حملة بقيادة الملازم مارشان اتجهت لتهديد نيورو من الجهات الشرقية ، كما عقد اتفاقا مع نتو N'to وهو من زعماء البمبارا القدامى فى سيجو وكلفه بإغلاق الطريق أمام التوكولور ووضع فرقتين من الجنود الفرنسيين على النيجر خوفا من إقدام ساموری علىأى عمل عدائى ضد الفرنسيين (٥٤٣) .

حاول أحمدو الخروج من نيورو لملاقاة القوات الفرنسية ، ولكنه لم يقو على الصمود أمام المدفعية الفرنسية ، وفى أول يناير ١٨٩١ وصلت الحملة إلى نيورو فوجدت أن الحصن قد هجر تماما ، فتم الاستيلاء عليها وبعد الاستيلاء على نيورو فر أحمدو فى اتجاه ماسينا فأرسل أرشينار حملة بقيادة مارشان إلى جنوب نيورو خوفا من مهاجمة أحمدو للمدينة (٥٤٤) .

---

(٥٤١) Hanotaux, G : op. cit., Tome IV, p. 186.

(٥٤٢) Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 301.

(٥٤٣) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 8-12.

(٥٤٤) Oloruntimehin, B. : op. cit., p. 304.

(جـ) انتهاء مقاومة أحمدو :

فر أحمدو إلى ماسينا ، وأخذ يستعد لمواجهة الفرنسيين أما أرشينار فجمع قوات المبمبارا حوله واتصل بأجيبو شقيق أحمدو ، ونصبه خليفة فى سيجو ولكن زعماء التوكولور رفضوا الإعتراف بخلافته لتحالفه مع أعدائهم ، اتجه أرشينار إلى ماسينا ، وتصدت له قوات التوكولور فى جنى إلا أن أرشينار نجح فى التغلب عليهم واستولى على جنى فى ١٢ أبريل ١٨٩٣ وأنشأ فيها مركزاً فرنسياً ثم واصل تقدمه حتى وصلت قواته إلى ماسينا ، فوجدت أن أحمدو قد هجرها فحاولت تعقبه إلى بنديا جارا ، ولكنها فشلت فى الإمساك به ، وعيَّنَ أرشينار الكابتن بلاشير Blachére لحراسة بنديا جارا . كما ترك الملازم البحرى بواتيه Boiteux فى موبتى لكى يؤمن طريق المواصلات النهرية بين سيجو وديانا وبين موبتى وتمبكتو [٥٤٥] .

أما أحمدو فقد لجأ إلى القبائل التى تعيش بين بندياجارا وهمبورى Hombori ، وقد حاول الكابتن بلاشير مباغتته فى دالا Dalla فى ١٩ مايو ١٨٩٣ إلا أنه نجح فى الفرار وعبر النيجر واتجه إلى دامجا الواقعة على بعد ٢٥ كم من ساى ، وأخيرا ترك أحمدو المنطقة واستقر فى سوكوتو عام ١٨٩٨ ، حيث توفى فيها [٥٤٦] .

٢ - ساموری توری وامبراطورية الماندنجو :

(أ) ساموری توری فی النیجر :

فى الوقت الذى سعت فيه فرنسا لدعم سيطرتها على منطقة النيجر ، وكان عليها مواجهة خطرين الأول أحمدو شيخو زعيم التوكولور ، والثانى ساموری توری زعيم الماندنجو . الذى كون دولته فى أعالى النيجر [٥٤٧] ، وسعى للتوسع شمالا نحو منطقة ثنية النيجر ، بعد أن استولى على الضفة اليمنى للنهر ولذلك كان من الطبيعى أن يصطدم

---

(٥٤٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 194–195.

(٥٤٦) Ibid., p. 195.

(٥٤٧) انظر أراضى ساموری شكل (١) - (٢) - (٥) - (٦) .

ساموری مع الفرنسيين الذين سعوا للسيطرة على المناطق الداخلية فى غرب أفريقيا تمهيداً لإقامة امبراطوريتهم التوسعية ، وقد دام الصراع بين الطرفين من عام ١٨٨١ – حتى عام ١٨٩٨ دارت خلاله عدة معارك خطيرة أرهقت القوات الفرنسية ، واضطرت فرنسا فى النهاية إلى الاعتراف بمهارة ساموری العسكرية والدبلوماسية [٥٤٨] .

لم يكن الفرنسيون على علاقة وثيقة بساموری ، فلم يسمعوا عنه من قبل حتى عام ١٨٧٨ وذلك لأن اهتمامهم الرئيسى تركز فى التصدى لامبراطورية التوكولور منذ فترة مبكرة . وقد بدأ أول اتصال بساموری فى عام ١٨٨١ ، عندما أرسل له الملازم الكاماسا Alkamassa من كيتا Kita وطلب منه الابتعاد عن بلدة كينيرا Keniéra [٥٤٩] وكان ساموری يثير الرعب فى هذه البلدة ، وهى سوق كبيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر النيجر بالقرب من سيجيرى ، كما كانت مركزاً هاماً لتجارة الذهب القادم من بوريه فى أعالى النيجر ، وتجارة الملح والأقمشة والخيول القادمة من الشمال وإزاء اعتداءات ساموری المتكررة على كينيرا ، أرسل حاكمها باجوبا Bagoba طالبا النجدة من الفرنسيين فى كيتا عام ١٨٨١ [٥٥٠] .

ولكن قائد حصن كيتا خشى التسرع فى إرسال نجدة إلى كينيرا خوفا من توغل قواته فى بلاد مازالت مجهولة للفرنسيين ، ولذلك اكتفى بتشجيع باجوبا على مقاومة حصار قوات ساموری وأرسل إلى الأخير الملازم الكاماسا ، وهو أحد القواد المسلمين الذين عملوا فى خدمة الجيش الفرنسى ، ليحاول عقد صلح بين كل من ساموری وباجوبا ، ولكن ساموری رفض وساطة الفرنسيين وألقى بالمبعوث الفرنسى فى السجن [٥٥١] .

أما أهالى كينيرا فظلوا يعانون من شدة حصار قوات ساموری على المدينة ، وقد صدرت التعليمات من حاكم السنغال بعدم تخطى القوات الفرنسية حصن كيتا ، وعجز الفرنسيون عن تقديم أى مساعدة للمدينة المحاصرة ، وخاصة بعد تفشى الحمى الصفراء فى مستعمرة السنغال [٥٥٢] .

---

(٥٤٨) Sik, E. : op. cit., Vol. I, p. 314.

(٥٤٩) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p 124.

(٥٥٠) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 152.

(٥٥١) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 201.

(٥٥٢) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 127.

وفى يناير ١٨٨٢ عين بورنى ديبور قائداً عسكرياً لأعالى النهر ، فأعد حملة لفك الحصار عن كينيرا ولم يكن هدف الفرنسيين إنسانيا بالطبع ، وإنما أرادوا تلقين ساموری درسا ومنعه من الإغارة على البلاد المجاورة ، ولتأكيد السيطرة الفرنسية فى المنطقة ، بالإضافة إلى أن أحد الطرق الهامة المؤدية إلى النيجر وهو طريق وادى باخوى كان مسدودا فى وجه الفرنسيين بسبب وجود قوات ساموری ولذلك خشى ديبورد من تزايد نفوذ ساموری خاصة أن المناطق الواقعة فى أعالى النيجر طلبت منه الدخول فى طاعته [٥٥٣] ولذلك كون ديبورد حملته وخرج من حصن كيتا فى ١٦ فبراير ١٨٨٢ متجها صوب سيجيرى وأذاع جنوده بأنهم ينوون الإتجاه نحو حصن مورجالا وذلك لتمويه قوات ساموری ولكن فى ٢٦ فبراير علم ديبورد بسقوط كينيرا فى يد ساموری . وعندما علم ساموری بقوم الحملة الفرنسية أرسل أخاه فابو Fabou للتصدى لها واستطاع أن يلحق بها هزيمة ساحقة فى ٢ مارس ١٨٨٢ ، واضطر ديبورد للانسحاب بحملته [٥٥٤] .

وهكذا كانت حملة ديبورد أول اتصال بين الطرفين ، أما الاتصال الثانى فكان فى عام ١٨٨٣ بعد أن وطد ديبورد مركزه فى النيجر فوجىء بقدوم فابو شقيق ساموری لغزو الأراضى الواقعة تحت السيطرة الفرنسية . كما حطم الخط التلغرافى الذي شيده الفرنسيون بين كيتا وباماكو على النيجر . وهاجم فابو الفرق الفرنسية فى باماكو ، ولذلك أسرع ديبورد لمعاقبة ساموری وجنوده ولكنهم أجبروه على الانسحاب [٥٥٥] .

وعلى الرغم من هذه المصادمات إلا أنها كانت مجرد مناوشات بين طرفين ولم يكن ساموری قد دخل فى صراع حقيقى مع الفرنسيين ولم يعلن الجهاد ضدهم وإنما ركز اهتمامه فى مد حدود امبراطوريته والمحافظة على الأراضى الجديدة التى يغزوها .

ويلاحظ أن الدافع الدينى لدى ساموری كان أقل حدة عن غيره من الزعماء المسلمين ، فلم يكن مثل الحاج عمر الذى أعلن الجهاد ضد الوثنيين وضم أراضى جديدة ، وكون امبراطوريته من التوكولور على أساس دينى . فقد كان هدف ساموری الرئيسى هو تكوين امبراطورية من الماندنجو تسيطر على أعالى النيجر [٥٥٦] .

---

(٥٥٣) Crowder, M : op. cit., Colonial, p. 124.

(٥٥٤) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 202.

(٥٥٥) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 204.

(٥٥٦) Collins, Robert : Problems in the history of Colonial Africa, U. S. A. 1960, p. 62.

وجدير بالذكر أن الفرنسيين لم يمثلوا أعداء ساموری الوحيدين ، فقد ناصب ساموری العداء تيبا Tieba وكان يحكم إقليم كنيدوجو الواقع غرب باماكو ، وقد طمع ساموری فی الاستيلاء على أراضيه ، وتوسيع حدود دولته على حساب تيبا الذى لجأ بدوره إلى الفرنسيين وتحالف معهم ليأمن جانب ساموری وقد شجعه الفرنسيون على محاربة ساموری ، وأمدوه بالأسلحة ووجد فيهم تيبا أنصاراً أقوياء يساندونه فى البقاء فى الحكم (٥٥٧)

(ب) علاقة ساموری بالفرنسيين بعد عام ١٨٨٤ :

خلف كومب ديبورد فى القيادة العسكرية فواصل سياسة عدائية تجاه ساموری وكان استيلاء الفرنسيين على مناجم بوريه Bouré الغنية بالذهب فى أعالى النيجر سببا فى إشعال نار العداوة بين الطرفين من جديد إذ اعتبر ساموری هذه المنطقة تابعة له (٥٥٨) . وفى عام ١٨٨٤ استولى كومب على كينجابا الواقعة فى مواجهة باماكو على النيجر ، وواصل فى أوائل عام ١٨٨٥ بناء سلسلة من الحصون ، فتم بناء حصن فى نياجاسولا Niagassola على الضفة اليسرى من النيجر وعهد إلى الكابتن لوفل Louvel بحراسته ، وعلم لوفل باجتياز قوات ساموری النهر واتجاهها نحو الحصن ، ولذلك أسرع بقواته لمواجهتها عند قرية نفاديه Nafadié الواقعة على الطريق بين نياجاسولا وسيجيرى واشتبك الطرفان فى معركة عنيفة أسفرت عن احتلال الفرنسيين للقرية ، ولكن لم تلبث قوات ساموری فى اليوم التالى أن هاجمت القرية بثلاث آلاف من جنود السوفا وفرضت الحصار عليها وعندما وصلت أنباء حصار لوفل فى نفادية أسرع كومب لنجدته ولكنه عجز عن الوصول إليه فى الوقت المناسب ، لأن ساموری أرسل قواته لعرقلة تقدم كومب ونجح ساموری فى إلحاق هزيمة قاسية بالفرنسيين (٥٥٩) ورغم نجاح ساموری فى مطاردة الفرنسيين ، إلا أنه أدرك خطورة الموقف وصعوبة السيطرة على المنطقة الواقعة عند ثنية النيجر لأن ذلك سيضعه بين شقى الرحا ، فالفرنسيون من جانب وحليفهم تيبا من جانب آخر فى كيندوجو ووجد ساموری أن عليه أن يبحث عن قوة تسانده فارتبط بعلاقة صداقة مع حكام سيراليون ، وأرسل مبعوثيه إلى فريتاون وقد زوده التجار البريطانيون بأحدث الأسلحة (٥٦٠) .

---

(٥٥٧) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 59.

(٥٥٨) Collins, R. : op. cit., p. 62.

(٥٥٩) Hanotaux, G : op. cit., Tome IV, p. 202.

(٥٦٠) Fyee, C. : op. cit., p. 448.

وعندما تولى فرى Frey القيادة العسكرية فى السودان الفرنسى انشغل بالقضاء على محمدو لامين ، وركز جهوده ضده فى سنغمبيا وانتهز ساموری هذه الفرصة لتدعيم سيطرته وكسب أراضى جديدة فعهد إلى شقيقه مالنكامورى Malinka Mori بحشد قواته التى بلغت حوالى عشرة آلاف مقاتل على الضفة اليسرى لنهر الباخوى كما عهد إلى فابو بإقامة التحصينات فى نياجاسولا [٥٦١] وإزاء ازدياد نشاط سامورى كان لابد لفرى من التصدى له ، فأعد حملة عبرت الضفة اليسرى لنهر الباخوى فى ٢ سبتمبر ١٨٨٥ وقسم قواته إلى مجموعتين ، الأولى تحت قيادته وهى التى عبرت معه النهر ، والثانية سارت بحذاء الضفة اليمنى للنهر وكان على المجموعتين الالتقاء فى نياجاسولا وتدمير تحصينات سامورى ، وقد وصلت قوات فرى إلى جاليه Galé فى ١٦ أبريل ١٨٨٦ فوجدت قوات سامورى قد أحرقتها وحاولت القوات الفرنسية تعقب مالنكامورى ولكنها فشلت حيث أن مالنكا كبدها خسائر فادحة [٥٦٢] .

والواقع أنه رغم انتصارات سامورى إلا أنه ضرورة عقد صلح مع الفرنسيين ليأمن جانبهم ، وأرسل إلى فرى مبعوثا يعرض عليه الصلح ولكن القائد الفرنسى أجابه بأنه لاصلح بينهما طالما بقى جندى واحد من جنود السوفا على الضفة اليسرى للنيجر [٥٦٣] .

وقد وافق سامورى على شروط الصلح ، وأرسل إلى زعماء وقواد جيشه يطلب منهم مغادرة الضفة اليسرى للنيجر ، والانتقال إلى الضفة اليمنى كما طلب سامورى من فرى إرسال بعثة لتوقيع معاهدة بين الطرفين فوافق وأرسل كلا من الكابتن تورنيه Tournier وراسين Racine والملازم بيروز ، وقد تقابلت البعثة مع سامورى فى ٢٥ مارس ١٨٨٦ فى كينيبا كورا Keniaba Koura وتمت الموافقة بين الطرفين فى ١٦ أبريل على توقيع المعاهدة ، التى عرفت باسم معاهدة كينيبا كورا [٥٦٤] .

وقد نصت المعاهدة على اعتراف سامورى بنفوذ فرنسا على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا Nyamina حتى تنكيسو Tinkisso - كما وافق على التخلى عن المطالبة بحقوقه فى مناجم الذهب فى بوريه ، والاعتراف باستيلاء فرنسا عليها . أما البلاد الواقعة

---

(٥٦١) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 110.

(٥٦٢) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 204.

(٥٦٣) Ibid., p. 204.

(٥٦٤) Collins, R. : op. cit., p. 63.

على الضفة اليمنى للنيجر فتكون تحت سيطرة ساموري . وهكذا بفضل هذه المعاهدة دعم الفرنسيون سيطرتهم على الضفة اليسرى للنيجر ، من نيامينا حتى تنكيسو وكان على ساموري الإنسحاب بقواته من هذه المناطق وتركت الضفة اليمنى للنيجر لساموري حتى مملكة سيجو التابعة لأحمدو ولكن الحكومة الفرنسية لم ترض عن هذه المعاهدة واعتبرتها غير كافية لتحديد مناطق النفوذ الفرنسي ورأت ضرورة اتفاقية أخرى مع ساموري (٥٦٥) .

وينبغي ألا ننسى أن توقيع فري هذه المعاهدة مع ساموري إنما كان ليأمن جانبه ، وخاصة وأنه ركز كل قواته لمواجهة محمدو لامين ، والتصدى له فكان عليه تأمين ظهر قواته ولو مؤقتا .

وما كاد جاللينى يتولى قيادة السودان الفرنسي ، حتى عهد إلى الكابتن بيروز بتوقيع معاهدة ثانية مع ساموري فتم توقيع معاهدة بيساندوجو فى ٢٥ مارس ١٨٨٧ وفيما يلى أهم ماورد فيها :

١ - موافقة ساموري على أن يعتبر نهر النيجر بمثابة خط الحدود بينه وبين الفرنسيين ، كما وافق على التجارة مع المراكز التجارية الفرنسية (٥٦٦) .
٢ - اعتراف ساموري بحقوق فرنسا على الضفة اليسرى لنهر تنكيسو من منابعه حتى إلتقائه بنهر النيجر .
٣ - اعتراف ساموري بنفوذ فرنسا على الضفة اليسرى لنهر تنكيسو حتى نيامينا .
٤ - لتأكيد السيطرة الفرنسية فى هذه المناطق أنشأ الفرنسيون مراكز فى سيجيرى على الضفة اليسرى للنيجر .
٥ - أصبحت حدود السودان الفرنسي تمتد من النيجر من دجالا Deguella حتى تجيبيرى Tiguibiri ، ومن تنكيسو حتى منابعه وأصبحت المنطقة الممتدة من باماكو حتى سيجيرى خاضعة لنفوذ فرنسا .
٦ - أجبر ساموري بمقتضى المعاهدة ألا يتعدى غرب أعالى النيجر عند سيجيرى ، وانتزعت منه ممتلكاته فى شمال النيجر (٥٦٧) .

---

(٥٦٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tome, p. 205.

(٥٦٦) Gann, L. : op. cit. Vol. I, p. 207.

(٥٦٧) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, p. 361

يلاحظ مما سبق أن معاهدة بيساندوجو كانت أشمل وأدق فى نصوصها من معاهدة كينييا كورا لأنها حددت بوضوح مناطق النفوذ الفرنسى ، ومناطق نفوذ ساموری ، كما حددت حدود السودان الفرنسى . وبتوقيع سامورى معاهدة بيساندجو أمن ظهر قواته من الفرنسيين وبدأ نحو عدوه اللدود تيبا ، حليف الفرنسيين فهاجم المناطق الشمالية والشرقية لإقليم كنيدوجو كما حاصر عاصمة تيبا سيسكاسو وجدير بالذكر أنه أثناء حصار سامورى لسيكاسو التقى فى ٢٦ سبتمبر ١٨٨٧ مع الكابتن بنجر ، وكان موفداً من قبل الحكومة الفرنسية للتعرف على البلاد الواقعة عند ثنية النيجر ، ولعقد اتفاقيات سياسية فى المنطقة الواقعة فى السودان الفرنسى حتى خليج غينيا ، وقد ألتقى الاثنان بالقرب من سيكاسو ، ورغم أن سامورى أحسن استقبال بنجر ودعاه لمشاهدة أسلحته الحديثة إلا أنه رفض توسطه للصلح مع تيبا ، ورفض أيضا رفع الحصار عن عاصمته سيكاسو واستمر هذا الحصار ستة أشهر ، ولكن اضطر سامورى أخيراً إلى فك هذا الحصار لأن الفرنسيين عملوا على تهديد تجارة سامورى مع فريتاون ، وتحرشوا بقواته لإجباره على فك الحصار وذلك لأن تيبا كان حليفهم [٥٦٨] .

(جـ) محاولة سامورى الاستفادة من التنافس الاستعمارى الفرنسى البريطانى :

عمل سامورى على الاستفادة من التنافس البريطانى الفرنسى فى المنطقة ، فعمل على استمالة حاكم سيراليون إليه ، وخاصة وأن الفرنسيين ساعدوا عدوه اللدود تيبا وأجبروه بفك الحصار عن سيكاسو ، ولذلك سعى للتقرب من البريطانيين فى سيراليون .

وجدير بالذكر أن سامورى كان على اتصال بحكام سيراليون منذ ١٨٨٠ أرسل رسالة إلى سيرروى حاكم سيراليون من أجل تشجيع التجارة بين الطرفين ، كذلك أرسل بمبعوثيه إلى سيراليون عام ١٨٨٥ وعرض وضع بلاده تحت الحماية البريطانية ولكن الحكومة لم تحاول تلبية طلبه فى ذلك الوقت [٥٦٩] .

ولكن بعد توقيع سامورى معاهدة بيساندوجو مع الفرنسيين أصبح لفرنسا سيطرة تامة على الأراضى الداخلية لسيراليون ، مما حال دون امتداد انجلترا للداخل ولذلك أرسل حاكم

---

(٥٦٨) Meniaud, J. : op. cit., Tome I, pp. 346 – 365.

(٥٦٩) Hansard's Parliamentary Debates Fourth Series third Volume for Session 1892, p. 1108.

سيراليون ضابطا بريطانيا ١٨٨٨ يدعى فستنج Festing لتوقيع معاهدة مع ساموری وقد اختير فستنج لهذه المهمة نظراً لإلمامه باللغة العربية ودرايته بالعادات والتقاليد الإسلامية ، وكان قد سبق له التفاوض من قبل مع الزعماء الوطنيين فله إذن خبرة فى مثل هذه الأمور [٥٧٠] وقد أقنع فستنج ساموری بمد خط حديدى بين أراضيه وسيراليون ، فوافق ساموری ولكنه اشترط ضمان استمرار تجارته مع فريتاون ، واتفق الطرفان على توقيع معاهدة بينهما وأدى التقارب بين ساموری وفريتان إلى غضب السلطات الفرنسية التى رأت فى ذلك الاتفاق خطورة على مصالحها [٥٧١] . كذلك تخوفت بريطانيا من النشاط الفرنسى فى المنطقة .

فقد حذرت وزارة الحربية البريطانية من خطورة معاهدة بيساندوجو لأنه بمقتضاها سيطرت فرنسا على الأراضى الداخلية لسيراليون التى تعتبر من أهم المحطات الرئيسية البريطانية المؤدية إلى مستعمرة الرأس ، وقد انفقت عليها بريطانيا الكثير من الأموال ، ولذلك فإن تركيز النشاط الفرنسى فى هذه المناطق بالإضافة إلى فوتاجالون شكل خطراً كبيراً على بريطانيا ، وخاصة أن جالليني أعلن فى ٢٩ أبريل ١٨٨٧ بأن حماية فرنسا تمتد على طول ضفة النيجر اليمنى من سيجو حتى سيراليون وجمهورية ليبريا ، بالإضافة إلى . منطقة فوتاجالون فمنذ عام ١٨٨٧ وفرنسا تسعى للتوغل فى سنغمبيا والنيجر وعملت على ربط النيجر بمنطقة أنهار الجنوب ، وربط أعالى النيجر بساحل العاج ، ولذلك فإن السياسة الفرنسية تعتبر أكثر فعالية ونشاطا من السياسة البريطانية فى المنطقة ونبهت وزارة الحربية أنه لابد من اتخاذ الإجراءات اللازمة للحيلولة دون توغل النفوذ الفرنسى لأن انجلترا ستجد نفسها قد أحيطت بالمعاهدات الفرنسية من كل جانب فى غرب أفريقيا ، ولذلك يجب عليها يجب عليها التحرك وعقد معاهدات مماثلة مع الزعماء الوطنيين وأكدت الوزارة ضرورة توقيع معاهدة مع ساموری باعتباره من أهم الزعماء فى المنطقة [٥٧٢] .

عملت حكومة سيراليون على الاتصال بساموری وتوثيق الصلة معه فاستقبل حاكم سيراليون ١٨٨٩ بنتى كاراماكو Binty Caramako موفداً من قبل ساموری للتفاوض على العمليات التجارية ، وتوثيق الصلة بين الطرفين .

---

(٥٧٠) Fyee, : op. cit., P. 463.

(٥٧١) Gann, L. ; op. cit., Vol. I, p. 209.

(٥٧٢) F. O. 403 / 85 N° 47 War office to Foreign office, May 21 1889.

وعلى الرغم من الاتصال بين سيراليون وساموري إلا أن حاكم سيراليون هاى Hay كتب إلى حكومته منددا باعتداء الفرنسيين على أهالى سامو وهى تقع فى دائرة النفوذ البريطانى وقد قام الجنود الفرنسيون بتمزيق العلم البريطانى رمز الحماية البريطانية على أراضيهم ، كما قدر تجار سيراليون شكوى بخصوص إحراق وكالاتهم التجارية (٥٧٣) .

ويرجع تصرف فرنسا مع أهالى سامو بأن فرنسا أرادت إثبات حقها فى هذه الجهات ، وخاصة وبعد أن أمنت نفسها بمعاهدتها مع ساموري التى أتاحت لها فرصة الامتداد نحو مستعمرة سيراليون .

وقد استمر ساموري فى توطيد صلته بسيراليون ، وخاصة أنها مثلت بالنسبة له المصدر الرئيسى للسلاح ، حيث كان التجار البريطانيون يبيعون له الأسلحة المتطورة وقد احتجت فرنسا وأرسل وادنجتون Waddington السفير الفرنسى فى لندن إلى وزير الخارجية الفرنسى ريبو Ribot فى ٦ نوفمبر ١٨٩١ يخبره بأنه لفت نظر اللورد سولسبورى بخصوص تجارة الأسلحة السريعة الطلقات التى يقوم التجار البريطانيون فى الوكالات البريطانية فى سيراليون ببيعها لساموري ، وأنه طلب منه ضرورة منع تجارة الأسلحة والذخيرة فى المستعمرة البريطانية سيراليون كذلك فى الأراضى الفرنسية فى منطقة أنهار الجنوب (٥٧٤) .

ولكن استمرت تجارة الأسلحة فى فريتاون مما دعا وزير الخارجية الفرنسى فى ٢٨ مارس ١٨٩٢ إلى تبليغ اللورد سولسبورى بضرورة منع هذه التجارة فى سيراليون (٥٧٥) .

(د) سياسة أرشينار التوسعية ونتائجها :

كان قدوم أرشينار إلى السودان الفرنسى ، وتوليه قيادة الجيش نقطة تحول فى تاريخ السودان ، فآراؤه الاستعمارية ورغبته الجامحة فى التوسع العسكرى وفى فرض السيطرة الفرنسية عن طريق القوة ستغير وجه السودان وقد وجد أرشينار فى ساموري أكبر خطر يهدد الفرنسيين فى المنطقة . فعلى الرغم من توقيعه لمعاهدة بيساندوجو إلا أنه استمر فى تسليح جيشه بأحداث الأسلحة وتدريبه على أحدث المعدات ، واستمر فى شن الغارات على

---

(٥٧٣) F. O. 403/85. NO 52, Governor. Hoy Apzil 23, 1889

(٥٧٤) D. D. F. ler Serie Tome IX T' N 81, p. 92.

(٥٧٥) D. D. F. ler Serie Tome IX, D' 72, p. 365.

المدن والقرى المجاورة . كما أنه لم يحترم نصوص المعاهدة واستمر جنوده فى الإغارة على الأراضى التابعة لفرنسا . وقد أرسل إليه أرشينار يحذره من مغبه أعماله ، ويذكره بنصوص المعاهدة المعقودة بينه وبين الفرنسيين . ولتجنب الصدام معه أرسل إليه ارشينار طالبا توقيع معاهدة جديدة ، فوافق ساموری وتم توقيع معاهدة نياكو Niako فى عام ١٨٨٩ وبمقتضاها سلم ساموری الأراضى الواقعة بين تنكيسو وأعالى النيجر إلى الفرنسيين كما تعهد بمنع جنوده من الإغارة عليها . وتأكيداً لنصوص المعاهدة أنشأ الفرنسيون مركزاً فى كوروسا على الضفة اليسرى لأعالى النيجر وذلك لمراقبة المنطقة ، ومنع جنود ساموری من الإغارة عليها (٥٧٦) .

ورغم توقيع ساموری لمعاهدة نياكو فقد سعى للتقرب من حكام سيراليون وأرسل إلى حاكم سيراليون مبديا استعداده لتوقيع معاهدة حماية معه ، وبناء على طلب ساموری وقع فى ٢٤ مايو ١٨٩٠ معاهدة ثانية مع البريطانيين وقعها معه القائد البريطانى جاريت Garret وقد وافق ساموری على شروط جاريت ، وتعهد بألايستولى على أراضى جديدة إلا بعد إخطار الحكومة البريطانية ، ولكن هذه المعاهدة لم يكتب لها النجاح ، وذلك لأن الحكومة البريطانية قررت الاعتراف بمعاهدات الحماية التى عقدتها فرنسا فى غرب أفريقيا ولذلك لم تعترف بمعاهدة جاريت وأعلنت عدم شرعيتها ، وحاول مبعوث ساموری فى فريتاون يائساً إقناع الحاكم البريطانى بالتمسك بالمعاهدة ولكنه رفض (٥٧٧) .

وجدير بالذكر أن ساموری قبل توقيعه معاهدة جاريت مع البريطانيين أرسل إلى أرشينار ١٨٨٩ النسخ الخاصة به من معاهدة نياكو ، وأعلن تخليه عنها واستمر جنوده فى الإغارة على المدن والواقعة تحت سيطرة فرنسا ، كما استمروا فى عبور النهر ، وتهديد الأراضى التى فى حوزة الفرنسيين (٥٧٨) .

يلاحظ أن ساموری إلى جانب قوته العسكرية ومهارته الحربية ، فإنه تميز أيضا بالدبلوماسية البارعة وسعى للوقيعة بين كل من السلطتين الفرنسية والبريطانية فبعد توقيع معاهدة بيساندوجو مع الفرنسيين ، وقع فى العام التالى معاهدة فستنج مع القائد

---

(٥٧٦) Hanotaux, G. : op. cit , Tome IV, p. 206.

(٥٧٧) Gann, L., H. : op. cit., Vol. I, p. 210.

(٥٧٨) Forstner, K. : op. cit., p. 183.

البريطانى ، كذلك بعد توقيعه معاهدة نياكو سرعان ما أعلن رفضها ووقع معاهدة ثانية مع البريطانيين ، فوقع معاهدة جاريت وذلك صمم أرشينار على التخلص منه ومن المشاكل التى دأب على إثارتها .

وجه أرشينار كل جهوده ضد ساموري وسعى لتأكيد صداقته مع تيبا ، وأرسل إليه بعثة بقيادة الكابتن كيكندون والدكتور كروزا Crozat وحصلا منه على تأكيدات بانضمامه إليهم فى حربهم ضد ساموري . وقد حققت البعثة هدفا آخر وهو التعرف على المناطق والأقاليم المجاورة لكنيدوجو [٥٧٩] وقد استمرت أعمال البعثة من ١١ إلى ٢٧ مايو ١٨٩٠ ، ورحب بها تيبا كما أستقبلت البعثة الفرنسية شقيقة تيبا سين كيلى Sin Kili سين كيلى وكانت تحكم إقليم ديولابوجو Daoulabougo ولديها جيش قوى وأعربت عن إستعدادها للتعاون مع الفرنسيين ضد ساموري [٥٨٠] .

حاول أرشينار مهادنة ساموري ، حتى يستعد لضم أراضيه فأرسل إليه عدة رسائل فى ظاهرها الحرص على صداقته وإستمالته إلى جانبه حتى يركن إلى الهدوء ، فيأخذه مباغتة فأرسل إليه فى ٩ ديسمبر ١٨٨٨ أى بعد توليه منصبه بفترة قصيرة ، يعرب له عن رغبته فى إقامة علاقات ودية معه وأرسل له رسالة ثانية فى ٣ يناير ١٨٨٩ أعرب فيها عن رغبته فى السلام بينهما وطلب منه عدم عبور جنوده ضفة النيجر [٥٨١] .

وفى ٢٧ مارس ١٨٨٩ أرسل أرشينار رسالة ثالثة دعى فيها ساموري لزيارة سيجيرى ، وحاول فى هذه الرسالة إثبات حسن نواياه ، وأعلن لساموري أنه سوف يستقبله فى سيجيرى استقبالاً يليق بالملوك [٥٨٢] .

ورغم رسائل أرشينار المتوالية إلا أن ساموري استمر فى اكتساح القرى الواقعة على حدوده مع الفرنسيين ، ولم يكن ساموري مثل تيبا ينخدع بالمظاهر البراقة ، ومظاهر الاستقبال الفخمة التى وعده بها أرشينار ، فقد كان بعيد النظر ويدرك تماما مطامع الفرنسيين . وقد حاول أرشينار إرضاءه فأخبره بأنه لا يريد منه سوى احترام المعاهدة التى

---

(٥٧٩) Collins, R. : op. cit., P. 64.

(٥٨٠) Gann, L.H. : op. cit., Vol. I, P. 210.

(٥٨١) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 135–136.

(٥٨٢) Ibid., P. 136.

عقدها مع الفرنسيين ، وأنه يريد حمايته ولذلك يعرض عليه تعيين ضابط فرنسى فى أراضيه ، وأن الفرنسيين يريدون أن يكونوا جيرانا لملك عظيم مثله ، ولكن ساموري رفض عروض أرشينار فكان معنى قبوله إقامة ضابط فرنسى فى أراضيه ، الوقوف على مدى استعدادته وإمكانياته العسكرية (٥٨٣) وكان إرسال معاهدة نياكو إلى ارشينار معناه عدم ثقة ساموري فى وعود أرشينار ، رغم كل ما بذله لإخفاء نواياه الاستعمارية ، وقد أرسل أرشينار مبعوثيه لساموري لثنيه عن عزمه ولكنه رفض الاستماع لهم (٥٨٤) .

وإزاء تطور الأحداث وتمسك ساموري بمهاجمة القرى والمدن التابعة لنفوذ فرنسا ، بدأ أرشينار يستعدُّ لمهاجمته رغم تحذير حاكم السنغال دى لاموت De Lamoth إلا أن أرشينار كان قد عقد العزم على الإستيلاء على كل من كنكان وبيساندوجو (٥٨٥) .

فى ١٠ مارس ١٨٩١ بدأت الحملة فى السير على الضفة اليسرى للنيجر بعد أن خرجت من كايس وفى ٢٣ مارس وصلت الحملة إلى كوليكور Koulikore ثم عبرت الحملة النهر إلى الضفة اليمنى حيث ترابط قوات ساموري ، ثم عسكرت فى أول ابريل فى كركورو Karkoro وقد أعلنت القرى التابعة لساموري خضوعها للفرنسيين ، وذلك خشية الإنتقام منهم ، وأمدت الفرنسيين بالمواشى والطعام وكان هدف الحملة قطع الطريق المؤدى إلى كنكان ، وقد وصلت الحملة إلى نفاديه فوجدت أن ساموري قد أحرقها ، وعندما شعر ساموري باقتراب الفرنسيين قام بإحراق كنكان ، وهكذا دخلت القوات الفرنسية كنكان لتجدها خالية من السكان (٥٨٦) .

حقق الفرنسيون باستيلائهم على كنكان عدة نتائج :

١ - أعادوا تنظيم كنكان ليسهل عليهم إدارتها ، ولكن قوات ساموري كانت لهم بالمرصاد ، فلم تكف عن الإغارة عليهم .

---

(٥٨٣) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 140–141

(٥٨٤) Forstner, K. op. cit., p. 183.

(٥٨٥) Ibid., p. 184.

(٥٨٦) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp.160–161.

٢ – لم يكن معنى إستيلاء الفرنسيين على كنكان إنتهاء مقاومة ساموري وجنوده فقد استمروا فى التحرش بالفرنسيين فأرسل كالى Kali زعيم السوفا حملة لمهاجمة القرى التابعة للفرنسيين ، كذلك كلف ساموري ابنه كراماكو Karamako وأخاه الفا Alfa بمهاجمة الفرنسيين .

٣ – اتخذ أرشينار من سيجيرى نقطة لمراقبة منطقة بوريه ومنع وقوعها فى يد ساموري .

٤ – كلف أرشينار الكابتن هوجينى Hugueny يتعقب جنود السوفا لمنعهم من الإغارة على المراكز الفرنسية .

٥ – كان الاستيلاء على كنكان صدى كبير فى المنطقة ، فقد شعر الزعماء الوطنيون مدى خطورة القوة العسكرية الفرنسية فأعلن أجيبو شقيق أحمدو خضوعه للفرنسيين (٥٨٧) .

توجهت حملة أرشينار بعد استيلائها على كنكان إلى بيساندجو ولكن ساموري دمرها ليمنع الفرنسيين الاستفادة منها ، ثم اتخذ أرشينار من سانيه Sanié مركز المراقبة المنطقة وكانت تقع عند مدخل نهر ميلو (٥٨٨) .

وجدير بالذكر أن حملات أرشينار لفتت أنظار البرلمان الفرنسى ، فصدر أمرا فى ديسمبر ١٨٩١ بعدم التوسع العسكرى فى السودان ، والاكتفاء بتنظيم الأراضى التى استولى عليها أرشينار ورأى دلكاسيه ضرورة إنهاء حالة الحرب فى السودان ، والعمل على تطويره اقتصاديا ، ولذلك صدرت الأوامر بتعيين حاكم مدنى وهو جروديه Grodé وقد نبهه دلكاسيه بأن تنظيم السودان وإدارته أصعب من غزوه (٥٨٩) .

يلاحظ أنه بعد الإستيلاء على كنكان وبيساندوجو ، بدأت فكرة الاتحاد بين الزعماء الوطنيين تظهر إلى حيز الوجود نتيجة للخطر المشترك ، فقد أرسل أحمدو شيحو إلى تيبا بالهدايا والمبعوثين وكتب ساموري إلى أحمدو بأنه لا بد من إتحاد الزعماء الثلاث ليسهل عليهم هزيمة الفرنسيين ولكن جاءت هذه الفكرة للأسف متأخرة ، لأن فرنسا كانت قد

---

(٥٨٧) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 161.

(٥٨٨) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 206.

(٥٨٩) Forstner, K. : op. cit., p. 216.

عزمت على اكتساح المنطقة وخاصة وأن الضعف انتاب قوات الزعماء الثلاث ولم يعد فى مقدورهم القتال (٥٩٠) .

تولى القيادة فى السودان كومب Combes خلال عامى ١٨٩٢ – ١٨٩٣ ، وقد أصدر إليه أرشينار تعليمات بضرورة القضاء على سامورى ، وقد قام كومب بعدة حملات ضده فوصلت قواته حتى حدود سيراليون ، ولكن جيش سامورى ظل يقاوم ببسالة ثم بدأ سامورى فى الإتجاه نحو الشرق ، واستمر فى مهاجمة الأراضى الواقعة بين سيكاسو وباؤولى Baoulé وعمل على غزو الأودية العليا لنهر كوموية (٥٩١) وفى ديسمبر ١٨٩٣ فاجأ الكولونيل بونيه Bonnier جيش سامورى فى كولونى Koloni فاضطر سامورى إلى الاستنجاد بقوات ابنه الذى كان يعسكر فى أعالى كونيا Konya الواقعة فى طريق مونرفيا Monrovia فى الجنوب ، وكان هذا معناه أن سامورى لم يعد على اتصال بسيراليون أو قريب منها وكانت تمثل بالنسبة له مصدرا هاما للأسلحة (٥٩٢) .

ولوقف تقدم سامورى أرسلت حملة بقيادة مونتى من جران بسام صوب الشمال ولكن جنود السوفا التابعين لسامورى تصدوا لها واحتلوا بوندوكو وكونج وذبحوا عدداً كبيراً من الأهالى (٥٩٣) وفى ذلك الوقت وصل الكابتن مارشان إلى كونج فطلب منه الأهالى النجدة ، وصدرت الأوامر لحملة مونتى بالتوجه من كونج لإلقاء القبض على سامورى ،واضطرت الحملة إلى اختراق منطقة الغابات التى تحيط ساحل العاج وقد ألحق سامورى خسائر فادحة بالحملة وأسر عدداً كبيراً من أفرادها وباعهم كرقيق للحصول على الأسلحة (٥٩٤) .

وبعد هذه التطورات أرسل حاكم السنغال شودييه Chaudié الكابتن برولت Braulot على رأس بعثة لعرض معاهدة سلام مع سامورى ، إلا أن ترجمة النص العربى وجده سامورى مختلفا عن النص الفرنسى فرفض توقيع المعاهدة ، واستمر النزاع بين الطرفين من جديد وانسحب سامورى بقواته إلى الأراضى الداخلية لساحل العاج ، موجها نشاطه ضد بلاد سينوفو Senefou فى الجنوب ومملكة ابرون وذلك فى عام ١٨٩٣ (٥٩٥) .

---

(٥٩٠) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 277.
(٥٩١) Crowder, M. : op. cit., Resistance; p. 137.
(٥٩٢) Ibid., p. 137.
(٥٩٣) Guernier, E : op.cit., Tome I, p. 59.
(٥٩٤) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p.211.
(٥٩٥) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p.111.

وقد اقترب ساموري بانتقاله إلى الأراضي الداخلية لساحل العاج من المستعمرات البريطانية ، وقد نشر في ٢ ديسمبر ١٨٩٣ في جريدة التيمس البريطانية كذلك ، في جريدة سيراليون نيوز في ٩ ديسمبر ١٨٩٣ عن نشاط ساموري ، وعن إرسال حملة بريطانية لتعقب جنود السوفا الذين استمروا في الإغارة على مدن وقرى تابعة لانجلترا ، وقد تساءل أعضاء مجلس العموم عن أسباب هذه الحملة ورد بوكستون Buxton وكيل وزارة المستعمرات بأنها كانت ضرورية لأن جنود السوفا ألقوا القبض على الأهالي وباعوا عدداً منهم كرقيق [٥٩٦] .

وقد أدى تقدم ساموري في الأراضي الداخلية لساحل العاج إلى أنه أصبح الآن بالقرب من مستعمرة بريطانية في ساحل الذهب ، وقد أرسل ساموري برسائل إلى حاكم ساحل الذهب ، عارضا عليه صداقته ، وإقامة علاقة معه ، وقد احتجت فرنسا على هذه الرسائل ولكن هوارد Howard القائم بالأعمال البريطانية في باريس أرسل إلى وزير الخارجية الفرنسي في سبتمبر ١٨٩٥ ، مؤكداً بأن ساموري أراد بالفعل إقامة علاقة اقتصادية وتجارية مع حاكم ساحل الذهب ، ولكنه رفض وأجابه بأنه لا يستطيع إقامة أي علاقات معه طالما ما زال في حالة حرب مع فرنسا ، وهي دولة صديقة للحكومة البريطانية [٥٩٧] .

وهكذا نرى أن ساموري بعد انتقاله إلى الأراضي الداخلية لساحل العاج مثل خطرا على السلطات البريطانية ، التي رفضت إقامة أية علاقات معه . كما أدت سياسة أرشينار وخلفائه من بعده ، إلى انتهاء مقاومة ساموري .

ورغم أنه نجح في ١٨٩٥ في الإستيلاء على مملكة ابرون Abron الواقعة وسط بوندوكو ، كما استولى في سنة ١٨٩٦ على جوندجا Gondja وفي ١٨٩٧ عمل على توسيع نفوذه وتقوية جيشه ، إلا أن الوضع اختلف الآن لأن انجلترا في ساحل الذهب استولت على كوماسي وسعت للتوسع في أراضي الموسى أي في الأراضي الداخلية لساحل العاج ، فرفضت تزويده بالأسلحة ، ورغم تلك الصعوبات نجح ساموري في الاستيلاء على كونج سنه ١٨٩٧ [٥٩٨] .

---

(٥٩٦) Hansard Fourth Series Vol XXI, 1894, p.597.

(٥٩٧) D.D.F. Ier Serie Tome VII, p. 212 L.

(٥٩٨) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 138.

كان استيلاء الفرنسيين على سيكاسو ١٨٩٨ من العوامل التى ساعدت على القبض على ساموري ، وتفصيل ذلك أن بابمبا BaBemba خليفة تيبا ، رفض إنشاء مركز فرنسى فى عاصمة بلاده سيكاسو فأرسلوا إليه حملة استولت على بلاده ، وحاصرت سيكاسو حتى نجحت فى الإستيلاء عليها وقتل بامبا ، وعندما علم ساموري بإستيلاء الفرنسيين على سيكاسو كان محتميا فى ذلك الوقت فى تينوا Tiénoi فانسحب منها بعد أن أحرقها ، ثم بدأت مطاردة الفرنسيين له [٥٩٩] .

فى ١٨٩٨ جمع ساموري قواته على حدود دن Dan ومان Man فتصدى له دى لارتيج De Lartigue ، وكان قد تولى القيادة ضد ساموري ، ولكن ساموري هزمه فى مايو ١٨٩٨ فى Owé [٦٠٠] واستمر دى لارتيج فى تعقب ساموري الذى رأى صعوبة كبيرة فى الاستمرار فى المقاومة ، فأرسل إلى القائد الفرنسى كتابا يطلب فيه السماح له بالعودة إلى مسقط رأسه فى سانتكورو للإقامة فيها ولكن لارتيج رفض إلا بشرطين ، الأول تسليم ساموري لأسلحته والثانى تسليمه لأبنائه [٦٠١] وفى أثناء المفاوضات بين الطرفين نجح الملازم وولفل Woelffel والكابتن جادن Gaden من منع جنود السوفا من الالتجاء إلى ليبريا ، وأسروا عدداً كبيراً منهم وتمركز وولفل فى نزو Nzo فى انتظار وصول الإمدادات من دى لارتيج ، فأرسل لهم نجدة بقيادة جورو Gouraud الذى تعقب ساموري فى Guiro فوجد أنه أحرقها كذلك فر ساموري من Zougouless [٦٠٢] .

ثم بدأ الهجوم الأخير على ساموري وقسمت الحملة إلى قسمين ، قسم يتولى القبض على عائلة ساموري ، والآخر لتعقب ساموري نفسه ، وصدرت الأوامر بعدم قتل ساموري أو إطلاق النار عليه لأن قتله سوف يؤدى إلى إثارة الاضطرابات فى السودان ورأى الفرنسيون أنه من الأفضل إذلاله أمام أعوانه وأخيرا تم إلقاء القبض عليه فى جليمو Guélemou [٦٠٣] ونفى إلى جزيرة أوجويه Ogoué وظل فيها حتى توفى عام ١٩٠٠ [٦٠٤] .

---

(٥٩٩) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 222–225.

(٦٠٠) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 140.

(٦٠١) Hanotaux, G. : op cit., Tome IV, pp. 227 – 229.

(٦٠٢) Beslier, : op. cit., p. 177.

(٦٠٣) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, P. 229.

(٦٠٤) Crowder, M. : op. cit., Resistance, p. 140.

من العرض السابق يتضح لنا أن فرنسا دعمت سيطرتها فى منطقة غينيا الفرنسية عن طريق التوسع فى المنطقة الساحلية المعروفة بأنهار الجنوب ، وفى المنطقة الداخلية فى فوتا جالون .

وقد أتاح لها هذا التوسع الامتداد نحو النيجر فمدت نفوذها إلى أعالى النيجر بعد أن قضت على امبراطورية التكرور بزعامة أحمدو شيخو وامبراطورية الماندنجو بزعامة ساموري تورى .

الفصل الرابع

بداية ظهور معالم أفريقيا الغربية الفرنسية

أولا - الاستيلاء على تمبكتو وتدعيم السيطرة الفرنسية على ثنية النيجر

ثانيا - الإمتداد الفرنسى نحو تشاد

ثالثا - موريتانيا



أولا - الإستيلاء على تمبكتو وتدعيم السيطرة الفرنسية على ثنية النيجر :

استولى الفرنسيون على أراضى ساموري فى منطقة النيجر ، ونجحوا فى دخول كنكان وبيساندوجو ١٨٩١ واضطروا ساموري إلى الانتقال من منطقة أعالى النيجر صوب الأراضى الداخلية لساحل العاج مكونا بذلك إمبراطوريته الثانية (٦٠٥) . كذلك نجح الفرنسيون فى استبعاد أحمدو شيخو من مراكزه فى النيجر ، فاستولوا على نيورو سنه ١٨٩١ واضطر أحمدو إلى الفرار نحو سوكوتو ، وبذلك دعم الفرنسيون سيطرتهم على ضفتى أعالى النيجر اليمنى واليسرى (٦٠٦) واستتبع ذلك ضرورة امتدادهم نحو منطقة ثنية النيجر التى ضمت مدينة على جانب كبير من الأهمية وهى مدينة تمبكتو التى حكمها الطوارق (٦٠٧) .

وقد تأسست مدينة تمبكتو فى النيجر الأعلى فى القرن الحادى عشر الميلادى وأصبحت سوقا هامة للتجارة يفد عليها التجار والرحالة عن طريق النهر (٦٠٨) ويرجع اسم تمبكتو (٦٠٩) بناء على الرواية التى ذكرها لنا الحسن بن الوزان بأن الطوارق أقاموا مركزا لبضائعهم وعهدوا إلى عبد لهم يدعى تينبو بحراسته ثم تحول هذا المكان على ألسنة الناس إلى تونبوتو ولفظها العرب تونبوكتو وقد استقر فى هذا المكان العديد من التجار والعلماء ثم نمت المدينة واتسعت وسيطر عليها الطوارق (٦١٠) .

---

(٦٠٥) Meniaud, J. : op. cit., Tome, II, p. 160.

(٦٠٦) Olorun timehin, O. : op. cit., p. 304.

(٦٠٧) خضعت تمبكتو لامبراطورية مالى ثم سنغاى فى العصور الوسطى وعندما ضعفت امبراطورية سنغاى استولى باشوات المغرب على تمبكتو فغزاها القائد محمود ١٥٩٠ وظلت الادارة المغربية فيها حتى ضعفت فتولى حكم المدنية الطوارق منذ عام ١٧٩٢ .

(٦٠٨) دائرة المعارف الإسلامية : المجلد الخامس ، ص ٤٦٥ .

(٦٠٩) ذكرت بعض الروايات أن اسم تمبكتو يرجع لامرأة اعتادت الإقامة فى هذا المكان لخدمة التجار فسميت المدينة باسمها .

(٦١٠) الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ليون الأفريقى) . وصف أفريقيا ، ترجمة د . عبد الرحمن حميده ، طبعة الرياض ١٣٩٩ ، ص ٥٣٩ .

أما عن اتصال مدينة تمبكتو بالأوربيين فمنذ القرن الحادى عشر الميلادى تعاملت المدينة مع الثغور الإيطالية وخاصة فلورنسا وذلك عن طريق تجار تونس وطرابلس [٦١١] ثم جذبت المدينة انتباه البرتغاليين ، فأقاموا معها علاقات اقتصادية عن طريق قواعدهم فى أرجيوم ، ثم ازداد اهتمام الأوربيين بها وخاصة بعد نشر كتاب الحسن بن الوزان ، وصف أفريقيا فى القرن السادس عشر فذاعت شهرة المدينة ، وكثرت الأساطير حولها بسبب ووجود استغلال مناجم الذهب الوفيرة فتطلع الأوربيون إلى الوصول إليها واستغلال ثرواتها [٦١٢] .

وبالإضافة إلى الشهرة الكبيرة التى اكتسبتها المدينة لأهميتها التجارية إلا أنها اشتهرت كمركز إسلامى كبير فى المنطقة وتوافد عليها الطلبة والعلماء حتى أصبحت من أهم مدن السودان الغربى فى القرن التاسع عشر واستمرت المدينة فى علاقتها التجارية مع المدن المحيطة بها وكان الجزء الأكبر من القوافل التجارية بين الساحل المغربى والسودان يتحول إلى تمبكتو [٦١٣] فقد كانت هناك ثلاث طرق للتجارة أهمها طريق تغازه تمبكتو فى الغرب ، وغدامس وايرى إلى الهوسا فى الوسط ، وطريق ثالث من فزان إلى بورنو فى الشرق ، وكان طريق تغازة تمبكتو من أهم هذه الطرق . وقد اشتهرت تمبكتو بتجارة الذهب والملح وظل التجار الأوربيون على اتصالهم بها فتاجرت المدينة مع الوكالات الأوروبية فى السنغال وغمبيا عن طريق سنساندنج وباماكو الواقعتين على نهر النيجر [٦١٤] .

توالت الرحلات إلى مدينة تمبكتو فى القرن التاسع عشر فزارها د . بارث وتكبد الكثير من المخاطر أثناء اتجاهه إليها ، ولقى العداء وعدم الترحيب من قبل أهالى حمدالله ، الذين قطعوا عليه الطريق المؤدى إلى تمبكتو ، ثم وصل المدينة فى ٧ سبتمبر ١٨٥٣ . وقدم لنا د . بارث وصفا دقيقا عنها فذكر أنها تتكون من عدة قوى سياسية ففيها العرب الذين ينتمون إلى قبائل مختلفة ، كذلك الطوارق ولهم السلطة العليا فى المدينة ، وقبائل الفولانى

---

(٦١١) عبد الرحمن ، زكى : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٦١٢) Latimer, Elizabeth : Europe in Africa in the Nineteenth Century, Chicago 1895, pp 408 410.

(٦١٣) توماس ، ارنولد : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

(٦١٤) بوفيل : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

والبمبارا والمالنكة ورغم تعدد القوى السياسية ، واختلاف أصولهم إلا أنهم جميعا يتفقون على عدم الترحيب بالأوربيين . وقد سجل د . بارث نتائج رحلته فى كتابه أسرار تمبكتو Les Mystéres de Tombouctou الذى ذكر فيه بأنه أصيب بخيبة أمل بعد مشاهدته للمدينة ، فقد كان يتوقع حسب الأساطير والروايات التى نسجت حولها وعن مدى ثرائها أن تكون المدينة أكثر تقدما مما وجدها عليه فكتب بأنها لاتستحق تلك الشهرة التى نالتها فهى مدينة صغيرة بدائية وغير صحية .وقد استغرقت رحلة بارث ثلاث سنوات سجل فيها كل مايتعلق برحلته اجتماعيا وتاريخيا وقد وصل فزان ١٨٥٥ ومنها إلى طرابلس حيث أبحر عائداً إلى لندن [٦١٥] .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من رحلة بارث وتسجيله مشاهدته فى السودان الغربى وتمبكتو إلا أن الحكومة البريطانية لم تهتم بالسيطرة على المدينة وإنما ركزت اهتمامها على النواحى التجارية فقط . وقد استقبل الشيخ البكائى 'El Bakai بارث فى تمبكتو وأعرب له عن رغبته واستعداده للتفاوض مع السلطات البريطانية لأنه كان يخشى من تزايد النفوذ الفرنسى فى أراضيه . وأرسل البكائى بعثه ١٨٥٧ إلى طرابلس لمقابلة هرمن Herman القنصل البريطانى وإطلاعه على نشاط فرنسا فى المنطقة إلا أن الحكومة البريطانية أصدرت أوامرها إلى القنصل بعدم مقابلة البعثة وأكد اللورد كلارندون Clarendon على هرمان عدم التفاوض مع الشيخ البكائى ويمكن تعليل عدم اهتمام الحكومة البريطانية بالحافات الصحراوية الواقعة جنوب طرابلس إلى أنها ركزت اهتمامها فى غرب أفريقيا فى منطقة دلتا النيجر ، كذلك كانت الحكومة البريطانية مهتمة بالحيلولة دون تزايد النشاط الفرنسى فى البحر المتوسط حتى لايتحول إلى بحيرة فرنسية ولذلك لم يكن يهمها كثيراً نداءات الشيخ البكائى وغيره بل أن روسل Russel وكيل الخارجية البريطانية أرسل إلى هرمن يطلب منه إغلاق المركز البريطانى الذى أقيم فى غدامس ورغم تحذيرات هرمن للحكومة البريطانية ومطالبتها بعدم إغلاق هذا المركز خوفا من سيطرة فرنسا عليها وعلى المنطقة إلا أن الحكومة البريطانية انسحبت بالفعل من مركزها فى غدامس ومن مرزوق . ورأى هرمن بأن حكومته أخطأت بهذه القرارات لأن الشيخ البكائى كان له نفوذ كبير ليس على تمبكتو فحسب وإنما فى كانووتوات ولو تحالفت بريطانيا معه لأمكنها تدعيم سيطرتها فى هذه المناطق وعلى قبائل السودان الغربى والطوارق [٦١٦] .

---

(٦١٥) De Lanoye E. . op. cit., pp. 562 – 564 .

(٦١٦) Boahen, A. : op. cit., pp. 225 – 231 .

أما فرنسا فقد اهتمت خلال هذه الفترة بإقامة علاقات وإتصالات مع سكان الصحراء من الطوارق فى كل من توات وجات وفى عام ١٨٥٤ وصل شيخ قبيلة أولاد سيدى الشيخ سيد حمزة إلى جات وتقابل مع المسئولين الفرنسيين ووافق على التجارة معهم كما أرسلت فرنسا بعثه بقيادة هنرى دوفيريه Henry Duveyrier إلى جات لتقوية الصلات بين فرنسا وسكان المنطقة ونجح دوفيريه فى عبور الصحراء بين الجزائر وتمبكتو ودون ملاحظاته على المنطقة ويرجع إهتمام فرنسا بمنطقة جات لقربها من حدود الجزائر الجنوبية الشرقية [٦١٧] .

وقد أزعج هذا النشاط الفرنسى الشيخ البكائى . ولكنه لم يستطع الاعتراض لأنه القوة الوحيدة التى يمكنه الاعتماد عليها وهى انجلترا انسحبت من المنطقة وفى عام ١٨٦٢ وقعت فرنسا مع الطوارق معاهدة لتنمية التجارة كذلك توغلت البعثات الفرنسية حتى اجادس ووصلت إلى تمبكتو [٦١٨] .

وإذا كان النشاط الفرنسى قد توقف فى الحافات الجنوبية للصحراء وتحطمت آمال الفرنسيين لربط الجزائر بالسنغال بسبب نشوب الحرب السبعينية إلا أن فرنسا سرعان ما استعادت نشاطها مرة أخرى وتوافدت البعثات على المنطقة ولعل أهم البعثات التى أرسلت هى بعثة بول سولييه الذى وصل فى رحلته الثالثة إلى سيجو على النيجر ثم تمبكتو وعين صلاح فى الجزائر . وقدم سولييه فى كتابه Avenir de la France وصفاً دقيقاً لرحلاته وكان سولييه مكلفا لدراسة إمكانية مد خط حديدى يربط السنغال بالجزائر عبر تمبكتو [٦١٩] .

وكان إنشاء هذا الخط له أهمية وفوائد كثيرة بالنسبة للفرنسيين لأنه سيمكنهم من اكتشاف الأقاليم المجهولة إستغلال واحتكار تجارة السودان الغربى وكانت الجمعية الجغرافية الفرنسية متحمسة لهذا المشروع لتحقيق فوائد إقتصادية لفرنسا ففى نظرها أن إنشاء هذا الخط الحديدى لا يقل أهمية عن الخط الذى أنشىء لربط كل من نيريورك وسان فرانسيسكو فى الولايات المتحدة الأمريكية ولذلك طلبت الجمعية من سولييه دراسة نوعية التربة فى المناطق الصحراوية وفى مدينة تمبكتو [٦٢٠] .

---

(٦١٧) Meynier, O. op. cit., p. 22.

(٦١٨) Boahen, A. : op. cit., p. 225 .

(٦١٩) Soleillet, P. : op. cit., pp. 2 – 3.

(٦٢٠) Ibid., p. 12.

وقد حث سولييه حكومته بضرورة الإسراع فى إنشاء الخط الحديدى للتوغل فى المناطق الداخلية، ولمواجهة منافسة انجلترا وألمانيا وأكد لهم بأن موقف فرنسا أقوى من الدولتين السابقتين ، لأنها تمتلك مستعمرة فى الجزائر ولذلك فيمكن لها تحقيق أهدافها بسهولة فى ربط غرب أفريقيا بساحل البحر المتوسط (٦٢١) .

ولكن الطوارق فى تمبكتو أبدوا العداء للبعثات الفرنسية ولم يحسنوا استقبالها ، وفى بعض الأحيان كانوا يقومون بقتل أعضاء البعثة مثلما حدث لبعثة فلاتيه Flaters عام ١٨٨٠ فقد تولى الطوارق قتل أعضاء البعثة بما فيهم فلاتيه نفسه وكان مكلفا بدراسة المنطقة واكتشافها ، ورغم أن فلاتيه كان لديه دراية بسكان المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم كما كان يتقن العربية إلا أن الطوارق اعترضوا طريقه وقتلوه (٦٢٢) .

وكان من الطبيعى بعد الإستيلاء على أراضى أحمدو شيخو زعيم التوكولور والقضاء على دولته ودخول شيخو ونيورو ١٨٩٠ – ١٨٩١ أن يتطلع أرشينار القائد العسكرى فى السودان لإستكمال غزو المدن الواقعة على النيجر فبدأ يخطط لاحتلال تمبكتو وبدأ فى اتخاذ الاستعدادات اللازمة فأصدر تعليماته للسفن الحربية بمصاحبة التجار الفرنسيين فى رحلاتهم كذلك زود الملازم البحرى بواتيه Boiteux قائد السفن الفرنسية بتعليمات تضمنت بناء عدد من السفن لنقل الجنود تكون على أهبة الاستعداد إذا ما اتخذت الحكومة الفرنسية قراراً بإحتلال المدينة وعلى الرغم من تلك الاستعدادت العسكرية التى اتخذها أرشينار إلا أنه لم يقدم على احتلال المدينة كذلك طلب من خليفته بونييه Bonnier عدم القيام بأى عمل عسكرى ضد تمبكتو فى المستقبل القريب فقد ظهرت أصوات كثيرة فى باريس عارضت التوسع الفرنسى فقد أدت توسعات أرشينار العسكرية فى المنطقة إلى انتقادات كثيرة وعارض الكثيرون أسلوب الغزو العسكرى (٦٢٣) .

وبعد رحيل أرشينار من المنطقة تولى بونيه القيادة العسكرية فلم يحاول الإقدام على أى عمل حربى ولكن حدث أن اتجه الملازم البحرى بواتيه بقواته لاحتلال مدينة تمبكتو دون تلقى أية أوامر أو تعليمات من رؤسائه بذلك ، ودون استئذان السلطات الفرنسية لكنه

---

(٦٢١) Soleillet, P. : op cit., p. 12.

(٦٢٢) Meynier, O. : op. cit., p. 26.

(٦٢٣) Forstner, K. : op. cit., pp. 216 – 217.

أرسل إلى أرشينار القائد السابق بعد عودته إلى فرنسا يخبره بأن احتلال تمبكتو أمر ضرورى ولعل بواتيه بهذا العمل أراد كسب نصر زائف لنفسه فقد كان هناك تنافس بين القواد الفرنسيين لإحراز مزيد من الانتصارات باسم فرنسا . وقد تمكن بواتيه من الأبحار من موبتى Mopti ودخل تمبكتو فى ١٦ ديمسبر ١٨٩٣ ولكن الطوارق هاجموا السفينة الفرنسية وأغرقوها فى ميناء كابارا Kabara ميناء تمبكتو الرئيسى ثم هاجموا معسكر بواتيه وقتلوا عدداً كبيراً من جنوده [٦٢٤] كما هاجموا القائد الفرنسى أوب Aube المصاحب لبواتيه وذبحوا رجاله أثناء وجدهم فى Ououmaira وقد حاول بواتيه إنقاذ أوب وجنوده ولكنه وصل المعسكر بمن بقى من جنوده على قيد الحياة بعد فوات الأوان [٦٢٥] .

وعندما علم القائد العسكرى بونيه بما حل بالجنود الفرنسيين ومقتل أوب أسرع بتشكيل حملة لتفادى تدهور الموقف العسكرى وكان بونيه من أشد القواد تأثرا بسياسة أرشينار العسكرية وكان هو الآخر يؤمن بضرورة فرض النفوذ الفرنسى عن طريق استخدام القوة العسكرية ، وهكذا فإن تأثيرا أرشينار فى المنطقة لم ينته برحليه ، وإنما بقيت أفكاره التوسعية لدى القواد الفرنسيين الذين صمموا على إتمام الدور العسكرى الذى بدأه مثلهم الأعلى أرشينار [٦٢٦] .

ساعدت الأوضاع الداخلية التى مرت بها تمبكتو بونيه على احتلال المدينة فقد طرد أهالى تمبكتو يايا Yaya Alkaia زعيم تمبكتو بسبب تعاطفه مع الفرنسيين ، وأحلوا محله أخاه همبيا Hambia فأرسل يايا يطلب الحماية من حلفائه الفرنسيين ولم يضيع بونيه الفرصة فأتجه بحملته شمالا إلى تمبكتو وقد قسم بونيه الحملة إلى قسمين قسم يسير بطريق البر والآخر يسير عن طريق الإبحار فى نهر النيجر ، وكان الغرض من هذا التقسيم هو تفادى الاصطدام مع قوات ساموری التى كانت مازالت تعمل ضد الفرنسيين فى المنطقة ، وقد رافق بونيه القائد الفرنسى جوفر Joffre الذى لعب دوراً كبيراً فى هذه الحملة [٦٢٧] .

وأثناء تقديم بونيه نحو تمبكتو اشتبك مع قوات سامورى التى هاجمته . كما وصلت الأنباء من سانت لويس بإحلال حاكم مدنى فى السودان بدلا منه ، ولكنه تجاهل الأوامر

---

(٦٢٤) Growder, M. : op. cit., Colonial, p. 105.

(٦٢٥) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 234.

(٦٢٦) Spitz, G. : op. cit., p. 47.

(٦٢٧) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, pp. 479 – 408.

الصادرة إليه وصمم على المضى قدما لاحتلال المدينة . فأرسل إليه الحاكم المدنى الجديد جروديه Grodet فى ٢٦ ديسمبر ١٨٩٣ بضرورة عودته ولكنه رفض وأجابه : « لقد قررت الاستيلاء على تمبكتو فمازلت القائد الأعلى للسودان وعلى قيادة الجيوش وسوف أسير إليها وأهزم الطوارق »[٦٢٨] .

وفى ١٠ يناير ١٨٩٤ استولى بونيه على تمبكتو . وكان الملازم بواتيه يعسكر بمن بقى من قواته فى شمال المدينة على أمل وصول النجدة إليه ، ولكن بونيه وجه إليه تهمة مخالفة الأوامر العسكرية والتمرد ، كذلك وجهت إليه تهمة التسبب فى اغتيال القائد العسكرى أوب وجنوده نتيجة لسوء تصرفه[٦٢٩] .

ومن الغريب أن يوجه بونيه تهمة التمرد العسكرى لأوب بينما هو الآخر قد ارتكب نفس الجرم وخالف الأوامر واحتل المدينة رغم تحذيرات القائد الجديد جروديه له .

أراد بونيه إرهاب الطوارق بعد احتلال المدينة فغادرها بعد أن ترك فيها الكابتن فيليب ، واتجه نحو الشرق حيث وصلته الأنباء بأن الطوارق قد جمعوا قواتهم نحو الشرق ، فاستعد بونيه لمحاربتهم ، وعسكر بقواته فى تكوباو Takoubao ولكن الطوارق كانوا له بالمرصاد ، فقد أثارتهم تحركاته العسكرية واستعراضه لقوته ، فقاموا بالهجوم على المعسكر فى ١٦ يناير ١٨٩٤ وذبحوا الجنود الفرنسيين وقتلوا بونيه نفسه وأشاعوا الفوضى فى المعسكر . وكانت كارثة تكوبا من أسوأ الكوارث التى منى بها الفرنسيون فى السودان ، وقد وصلت أنباء هذه المذبحة إلى باريس وأثارت استياء كبيراً لدى الرأى العام الفرنسى[٦٣٠] .

وبعد خمسة وعشرين يوما من اغتيال بونيه ، وصلت حملة جوفر وأخذت تجمع أشلاء الفرنسيين لدفنهم . ثم بدأت فى مطاردة الطوارق الذين أغاروا على معسكر الفرنسيين للانتقام منهم وتمكنت بالفعل من قتل الكثيرين ثم عاد جوفر إلى تمبكتو وبدأ فى إنشاء سلسلة من الحصون والمراكز الدفاعية ، وبنى فيها حصنا أطلق عليه اسم بونيه تخليداً له .

---

(٦٢٨) Ibid, p. 497.

(٦٢٩) Ibid., p. 502.

(٦٣٠) Forstner, K. : op. cit., p. 221.

كذلك أنشأ حصنا آخر فى كابارا وبنى محطتين فى كل من جواندان Goundan وكوريوميه Koriumé . وفى الواقع شعر الطوارق بقدوم القوات الفرنسية واستحالة هزيمتهم فحاولوا الاستنجاد بسلطان مراكش ، ولكنه رفض مساعدتهم وكتب إليهم بأنه عندما يتأكد من وصول الفرنسيين إلى المدينة سوف يتقدم لطردهم منها [٦٣١] .

وقد قام جوفر بتعقب القبائل التى اشتركت فى المذبحة وأغار عليها واستمرت عملياته العسكرية ضد الطوارق حتى ١٠ يوليو ١٨٩٤ [٦٣٢] .

أما عن نتائج الاستيلاء على تمبكتو فيمكن إجمالها فيما يلى :

١ – عمل جوفر على الانتقام من القبائل التى اشتركت فى مذبحة تكوباو فوجه إليهم الحملات والفرق وهزمهم شر هزيمة .

٢ – عاود الطوارق هجومهم على المدينة على أمل الاستيلاء عليها ولكن الكابتن جوترو Gauthero نجح فى صدهم بالقرب من كورا Koura على الضفة اليسرى للنيجر .

٣ – استمر جوفر فى عملياته العسكرية ضد الطوارق فهزمهم مرة ثانية بالقرب من بحيرة فاتى .

٤ – أعلنت فى ٢٨ فبراير ١٨٩٤ العديد من القبائل الصغيرة خضوعها للفرنسيين بعد إدراكها للخطر الفرنسى ، وعدم قدرتها على التصدى لهذا الخطر .

٥ – شيد جوفر سلسلة من الحصون والمراكز لحماية ومراقبة الملاحة فى النيجر ولتأمين الوجود الفرنسى فى المنطقة .

٦ – شكل جوفر فصائل لمعاقبة الطوارق الثائرين .

٧ – أقام دوريات على طول النيجر حتى جنوب تمبكتو ونظرا لصلاحية النهر للملاحة أنشأ عدة مواقع للفرنسيين عند ساى كما أرسل الحملات إلى ثنية النيجر وأجزائه العليا حتى مساره الأوسط [٦٣٣]

---

(٦٣١) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 502.

(٦٣٢) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p 235.

(٦٣٣) Spitz, G. : op. cit , pp. 46 – 47.

خلف جوفر الكولونيل ابنير Ebener الذى تصدى لهجمات الطوارق وبوصول القائد الفرنسى ترنتينيان Trentinian إلى السودان أصدر أوامره فى يوليو ١٨٩٥ إلى قائد إقليم تمبكتو بضرورة إعادة السيطرة الفرنسية وتدعيمها فى المنطقة ، ومحاولة استخدام الطرق الدبلوماسية . ولكن الطوارق رفضوا الخضوع للسيطرة الفرنسية وعادوا من جديد لشن هجماتهم على الفرنسيين فبنى الفرنسيون مركزاً فى سومبى Sompi ودعموا الحصن الفرنسى فى جواندان ونجحوا فى صد هجوم للطوارق شرق تمبكتو . ولكن فى مارس ١٨٩٦ وبسبب الحملات المكثفة على الطوارق وبناء الحصون العسكرية الفرنسية أعلن عدد كبير من زعماء الطوارق ولاءهم للكولونيل ترنتنيان [٦٣٤] .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من نجاح الفرنسيين فى الاستيلاء على تمبكتو وتدعيم السيطرة عليها ، إلا أن الرأى العام الفرنسى ثار ضد مذبحة تاكوبا واتهم أرشينار ودعاة العسكرية بأنهم السبب فى هذه المذبحة . وطالبوا الحكومة الفرنسية بضرورة العمل على إنهاء الدور العسكرى فى السودان ، ونشرت الصحف الفرنسية تحذر من خطورة الموقف بسبب تهور العسكريين [٦٣٥] . وكان لهذه الحملات أثرها فى اهتزاز موقف أنصار التدخل العسكرى والتوسع الحربى أمثال ارشينار وتعرضهم للنقد الشديد ، وخاصة بعد مقتل بونيه آخر الحكام العسكريين فى السودان [٦٣٦] .

واستمرت السلطات الفرنسية فى تمبكتو على سياسة بناء الحصون العسكرية فى المنطقة ، فتم بناء عدة حصون فى أول يناير ١٨٩٩ فى كل من جاو Ansongo و Douunzou و Tillabéry و Gao وبذلك امتدت سيطرة الفرنسيين إلى منطقة ثنية النيجر وفى عام ١٩٠٠ تم وضع حامية عسكرية فى جاو وتبليبرى Tillabéry وهما من أهم مدن تمبكتو . واعتبرت أراضى تمبكتو أراضى عسكرية حتى قيام الحرب العالمية الأولى [٦٣٧] واستمرت مقاومة الطواراق حتى فترة متأخرة واضطر الفرنسيون فى عام ١٩٠١ إلى محاربة قبائل Oulmidden ومد زعيم الكونتا Kounta حمودى Hamoadi يد المساعدة للفرنسيين وتعاون معهم فى محاربة هذه القبائل ، ونجحت القوتان فى هزيمة قبائل اولميدون وتم

---

(٦٣٤) Hanotaux, G. : op. cit. Tome IV, p. 236.

(٦٣٥) شنت صحيفة Le Temps هجوما على العسكريين فى السودان . Ibid., p. 236.

(٦٣٦) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 106.

(٦٣٧)

أسر عدد كبير من أفراد هذه القبيلة كما غنم الفرنسيون كثيراً من المغانم من ماشية وأسلحة ، واضطرام أفراد هذه القبيلة إلى إعلان خضوعهم للفرنسيين [٦٣٨] . ولكن فهرون Fihroun زعيم أحد قبائل اولميدن رفض الخضوع للفرنسيين بتحريض من أحد المرابطين ويدعى محمد أحمد ، وكان قد ثار ضد الفرنسيين فى منطقة ثنية النيجر ، وقاد فهرون التمرد ضد الفرنسيين فى عام ١٩٠٢ ولكن فى عام ١٩٠٣ أدرك فهرون ضعف قوته وفضل مهادنة الفرنسيين فذهب إلى مركز جاو حيث أعلن خضوعه لهم بشرط بقائه فى الحكم . وبذلك استطاع الفرنسيون تأمين الجهات الشرقية لتمبكتو ثم شرعوا فى إنشاء عدة مراكز جديدة فى سوكولو Sokolo جوامبو Goumbo نيورو Nioro وفى أقصى الشمال عند المنطقة الصحراوية بنوا مركز كيفا Kiffa [٦٣٩] .

وفى ١٨ اكتوبر ١٩٠٤ صدر مرسوم بإعادة تكوين السودان الفرنسى الذى تكون من الأراضى الواقعة فى أعالى النيجر والسنغال وأسندت إدارة مستعمرة السودان الفرنسى إلى وليم بونتى الذى عمل على مد النفوذ الفرنسى فى المناطق الصحراوية كذلك شن سلسلة من الحملات العسكرية ضد الطوارق فى المنطقة الواقعة بين النيجر وتشاد ، وقد كلف الكولونيل ايمريش Aymerich بادارة الأراضى الواقعة بين تمبكتو نيامى وزندر [٦٤٠] فعمل على إنشاء أربع مراكز فى كل من زندر وتشاد ، وفى عام ١٩٠٥ أنشىء مركز فرنسى فى أجادس وفى عام ١٩٠٥ أنشىء مركزا آخر فى بيلما من أجل مراقبة القوافل المتجهة إلى تبستى وفزان [٦٤١] .

وجدير بالذكر أن فرنسا بعد الاستيلاء على تمبكتو حققت حلمها القديم الذى طالما روّاد القواد العسكريين وحكام السنغال ألا وهو ربط الجزائر بالسودان الفرنسى ، وتدعيم الاتصال بين المنطقتين الجزائرية السودانية Jonction Algfro – Soudanaise تقابل كل من الكابتن لابرين Laperine القائد العسكرى لأراضى الواحات الجزائرية مع الكابتن تيفينو Theveniaud الموفد من قبل حاكم السنغال فى تمبكتو ، من أجل تحديد الحدود بين الجزائر والسودان الفرنسى وفى ٦ أبريل ١٩٠٤ تم الاتفاق على أن يمر خط الحدود الجنوبى

---

(٦٣٨) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, pp. 236 – 237.

(٦٣٩) Spitz, G. : op. cit., p. 47.

(٦٤٠) تكونت من هذه الأراضى جمهورية النيجر فيما بعد .

(٦٤١) Hanotaux, g : op. cit., Tome. IV, p. 328.

للجزائر عند عين أوزل . وفى عام ١٩٠٦ خرجت ثلاث بعثات لتحقيق الاتصال بين السودان الفرنسى والجزائر . فخرج الكابتن لابرين Laperine من عين صلاح فى جنوب الجزائر . كذلك خرج الملازم كورتيه Cortier من Bou Djebiha فى تمبكتو ومن الشرق اتجه الكابتن أرنو Arnaud نحو عين صلاح وتقابلت البعثات الثلاث فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٠٧ فى Timiaouine مع فرقتين عسكريتين من الهجانة قادمة من السودان . وأثبتت هذه البعثات إمكان الاتصال بين الجزائر والسودان الفرنسى وفى ١٩٠٧ قام فليكس دوبو Felix Dubois بمفرده وبدون مصاحبة أى قوة عسكرية بالتجول بين الجزائر وتمبكتو وأثبت أن عملية ربط المنطقتين أصبحت حقيقة واضحة [٦٤٢] .

خلف كلوزيل Clozel بونتى كحاكم للسودان عام ١٩٠٨ فاهتم بتدعيم الوضع فى المنطقة ، وخاصة فى المناطق الصحراوية فكون فرقاً من الهجانة سنة ١٩٠٩ عملت فى مناطق السودان الفرنسى لوضع حد لعمليات السلب والنهب على القوافل التجارية ، وخصصت لكل منطقة فرقة من الهجانة . وتكونت هذه الفرق من ضباط من السودان والجزائر ، وتجولت هذه الفرق بين عين صلاح وجاو وبين عين صلاح ، وزندر ، كما تولت مراقبة المنطقة الواقعة شمال تمبكتو [٦٤٣] .

وأخيراً وقبل أن نختتم الحديث عن تمبكتو وكيفية الاستيلاء عليها ، ينبغى أن نشير بأن تدعيم السيطرة الفرنسية على تمبكتو وتأمين الحافات الصحراوية شمالا وربط السودان الفرنسى بالجزائر واتجاه فرنسا نحو الأراضى الواقعة شرق تمبكتو وتكثيف قوتها فى هذه المنطقة لم يمنع من نشوب الثورات ضد الفرنسيين رغم الاحتلال العسكرى فقد ظل فهرون زعيم قبيلة أولميدن فى صراع مع الفرنسيين حتى عام ١٩١٥ وإذا كانت فرنسا قد أنشأت مركزا لها فى جاو لمراقبة المنطقة والسيطرة على الطوارق إلا أن هذه القبائل عملت على الاصطدام مع الفرنسيين ، فقامت بالثورة ضدها وقاد الكولونيل لافردور Laverdure قائد أراضى تمبكتو ونيامى الفرق الفرنسية للقضاء على هذه الثورة . وفى عام ١٩١٠ نجح الكابتن لوزرن Lauzarne فى إلقاء القبض على ثمانية عشر من زعماء قبيلة أولميدون منهم خليفة فهرون وكان يدعى لاؤيى Laouéi الذى حكم عليه بالسجن أما فرهون فقد ظل حراً ولكنه

---

(٦٤٢) Ibid., p. 328.

(٦٤٣) Hanotaux, G. : op. cit., Tome IV, p. 328.

ألقى القبض عليه ١٩١٢ ثم أفرج عنه ولكنه ما لبث أن قاد ثورة أخرى ضد الفرنسيين ، وقد ازداد الموقف سوءاً بإعلان قبائل الطوارق فى النيجر الثورة ١٩١٤ ولكن السلطات الفرنسية ألقت القبض عليه وعين أخوه Zohor بدلا منه ولكن ثورات الطوارق لم تنقطع فى المنطقة [٦٤٤] .

وبفضل السيطرة على تمبكتو تمكنت فرنسا من مد سيطرتها حتى بحيرة تشاد وخاصة بعد أن دعمت سيطرتها على نيامى وزندر ، ولكنها اصطدمت فى تشاد بزعيم وطنى كبدها خسائر فادحة وهو رابح الزبير .

---

(٦٤٤) Ibid., p. 328.

ثانيا – الامتداد الفرنسى نحو تشاد :

حققت فرنسا أهدافها فى غرب أفريقيا ، ونجحت فى اكتساح الأقاليم الواقعة بين السنغال والنيجر ، ودمرت فى سبيل تحقيق هدفها العديد من الممالك والدول ، ولإتمام هذا النجاح العسكرى كان لابد من تدعيم السيطرة الفرنسية على بحيرة تشاد وما حولها . ورغم أن تشاد دخلت فيما بعد ضمن منطقة أفريقيا الاستوائية الفرنسية إلا أننا لابد لنا من الحديث عنها لأن فرنسا أثناء توسعها شرقا استتبع ذلك الاستيلاء على الكثير من الأراضى الواقعة فيما بين النيجر وتشاد مثل زندر ونيامى وغيرها من الأراضى التى كونت فيما بعد جمهورية مالى .

وقد ترتب على الامتداد نحو تشاد ضرورة اصطدام الفرنسيين برابح الزبير الذى كان لا يقل صلابة عن غيره من الزعماء الأفارقة الذين اصطدمت بهم فرنسا من قبل . وقد تضاربت الأقوال فى حقيقة نسب رابح الزبير [٦٤٥] وإن كان الأرجح ما كتبه عنه القائد إميل جنتيل Emile Gentil أنه كان ابنا لأحد ملوك القبائل التى استوطنت حوض بحر الغزال وقد نشأ نشأة حربية خالصة فشارك أباه وهو لا يزال صغيراً فى المعارك التى خاضها ضد القبائل المجاورة حتى لقى والده مصرعه [٦٤٦] .

بدأ رابح فى تكوين دولته الإسلامية فأتجه غربا وجمع القبائل المتفرقة حوله وركز جهوده فى حوض نهر شارى وعلى بحيرة تشاد واحتل مناطق قبائل الملتوس والبواسى والسارسى وغيرها من القبائل واستطاع تجميع القبائل الوثنية فى وحدة واحدة وأخذ فى نشر الإسلام بينهما [٦٤٧] .

---

(٦٤٥) لقب رابح بالزبير نسبة إلى الزبير رحمت الذى تبناه وأصبح رابح قائد القوات .

(٦٤٦) سعد الدين ، الزبير : امبراطورية رابح الزبير ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٢ .

(٦٤٧) أحمد ، شلبى : المرجع السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٤٣ .

وجدير بالذكر أن رابح وطد صلته بالسنوسيين وخاصة السيد محمد المهدى السنوسى الذى اتصل به وقويت تلك الصلة بالمصاهرة بين الطرفين وكان السيد السنوسى شديد الكراهية للفرنسيين ولنشاطهم فى المنطقة ولذلك اتفق الطرفان على الحد من نفوذ الفرنسيين وحماية البلاد من تسرب البعثات الفرنسية ولذلك قام رابح ١٨٩١ بقتل المكتشف الفرنسى بول كراميل عند بلدة كوتى مما أدى إلى اصطدامه بالفرنسيين ذلك الصدام الذى استمر عشر سنوات وإن كان السنوسى قد تنصل من مقتل كرامبل خوفا من الفرنسيين وتبادل معهم البعثات تاركا رابحا يواجه الموجات المتتالية من الحملات الفرنسية [٦٤٨] .

استمر رابح فى تكوين دولته الإسلامية فى الغرب واتخذ من بلاد شارى مركزاً له ودعم سيطرته على نهر شارى وأقام ببلدة كوتى فغزا بلاد سومراى وأقام سنة ١٨٩٢ فى بلدة بوسو على نهر شارى ثم جهز حملة للاستيلاء على باجرمى [٦٤٩] . وترجع أهمية باجرمى نظراً لموقعها جنوب بحيرة تشاد وقد أهملها الأوربيون فترة من الزمن حتى قام دنهام Denham بزيارة الجزء الشمالى منها عام ١٨٢٤ ، كما زار المدينة د . بارث فى سنة ١٨٥٢ فكتب عنها مما أدى إلى اهتمام الفرنسيين بالمنطقة فتطلعوا للاستيلاء عليها [٦٥٠] حكم باجرمى خلال فترة التنافس الاستعمارى السلطان عبد الرحمن جورانج ، وكان احتلال المدينة أمراً ضرورياً لرابح لكى يفتح طريقا له إلى ما وراء نهر شارى ، وقد أحكم رابح الحصار حول بلدة مانهافا الواقعة جنوبا لمدة خمسة أشهر حتى سقطت ١٨٩٤ ، وبسقوطها فتح الطريق أمام باجرمى [٦٥١] . ثم اتجه رابح نحو بورنو وتمكن من إحراز النصر على جيوشها ، وبذلك اتسعت دولته فشملت دارفور التى احتلها قبل سقوط الخرطوم ووادى وبعض أجزاء باجرمى ، وبورنو ، وأتخذ رابح دكوه عاصمة له بدلا من كوكه . وشهدت مدينة دكوه عصراً زاهياً فى عهده فاستتب فيها الأمن ونشطت فيها حركة التجارة [٦٥٢] .

وقد أرسلت الحكومة الفرنسية مونتى فى بعثة من سانت لويس وحتى تشاد فى عام ١٨٩٠ ، وذلك خلال فترة تولى ارشينار القيادة العسكرية فى السودان ، ورحل مونتى من

---

(٦٤٨) سعد الدين ، الزبير : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ .
(٦٤٩) لوثروب ، ستودارد : المرجع السابق جـ ٣ ، ص ٦٢ .
(٦٥٠) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ، ص ٢٥٤ .
(٦٥١) سعد الدين ، الزبير : المرجع السابق ، ص ٧٠ .
(٦٥٢) أحمد ، شلبى : المرجع السابق جـ ٦ ، ص ٣٤٦ .

السنغال واتجه نحو سيجو على النيجر وعقد معاهدات مع بعض المدن الصغيرة ، ثم توغل بعد ذلك بين دورى Dori وتشاد ووقع معاهدات مع الزعماء المحليين فى كل بورنو وزندر وكوكه ولذلك كان ظهور رابح الزابير واكتساحه هذه المناطق يشكل خطرا للنفوذ الفرنسى ومعناه إلغاء الاتفاقيات التى سبق وأن عقدتها فرنسا زعماء هذه البلاد(٦٥٣) كما أن فرنسا بمقتضى الاتفاق الفرنسى البريطانى ١٨٩٠ حددت مناطق النفوذ الفرنسى والبريطانى بين النيجر وتشاد وضمنت فرنسا استحواذها على هذه الأراضى بمقتضى هذا الاتفاق (٦٥٤) . ولذلك كان لابد من إرسال بعثة فرنسية لاستطلاع الموقف فى المنطقة فأرسل الكابتن كزماجو Gazemajou فى بعثة من النيجر إلى تشاد فوصل شمال سوكوتو وبورنو كما زار زندر التى كان يحكمها أحمدو مادانى وتقع بين النيجر وتشاد ، ولكن السلطان أحمدو قتله لأنه ارتاب فى نوايا بعثته وقتل من معه من أفراد البعثة وهاجم معسكرهم وفر الناجون إلى دوسو Dosso وهو حصن فى شمال داهومى وقام أحمدو بإلقاء جثث الفرنسيين فى الآبار (٦٥٥) .

وجدت الحكومة الفرنسية أن الموقف يتدهور بالنسبة لها فى المنطقة الواقعة بين زندر وتشاد وأنه لابد لها من تدعيم السيطرة العسكرية على هذه المنطقة ، فعملت على إرسال الحملات العسكرية ، وإذا كان نهر شارى قد لعب دوراً كبيراً فى إقامة دولة رابح إلا أنه لعب دوراً أيضا فى انهيار هذه الدولة وذلك بتسهيله تسلل القوات الفرنسية إلى مناطق السودان الوسطى ، فقد نقلت هذه القوات على صفحة النهر وأبحرت فيه البواخر النيلية مما ساعد على سرعة انتقال القوات إلى هذه المناطق وعلى نقل المئونة والعتاد ، وذلك لأن النهر صالح للملاحة فى أكثر أجزائه . وهو ينبع من المرتفعات الواقعة عند بحيرة تشاد ثم يجرى ببطء فى اتجاه الجنوب لمسافة قصيرة يغير بعدها اتجاهه إلى الشمال الغربى حول سهل كبير ليصب فى النهاية فى جنوب بحيرة تشاد بدلتا واسعة (٦٥٦) .

ارتبط تاريخ المنطقة فى الفترة الواقعة من ١٨٩٥ حتى ١٩٠٠ باميل جنتل الذى لعب دوراً كبيراً فى سقوط دولة رابح . وقد واقع اختيار الحكومة الفرنسية عليه لإرتياد الكونغو

---

(٦٥٣) Beslier, G. : op. cit., p. 170.

(٦٥٤) Knapp, Wilfrid : (North West Africa) Third edition, (N. Y. 1977,) p. 238.

(٦٥٥) Meynier, O. : op. cit pp. 50 – 51.

(٦٥٦) سعد الدين ، الزبير : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

ومنطقة نهر شارى واستغرقت بعثته من ١٨٩٥ حتى ١٨٩٨ منح خلالها الميدالية الذهبية الكبرى من الجمعية الجغرافية الفرنسية وكانت أولى نتائج رحلته تسوية الموقف بين السنوسيين والفرنسيين ، وعقد معاهدة حماية مع سلطان باجرمى جوارنج سنة ١٨٩٧ ، ولكن ما كاد جنتيل يغادر المنطقة حتى أغار رابح على باجرمى ، لأنه شعر بأن هذه المعاهدة موجهة ضده وأعاد رابح الوضع إلى ما كان عليه قبل وصول بعثة جنتيل [٦٥٧] . أما جورانج فقد أسرع يطلب الحماية من الفرنسيين وترك بلاده ودخل رابح ماسينا ولكن ما كادت أنباء تقدم رابح فى الباجرمى تصل إلى الحكومة الفرنسية حتى هب جيلان وزير المستعمرات لإتخاذ الإجراءات الحاسمة فصدرت الأوامر إلى جنتيل بقطع إجازته والعودة إلى منطقة نهر شارى لمعاونة السلطان جورانج . وعين الضابط بروتونيه Bretonnet فى المنطقة أثناء غياب جنتيل . فعسكر فى بلده كانو . وفى ١٧ يوليو ١٨٩٩ هاجم رابح برتونيه وحمل على المواقع الفرنسية وأشاع الاضطراب فى الفرق الفرنسية وذبح عدداً كبيراً من رجال برتونيه وعرفت هذه المذبحة بمذبحة تجباو ولم ينج من القوات الفرنسية سوى ثلاث من السنغاليين فر واحد منهم إلى جنتيل وأخبره بما حدث [٦٥٨] . وقد أسرع جنتيل لمحو عار هزيمة برتونيه وعسكر فى فورت ارشمبولت الواقعة على بعد مائة ميل من كانو وأصدر أوامره فى أكتوبر ١٨٩٩ إلى الكابتن روبيلوت Robillot بأن عليه محو عار هزيمة تجباو . وخلال هذه الفترة جرت حادثة أخرى أثارت الفرنسيين ضد رابح فقد قتل فردينانددى بيهاجل Ferdinand De. Behagale وكان يعمل مندوباً لإحدى المؤسسات التجارية فى فرنسا ثم اتجه فى بعثة لإنشاء مركز تجارى حول بحيرة تشاد ونهر شارى وقد أحسن رابح استقباله فى بداية الأمر وعلم رابح أنه يمتلك عدداً من البنادق فعرض عليه شراءها ولكن دى بيهاجل رفض فاحتجزه رابح فى دكوه وعاد يفاوضه من جديد ولكنه رفض فألقى القبض عليه وبعد انتصار رابح على بريتونيه أمر بإعدام دى بيهاجل [٦٥٩] .

وأدت هذه الحادثة إلى ازدياد سخط الفرنسيين على رابح فهاجمت قوات جنتيل كانو واضطر رابح إلى إخلائها . وأيقنت وزارة المستعمرات بأن الأمور لن تستقر لها فى تشاد وفى أفريقيا الغربية الفرنسية إلا بالقضاء على رابح ولذلك تكونت ثلاث حملات كان

---

(٦٥٧) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٦٥٨) سعد الدين ، الزبير : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٦٥٩) المرجع السابق ، ص ١١٠ .

هدفها جميعا الوصول إلى تشاد والقضاء على دولة رابح خرجت الحملة الأولى ١٨٩٩ من السنغال بقيادة كل من فولييه Voulet وشانوان Chanoine - والحملة الثانية خرجت من الجزائر بقيادة فورو - لامى Foureau-Lamy ، أما الثالثة فجاءت من الكونغو بقيادة إميل جنتيل وكان هدف البعثات الثلاث الالتقاء فى تشاد والقضاء على دولة رابح التى امتدت فى أفريقيا الوسطى من بورنو حتى تشاد . ولكن هذه الحملات الثلاث عانت الكثير من أجل الوصول إلى تشاد ، فبعثة فوليه وشانوان القادمة من السنغال عانت من نقص المياه وعداء السكان الذين هاجموا أفراد الحملة أثناء اختراقهم الإقليم الصحراوى فى Tessaoua ، كذلك حملة فورو لامى القادمة من الجزائر تعرضت للكثير من المخاطر حتى وصلت إلى زندر ومنها إلى تشاد ، وقد وصلت البعثتان بعثة فورو لامى القادمة من الجزائر وبعثة جنتيل القادمة من الكونغو إلى تشاد[٦٦٠] أما بعثة شانوان وفوليه القادمة من السنغال فبالإضافة إلىعداء الأهالى ارتكب أفراد البعثة الكثير من المخالفات ، فقد حدث نزاع على القيادة بين كل من شانوان وفوليه ، فأرسل إليهم القائد الأعلى للفرق العسكرية فى السودان كلا من جلوب Klobb وباليه Pallier لتولى القيادة منهم ولكن شانوان رفض وأطلق النار على كلوب ولكن سرعان ما قتل الجنود الفرنسيون كلا من شانوان وفوليه وأصبحت القيادة فى يد باليه الذى تقدم واحتل Tessaoua وزندر[٦٦١]، وعاد باليه تاركا القيادة لجولان Jolland الذى قام بقتل أحمدو مادانى سلطان زندر انتقاما لمقتل كزماجو Cazemajou وجدير بالذكر أن الحملة ارتكبت الكثير من الفظائع أثناء تقدمها جنوب تشاد . كما قامت بذبح العديد من النساء والأطفال . وخلفت الحملة وراءها جثث هؤلاء وقد حاول المؤرخون الفرنسيون تعليل هذه المذابح والاضطرابات التى حدثت لأفراد الحملة مثل إقدام شانوان على قتل زميله الفرنسى جلوب ورفضه تسليمه القيادة إلى أن العداء الذى لقيه أفراد الحملة ومهاجمة الوطنيين لهم أثناء تقدمهم هو العامل الرئيسى الذى أدى إلىرهاق أعصابهم بالإضافة إلى رداءة الطقس[٦٦٢] . ولكن فى الواقع كما ذكرنا من قبل أن الضباط الفرنسيين أراد كل منهم أن يحقق لنفسه مجداً عسكريا ، ولذلك كان من الصعب على واحد منهم أن يتنازل عن القيادة لقائد آخر ولا يمكن تعليل أو تبرير قتل شانوان لزميله كذلك المذابح التى ارتكبت ضد النساء والأطفال أنها كلها كانت بسبب إرهاق الجنود وقوادهم ، فهو عمل

---

(٦٦٠) Beslier, G. : op. cit pp. 175-185 .

(٦٦١) Crowder, M. : op. cit Colonial P.106.

(٦٦٢) Bory, p. : op. cit, p. 2uo .

إجرامى أولا وأخيراً . ولكن يحق للكتاب الفرنسيين تبرير أعمال وتصرفات جنودهم العدائية والإجرامية بينما يصفون الزعماء الوطنيين الذين قاوموا النفوذ الفرنسى بأنهم دمويون ، فقد وصف رابح الزبير كما وصف سامورى من قبل بأنه دموى متعطش للدماء فى حين نجد أن هدف رابح كان أسمى بكثير من أهداف القادة الفرنسيين ، فلقد أراد تكوين دولة إسلامية موحدة والتصدى للخطر الفرنسى .

عمل جوالان بعد توليه القيادة على أن يعيد تنظيم قواته ، فاتجه نحو نجيمى Nguigmi الواقعة على بعد عدة كيلو مترات شمال تشاد ووقع جوالان معاهدة حماية فى هذه المنطقة ، ثم اتجه إلى نهر شارى وسار نحو Goulfei فوجد قوات رابح تحتل المدينة فلم يحاول مهاجمتها وانتظر وصول قوات جنتيل [٦٦٣] وفى ٢١ أبريل ١٩٠٠ التقى جنتيل بالبعثات الثلاث فى كوسرى Koussri فعمل على تنظيمها ، وقام الجيش الفرنسى بمهاجمة رابح الزبير الذى هزمت قواته وقتل هو نفسه وقطعت رأسه وأحضرت إلى معسكر كوسرى وحققت البعثات الثلاث هدفها وقضت على رابح . كما حققت هدفا آخر فقد تأكد الفرنسيون من إمكانية ربط مستعمراتهم فى أفريقيا فى كل من الجزائر والسنغال والكونغو [٦٦٤] .

ولكن رغم القضاء على رابح إلا أن مقاومة أبنائه استمرت فى الباجرمى حتى عام ١٩٠٢ واستمر ابنه فضل الله يقاوم النفوذ الفرنسى حتى قتل هو الآخر ، ولقى نفس مصير والده . واستمرت مقاومة الوطنيين فى تشاد حتى ١٩١١ عندما تمكنت فرنسا من سيطرتها على شمال تشاد [٦٦٥] .

وجدير بالذكر أن فضل الله بن رابح الزبير حاول الفرنسيون التفاوض معه ولكنه قطع رؤوس المبعوثين الذين أرسلتهم فرنسا وحاول التفاوض مع السلطات البريطانية فى النيجر الأدنى ، ولكن عند عودته إلى بورنو قتل فى فوجبه فى أراضى المستعمرة الانجليزية [٦٦٦] . وقد أثارت تحركات فضل الله واتجاهه نحو بريطانيا قلق الفرنسيين كذلك أثارت التساؤلات

---

(٦٦٣) Beslier, G. : op. cit, p. 187.

(٦٦٤) Ibid pp. 189 – 190.

(٦٦٥) Zerbo, J. op. cit, p. 424.

(٦٦٦) لوثروب ، ستودارد : المرجع السابق ، جـ ٣ ص ٦٤ .

فى مجلس العموم البريطانى فوجهت الأسئلة إلى وكيل وزارة المستعمرات عن الأوضاع السائدة فى بورنو ، وعن مدى تأثر القتال الدائر بين فرنسا وفضل الله على المستعمرة البريطانية (٦٦٧) .

أما عن السنوسيين الذين كانوا على الحياد فى الصراع الدائر بين رابح والفرنسيين ، فسرعان ما أدركوا الخطر الذى يهددهم وخاصة بعد مقتل رابح فشنوا عدة هجمات من واحة جغبوب مركزهم الرئيسى على القوات الفرنسية فى المنطقة فقاد سيدى محمد البرانى الهجمات على الفرنسيين ولكن سرعان ما سقطت المراكز السنوسية فى أيدى الفرنسيين خلال عامى ١٩٠٢ - ١٩٠٣ وانتهى الأمر بأنسحابهم نحو الشمال تاركين الجنوب غنيمة للفرنسيين (٦٦٨) .

استتبع وصول فرنسا إلى بحيرة تشاد ضرورة اتفاقها مع ألمانيا التى أرادت مد نفوذها من شمال الكاميرون حتى تشاد ، وقد دارت المفاوضات بين الحكومتين بشأن تحديد الحدود على ساحل بحيرة تشاد فأرسل وزير الخارجية الفرنسى ريبو Ribot إلى السفير الفرنسى فى برلين فى ٢١ اغسطس ١٨٩٠ بضرورة تحديد الحدود حول بحيرة تشاد وأن يكون لفرنسا حق السيطرة على المنطقة التى يصب فيها نهر شارى فى بحيرة تشاد . وأن تكون منطقة بورنو وادماواة مناطق نفوذ ألمانية وباجرمى منطقة نفوذ فرنسية ، كذلك الإقليم الشرقى من ادماواة (٦٦٩) .

على أن المباحثات بين الجانبين توقفت ثم استؤنفت من جديد فى عام ١٨٩٣ ، وحرصت فرنسا بعد استئناف هذه المباحثات على ضمان حقوقها فى المنطقة ولذلك فقد أرسل السفير الفرنسى فى برلين هربت Herbette إلى وزير الخارجية الفرنسى دوفيل Develle يخبره بعزم الحكومة الألمانية على تحديد مناطق نفوذها فى غرب أفريقيا ، وقد وزعت الخرائط المفصلة على أعضاء الحكومة الألمانية لتوضيح مناطق نفوذ ألمانيا فيها وكما لفت السفير الفرنسى نظر الحكومة الفرنسية إلى ضرورة تحديد الحدود الداخلية لمستعمرة الكاميرون الألمانية ، لمنع ألمانيا من الإمتداد نحو نهر شارى (٦٧٠) .

---

(٦٦٧) Hansard Fourth series VoL. 103, 1902, p. 185.

(٦٦٨) زاهر ، الرياض : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٦٦٩) D. D. F. 1 er serie Tome VIII. Tn° 70 confident p.220.

(٦٧٠) Ibid I er Serie Tome X D° N° 3° p. 147.

وجدير بالذكر أنه فى الوقت الذى اهتمت فيه الحكومة الفرنسية باستئناف المفاوضات مع ألمانيا بشأن تحديد الحدود حول بحيرة تشاد ، اهتمت الحكومة الألمانية أيضا بهذا الموضوع ، فطلب وكيل وزارة الخارجية الألمانية البارون مارشال Marschall من السفير الفرنسى فى برلين بضرورة إبلاغ حكومته بتحديد الحدود ، وخطورة الموقف وأعرب عن تخوفه من قيام نزاع بين البلدين بخصوص الأراضى الداخلية للكاميرون ، خاصة بعد جهود المكتشفين والرحالة الفرنسيين فى المنطقة وطالب مارشال من السفير الفرنسى ضرورة الاتفاق على تحديد الحدود عند سواحل بحيرة تشاد ، فأرسل السفير الفرنسى إلى وزير الخارجية دوفيل فى ٩ مايو ١٨٩٣ يخبره بموقف الحكومة الألمانية [٦٧١] كما طالب السفير الفرنسى من حكومته فى ١١ مايو سنة ١٨٩٣ بضرورة تحديد الحدود بين فرنسا وألمانيا فى الكاميرون مع مراعاة أن يكون مصب نهر شارى منطقة نفوذ فرنسية [٦٧٢] .

وقد قبلت الحكومة الفرنسية استئناف المفاوضات مع ألمانيا ، وأرسل دوفيل وزير الخارجية إلى هيربت السفير الفرنسى فى برلين برقية تفيد قبول الحكومة التفاوض مع ألمانيا فى ١٥ مايو ١٨٩٣ [٦٧٣] ورغم استئناف المباحثات بين الجانبين إلا أنه تمت تسوية بين الحكومتين الألمانية من جانب والبريطانية من جانب آخر من أجل الاتفاق على تحديد حدود الكاميرون واعترفت ألمانيا بحقوق بريطانيا فى يولا حتى تشاد ، ولذلك فقد أسرع السفير الفرنسى بتوضيح حقوق فرنسا فى المنطقة للحكومة الألمانية وأرسل برقية بذلك إلى حكومته فى ١٨ نوفمبر ١٨٩٣ [٦٧٤] . وقد احتجت فرنسا على هذه التسوية ، وطلبت من سفيرها فى برلين إبلاغ الحكومة الألمانية بحقوق فرنسا فى تشاد ، تلك الحقوق التى اكتسبتها بفضل جهود المكتشفين الفرنسيين وطالبت كل من ألمانيا وبريطانيا باحترامها وعدم إغفالها [٦٧٥] .

---

(٦٧١) D. D. F. I er serie Tome X T° N. 47 p. 342 .

(٦٧٢) Ibid N° 31 p. 342.

(٦٧٣) Ibid T° N° 25 p. 348.

(٦٧٤) Ibid T° N° 94 p. 643.

(٦٧٥) Ibid T° N° 49 p. 658.

وأخيراً تم الاتفاق بين الحكومتين الفرنسية والألمانية فى عام ١٨٩٤ فتضمن الاتفاق حصول فرنسا على المناطق الجنوبية لبحيرة تشاد ، متضمنة ضفتى نهر شارى وأراضى باجرمى ووادى ومعظم Sangha ومدينة Bifara [٦٧٦] .

وكان معنى هذا الاتفاق هو تحديد الحدود الشمالية لمستعمرة الكاميرون الألمانية ، وعدم السماح لألمانيا بمد نشاطها فى المناطق الشمالية كذلك إنفراد فرنسا وانجلترا بمنطقة النيجر ، ويتضح لنا ذلك من رسالة أرسلها القائم بالأعمال الفرنسى فى برلين برينيه Prinet إلى وزير الخارجية الفرنسية دلكاسيه Delcassé فى ٢٠ سبتمبر ١٩٠١ وضع فيها أن ألمانيا ترقب نشاط كل من انجلترا على حدود ليبريا والكاميرون ونشاط فرنسا فى تشاد . وأنها عاجزة عن تطوير مستعمرة الكاميرون وهى تبحث عن أفضل الوسائل لتطوير وإنعاش المستعمرة واكتشاف الطرق التجارية فى المناطق الداخلية وقد أرسلت بعثة صغيرة بقيادة الملازم دومنيك Dominik لبناء مركز مراقبة فى Geroua [٦٧٧] .

وهكذا يتضح لنا بأن الاتفاق الفرنسى الألمانى ١٨٩٤ حدد حدود الكاميرون ومنع ألمانيا من مد نشاطها صوب تشاد جنوبا كذلك منعها من أن يكون لها سيطرة على منطقة النيجر غربا وخاصة بعد قبولها الاعتراف بنفوذ بريطانيا فى يولا .

---

(٦٧٦) Hanotaux, Gabriel : Le Partage de L'Afrique Noire, (Paris 1909), p. 182.

(٦٧٧) D. D. F. 2er serie Tome I D° N° 249. P. 486.

ثالثا - موريتانيا (شنقيط) :

(أ) العلاقات الفرنسية الموريتانية حتى منتصف القرن التاسع عشر :

وصل البرتغاليون فى النصف الأول من القرن الخامس عشر إلى سواحل موريتانيا وزار فرانديز Joas Feranandez منطقة وادان الواقعة شرقى ادرار [٦٧٨] وفى عام ١٤٤٨ أنشأ البرتغاليون حصن أرجيوم وهو مقابل للرأس الأبيض ومنه توغلوا نحو المناطق الداخلية فتقدموا صوب السودان الغربى بهدف الوصول إلى مدينة تمبكتو التى ذاعت شهرتها بسبب كثرة مناجم الذهب فيها . ولكن البرتغاليين سرعان ما انصرفوا إلى تجارة الرقيق وأصبحت ارجيوم هى المركز الرئيسى لتجميعه ومنها كان ينقل عبر الأطلنطى [٦٧٩] .

لم يستقر الأمر للبرتغاليين فى المنطقة ففى القرن السابع عشر ازداد التنافس بين الدول الأوربية البحرية واتخذت هذه الدول من مصاب الأنهار عند سواحل أفريقيا نقاط ارتكاز ومحطات بحرية لتموين أساطيلها . وظهرت هولندا خلال هذه الفترة كدولة بحرية كبيرة واستطاعت ١٦٣٨ انتزاع حصن ارجيوم من البرتغال [٦٨٠] ولكن بوصول الفرنسيين واستقرارهم فى السنغال بدأوا يتطلعون لإقامة علاقات تجارية مع القبائل الموريتانية الموجودة على الضفة اليسرى لنهر السنغال . وفى الواقع اختلفت علاقة فرنسا بهذه القبائل عن علاقتها مع القبائل المقيمة فى السودان أو السنغال . فقد اضطرت فرنسا إلى دفع الضرائب للقبائل الموريتانية كما دفعت مبالغ سنوية وهدايا لزعماء هذه القبائل وكان الغرض من ذلك الإبقاء على تجارة الصمغ وتنظيم هذه التجارة من جهة وإرضاء هذه القبائل من جهة أخرى لمنعها من عبور نهر السنغال ومهاجمة الوكالات الفرنسية التجارية [٦٨١] .

---

(٦٧٨) صلاح العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ، ص ٣٨ .

(٦٧٩) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، ص ١٥٨

(٦٨٠) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، (موريتانيا) ص ٣٨ .

(٦٨١) Poulet, G. : op. cit, p. 151.

فى عهد لويس الرابع عشر اهتم كولبير تثبيت أقدام الفرنسيين عند مصب نهر السنغال فأقام حاميات عسكرية لحماية الوكالات التجارية من هجمات القبائل الموريتانية ورغم إقامة هذه الحاميات إلا أن هذه القبائل لم تمتنع فى كثير من الأحيان عن مهاجمة الفرنسيين ولكن نظراً لتزايد اهتمام الأوربيين بتجارة الصمغ وما حققته هذه التجارة من أرباح للطرفين فقد أصبح لأمراء القبائل الموريتانية مثل الترارزة والبراكنة ممثلون تجاريون يتولون عملية التجارة مع الأوربيين وعرف هؤلاء باسم كاتى Cati [٦٨٢] كما كان التجار الأوربيون يتجمعون مرة كل عام للصعود فى نهر السنغال والإبحار فيه حتى رافده الفاليمى حيث توجد جالام وفيها تتم عملية مبادلة السلع مع الموريتانيين [٦٨٣] .

ولكن الجهود الفردية للتجار الفرنسيين أو الأوربيين كان لابد وأن يتبعها عملية تنظيم العلاقة التجارية بين الأوربيين من جانب والقبائل الموريتانية من جانب آخر ولذلك عقدت المعاهدات مع هذه القبائل لتنظيم عملية التبادل التجارى وكانت أولى هذه المعاهدات تلك التى عقدت بين كل من مدير الوكالة الفرنسية دورانت **Durant** وقبيلة **Darmancours** فى ٢ مايو ١٧٨٥ تبعتها معاهدة أخرى وقعت فى ١٠ مايو ١٧٨٥ وقام بتوقيع المعاهدتين دى ريبنتنى **De. Repentigny** حاكم السنغال [٦٨٤] كما وقع دورانت اتفاقية أخرى فى يوليو ١٧٨٥ مع على كورى أمير الترارزة لتنظيم تجارة الصمغ . ولكن لم يمض وقت طويل على توقيع هذه الاتفاقيات حتى نشبت الثورة الفرنسية وما تبعها من حروب نابليون وفقدت فرنسا مواقعها فى السنغال إلا أن معاهدة باريس سرعان ما ردت الحكومة الفرنسية هذه المواقع [٦٨٥] فقد نصت المادة الثانية من معاهدة باريس ١٨١٤ على إعادة جميع الوكالات والمنشآت التى كانت تمتلكها فرنسا منذ عام ١٧٩٢ على الساحل الغربى لأفريقيا فاستعادت فرنسا بذلك ممتلكاتها فى السنغال ولكن انجلترا حصلت على حق التجارة فى بورتنديك فى الشمال وحتى خليج ارجوين [٦٨٦] .

وباستعادة مراكز فرنسا فى السنغال عاد التجار الفرنسيون لاستئناف نشاطهم التجارى ولكنهم وجدوا أن القبائل الموريتانية قد وصلت إلى الضفة اليسرى لنهر السنغال إلى منطقة

---

(٦٨٢) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، موريتانيا ، ص ٣٩ .

(٦٨٣) Poulet, G. : op. cit, p. 152.

(٦٨٤) Ibid p. 152.

(٦٨٥) صلاح ، العقاد ، المرجع السابق ، موريتانيا ، ص ٣٩ .

(٦٨٦) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 78.

أوالو Oualo حيث احتكرت التجارة ورفضت السماح للفرنسيين بإنشاء مراكز أو وكالات فى هذه المنطقة كما رفضوا قبول ممثلين أو مندوبين فرنسيين فى بلادهم (٦٨٧) ولذلك كان على التجار الفرنسيين تأمين تجارتهم حتى ولو أدى إلى دفع الأتاوات للقبائل الموريتانية وخاصة قبائل الترارزة وزاد من خطورة الموقف أنه كان لهذه القبائل نفوذ على مسلمى السنغال وبالإضافة إلى تهديد القبائل الموريتانية للتجارة الفرنسية واجه الفرنسيون خطراً آخر تمثل فى منافسة التجار البريطانيين لهم فقد كان لهم الحق فى التجارة فى المنطقة وخاصة بورتنديك وفقا لمعاهدة باريس ١٨١٤ (٦٨٨) . ولذلك كان الحل الوحيد أمام التجار الفرنسيين للإبقاء على تجارة الصمغ هو استمرار دفع الضرائب للقبائل الموريتانية والعمل على إرضائها بمختلف الوسائل . وقد وصل الأمر بهؤلاء التجار إلى تحديد الهدايا السنوية ونوعيتها . لهذه القبائل لضمان حسن الجوار معهم وعدم الاعتداء على تجارتهم وتوقفت أرباح التجار الفرنسيين على مدى نجاحهم فى توطيد الصلات مع القبائل الموريتانية وذلك لأنه فى ذلك الوقت لم يعتمد الفرنسيون على القوة العسكرية لتدعيم سيطرتهم على المنطقة ، ولكن هذا لا ينفى حدوث بعض الاشتباكات بين الطرفين ولكنها كانت أقل من أن توصف بأنها حملات عسكرية (٦٨٩) .

وتدعيماً لحسن الجوار بين الطرفين عقدت فرنسا عدة معاهدات مع القبائل الموريتانية فى مطلع القرن التاسع عشر ففى ١٨١٩ عقدت معاهدة مع عمرو بورى ملك أولو تعمدت فيها فرنسا بدفع مبلغ سنوى للملك مقابل قبوله السماح للتجار الفرنسيين بالتجارة . وكان لمنطقة أوالو أهمية كبيرة فهى تقع على ضفة السنغال اليسرى وكانت على اتصال مباشر بالإدارة الفرنسية فى سانت لويس كما تم عقد معاهدة أخرى مع زعماء البراكنة والترارزة وتم تأسيس مركز داجنا على الضفة اليسرى للسنغال (٦٩٠) وقد تزايدت المعاهدات التى عقدتها فرنسا مع القبائل الموريتانية لتنظيم التجارة فى المنطقة ففى ٢٥ يوليو ١٨٢١ عقدت معاهدة مماثلة مع البراكنة وذلك من أجل استمرار تجارة الصمغ بين الطرفين وتعمدت فرنسا بدفع مبالغ سنوية لزعماء البراكنة وفى ٢٥ يونيو ١٨٢١ عقدت معاهدة مع قبيلة الدويش

---

(٦٨٧) Guernier, E. : op; vit, Tome I p. 56.

(٦٨٨) صلاح ، العقاد ، المرجع السابق ، (موريتانيا) ص ٤٠ .

(٦٨٩) Ajayi , J : oP. cit, vol II. P. 356 .

(٦٩٠) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 94.

Douaich وهى من القبائل الموريتانية التى تعيش فى وادى السنغال شمال شرق داجنا سمحت فيها هذه القبيلة للفرنسيين بإنشاء مركز لتجارة الصمغ بالقرب من نهر باقل . ثم توالت المعاهدات بين الموريتانيين والفرنسيين فى ١٩ أغسطس ١٨٢٤ و ٢٦ فبراير سنة ١٨٢٦ – ٢٥ أبريل ١٨٢٩ – و ٢٤ أغسطس ١٨٣١ وأول يونيو ١٨٣٢ ، ٣٠ أغسطس ١٨٣٥ و ١٠ أغسطس ١٨٥٣ [٦٩١] وتوضح لنا هذه المعاهدات المتوالية حقيقة هامة ، ألا وهى حرص فرنسا على التعامل والاتفاق ومهادنة القبائل الموريتانية لتمنعها من الإغارة على الوكالات الفرنسية ونهبها ، كذلك لتوفير الحماية للتجار الفرنسيين والمكتشفين . ففى عام ١٨٢٤ قام رينيه كاييه برحلته الشهيرة إلى قبائل البراكنة حيث تعلم اللغة العربية وأطلع على عادات وتقاليد أهالى المنطقة وأفاد الكثير أثناء إقامته فيها ثم استكمل رحلته بعد ذلك إلى تمبكتو [٦٩٢] .

وجدير بالذكر أن حكام السنغال أولوا اهتمامهم لعقد المعاهدات مع القبائل الموريتانية فكلما تولى حاكم جديد مهام منصبه سعى للاتفاق مع هذه القبائل وإرضائها فعندما تولى دى جوبلان De Jublin إدارة السنغال وقع فى ٢٥ أبريل ١٨٢٩ مع قبيلة Dakhelifa معاهدة للتجارة وكانت هذه القبيلة منفصلة عن بقية القبائل الموريتانية الأخرى فهى لا تتبع الترارزة ولا البراكنة [٦٩٣] .

وبفضل سياسة برو مدير الشركة الملكية للسنغال والرأس الشمالى وساحل أفريقيا امتد النشاط الفرنسى التجارى حتى أرجيوم وبورتنديك كما عمل برو على الاتصال بالقبائل الموريتانية [٦٩٤] .

وعلى الرغم من جهود حكام السنغال والتجار الفرنسيين إلا أن الفرنسيين اصطدموا بالقبائل الموريتانية بسبب التنافس على منطقة أوالو التى اعتبرتها القبائل الموريتانية ضمن مناطق نفوذها فقد ثار محمد عمار Mohamed Ammar وأعلن الجهاد فى أوالو خلال فترة حكم برو للسنغال من ١٨٢٩ – ١٨٣١ واجتاح المراكز الفرنسية واتجه نحو داجنا وأغار على مركز ريتشارد تول ولكن برو تمكن من إلحاق الهزيمة بقوات محمد عمار واضطر قائد

---

(٦٩١) Poulet, G. : op. cit, P. 152.

(٦٩٢) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 101.

(٦٩٣) Ibid p. 103.

(٦٩٤) Molard, R. : op. cit p. 133.

قواته نياجا Niagaissa إلى الفرار إلى داكار حيث طلب الحماية من حاكمها مختار ديوب Moktar-Diop وأمر برو ديوب بتسليم القائد الهارب ولكنه رفض . وكما ذكرنا من قبل أن القبائل الموريتانية كان لها نفوذ على مسلمى السنغال وفى فوتا ولذلك رفض ديوب تسليمه بل منع سكان الرأس الأخضر من إمداد جوريه بالمياه واضطر الفرنسيون إلى التفاوض مع ديوب وانتهت الأزمة بين الطرفين بموافقة ديوب على التفاوض مع القائد الفرنسى فى جوريه هيس Hesse حيث قبل إعادة العلاقة بين الطرفين بشرط عدم تسليم نياجيا (٦٩٥) .

وفى ١٨٣٢ تزوج زعيم الترارزة من وريثة منطقة أوالو فأصبح بذلك للترارزة نفوذ على الضفة اليسرى لنهر السنغال واقتربوا من المراكز الفرنسية ولذلك كان هدف حاكم السنغال والتجار الفرنسيين يتلخص فى ضرورة إبعاد الترارزة عن منطقة أوالو بأن ثمن ولكن لم يكن من السهل عليهم تنفيذ ذلك فى القوت الراهن (٦٩٦) ولذلك فضلوا العودة إلى أسلوب مهادنة الترارزة وقبول دفع الأتاوات ومنحهم الهدايا السنوية واكتفى الفرنسيون بتجديد المواقع التى يريدون التعامل فيها مع التجار الموريتانيين القادمين من إمارة الترارزة . وفى ٣١ مايو ١٨٣٢ عقدت معاهدة سلام بين الترارزة وحاكم السنغال جاء فيها أن أمير الترارزة يلتزم بعهوده السابقة بحماية التجارة . وعليها التعهد بعدم إجبار وتكليف التجار الفرنسيين الذين يشترون منه الصمغ بدفع أيه غرامة . كذلك عليه منع رعاياه من فرض أتاوات على التجار وأن يتولى حماية جميع الأماكن التى تقع فيها المراكز التجارية كما يتعهد بمعاقبة من يحاول الاعتداء عليها وقد عقدت المعاهدة مقابل مكافأة سخية قدمت لأمير الترارزة من قبل حاكم السنغال (٦٩٧) .

كذلك عقدت معاهدة مماثلة فى ٥مايو ١٨٣٤ مع أمير البراكنة تعهد فيها أحمد بن سيدى على أمير البراكنة بحراسة المراكب الفرنسية حتى جزيرة ماهوغيز فى مقابل تعهد الطرف الفرنسى بدفع جزية إلى الأمير بالإضافة إلى تقديم هدية سنوية له (٦٩٨) .

---

(٦٩٥) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 104.

(٦٩٦) Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56

(٦٩٧) صلاح العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٠ .

(٦٩٨) المرجع السابق ، ص ٤٤ .

كذلك وقع بيجول Pujol حاكم السنغال معاهدة فى ٣٠ أغسطس سنة ١٨٣٥ مع الترارزة وذلك لإغارتهم على المراكز الفرنسية من جديد وقد أثار غضب الترارزة أن بيجول حاول منعهم من التجارة مع البريطانيين فى بورتنديك ولكنه خشى تفاقم الموقف واستخدم معهم الطرق الدبلوماسية واضطر إلى رفع حظر التجارة عن بورتنديك كما تعهد الترارزة بدورهم إحضار الصمغ إلى داجنا [٦٩٩] .

وفى عام ١٨٤٠ ظهرت عدة تنظيمات جديدة فى السنغال لعل أبرزها أن الحاكم العام فيها أولى اهتمامه بتجارة الصمغ وعمل على تنظيمها بحيث يتم إصدار تصاريح للتجار الفرنسيين للعمل فى أوقات وأماكن محددة . كما كان على حاكم السنغال تحسين علاقته مع الأمراء المحليين [٧٠٠] .

ولعل أول حاكم فرنسى اتخذ سياسة أكثر حزما فى المنطقة تجاه الموريتانيين هو بوييه ويلوميه فمنذ عام ١٨٤٤ بدأ فى صد هجمات القبائل الموريتانية بعد تكرار شكوى التجار الفرنسيين منهم وكانت سياسته هذه بموافقة البرلمان الفرنسى الذى خشى من تزايد نفوذ هؤلاء التجار بعد أن تعددت شكاوهم [٧٠١] كما أنشأ ويلوميه حصن فى أوالو وآخر فى فوتا لحماية التجار ولكن لم تلبث الأوضاع أن اضطربت فى المنطقة بسبب إنشاء هذا الحصن وتعرضت مستعمرة السنغال لموجه من الاضطرابات سببها هجوم القبائل الموريتانية عليها وظل الحال كذلك حتى مجىء فيدهرب فاستخدم القوة مع هذه القبائل لإخضاعها [٧٠٢] .

وطوال عهد فيدهرب اقتصرت أهداف فرنسا فى السنغال على الزحف نحو السودان بمحازاة النهر ، أما فى الشمال الصحراوى فقد اقتصر الأمر على الرغبة فى تأمين الوضع والتجارة وقد ساد الهدوء فى السنغال حتى الحرب السبعينية [٧٠٣] .

---

(٦٩٩) Hanotaux, G. : oP cit, Tome IV p. 106 .

(٧٠٠) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص٤٠

(٧٠١) Hagreaves, J. : op. cit, Prelude p. 99.

(٧٠٢) انظر جهود فيدهرب تجاه القبائل الموريتانية (الفصل الثانى) .

(٧٠٣) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤١ .

(ب) مهادنة فرنسا للقبائل الموريتانية :

بعد هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية ركز حكام السنغال اهتمامهم على مهادنة القبائل الموريتانية حتى يتفرغوا للتوسع الفرنسى نحو الشرق ولكن توافدت البعثات الاستكشافية على المنطقة فأوفدت فرنسا بعثة استكشافية ١٨٧٩ بقيادة بول سولييه لدراسة إمكانية ربط خط حديدى بين الجزائر والسنغال (٧٠٤) وأفادت هذه البعثات فى إلقاء الضوء على الأوضاع الداخلية لموريتانيا . وتتابعت البعثات الفرنسية منها بعثة كاميل دول Camille Douls عام ١٨٨٦ – وبعثة فابر Fabert ١٨٩١ – ١٨٩٤ وبعثة دونات Donnat ١٨٩٤ بلانشيه Blanchet ١٩٠٠ وقد أسر فى إدرار ولم يفرج عنه إلا بواسطة القوات الفرنسية كما قام الفرنسيون بعملية مسح شامل للصحراء جنوب موريتانيا وأرسلت البعثات العلمية والجغرافية (٧٠٥) .

وبالإضافة إلى إرسال البعثات العلمية والاستكشافية استمرت السياسة الفرنسية فى مهادنة القبائل الموريتانية وفى عقد المعاهدات معها . ففى ٢٢ مارس سنة ١٨٨٠ صدر مرسوم ينظم التجارة مع هذه القبائل وأعطى الموريتانيين نسبة ٣ ٪ من حصيلة التجارة وكانت هذه النسبة يتم دفعها على عدة دفعات فى أوائل مارس وأبريل ويونيو من كل عام . وكانت قبيلة البراكنة من ضمن القبائل التى تحصل على هذه النسبة ولكن فى ٢٢ مايو ١٨٨٠ استبدلت نسبة ٣ ٪ بدفع مبلغ سنوى محدد لزعماء القبائل الموريتانية بلغ ١,٢٠٠ جنيه لكل زعيم (٧٠٦) .

وجدير بالذكر أنه على الرغم من المعاهدات التى ارتبطت بها فرنسا مع الزعماء الموريتانيين إلا أننا نلاحظ أنه كانت هناك علاقات تجارية بين بعض التجار الفرنسيين والقبائل الموريتانية ولم تكن لهذه العلاقة صفة رسمية كالاتفاقيات والمعاهدات التى عقدتها السلطات الفرنسية وإنما تعهد التجار بتقديم هدايا سنوية لزعماء القبائل وكانت هذه الهدايا هى أساس التعامل بين الطرفين وقد سمحت الحكومة الفرنسية لهؤلاء التجار بالاستمرار فى تعاملهم وتجارتهم مع القبائل الموريتانية ولكن على مسئولياتهم الخاصة دون تدخل الحكومة لحمايتهم (٧٠٧) .

---

(٧٠٤) صلاح العقاد : المرجع السابق ، (موريتانيا) ص ٤١ .

(٧٠٥) Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 80.

(٧٠٦) Poulet, G. : op. cit, p. 154.

(٧٠٧) Poulet, G. : op. cit, P. 153

وأتسمت علاقة الفرنسيين بالقبائل الموريتانية حتى أواخر القرن التاسع عشر بالهدوء النسبي وذلك لأن تركيز فرنسا خلال هذه الفترة كان نحو الشرق والتوغل من السنغال والنيجر نحو الأقاليم الشرقية . بحيث أننا نجد فى كثير من الأحيان أن القبائل الموريتانية تتعاون مع الفرنسيين ففى عام ١٨٨١ حاربت الفرق الفرنسية عبد الله أبو بكر زعيم بوسييه فى منطقة ندوربديان N'Dourbadian وذلك لأنه ثار ضد الفرنسيين ، ورفض مد خط تلغرافى فى أراضيه وعمل على تحطيم الخطوط كلما مدها الفرنسيون ولجأ فى النهاية إلى قبائل أولاد على ولكن حاكم السنغال وقع معهم معاهدة بمنع إيواء الفارين أو الثائرين ضد فرنسا وخاصة من جماعات بوسييه ووقع المعاهدة محمد ولدايبا زعيم أولاد على كذلك نصت المعاهدة على حماية القوافل التجارية التى تحمل الصمغ أو أى منتجات أخرى وتعهد محمد ولدايبا بالعمل على نجدة القوافل فى حالة تعرضها للخطر ، كذلك تعهد بحماية القوافل المارة بين سلديه ، وماتام . كما تعهدت فرنسا مقابل ذلك بدفع ٤٠٠ قطعة حبيه ذهبية له سنويا [٧٠٨] .

وجدير بالذكر أن المعاهدات التجارية التى عقدت بين كل من فرنسا والقبائل الموريتانية حددت العلاقة بين الطرفين ونظمتها ، فقد تعددت هذه المعاهدات وإن كان معظمها كان بهدف التجارة وتحديد أنصبة زعماء القبائل من المبالغ المدفوعة لهم سنويا من قبل الحكومة الفرنسية . ففى ٨ أكتوبر ١٨٩١ عقدت معاهدة مع أحمد سالوه أمير الترارزة بمقتضاها حصل على ٩,٩٩٩٦ فرنك و ١,٦٦٦ قطعة ذهبية من الحكومة الفرنسية سنويا ، كذلك وقعت معاهدة مماثلة مع كل من شمس Chems زعيم قبيلة Darmancours وأحمدو ملك البراكنة وزعيم الدويش الذى حصل بمقتضى المعاهدة من فرنسا على ألف قطعة حبيه ذهبية سنويا . وفى ١٩ يناير ١٨٩٤ كان نصيب زعيم أولاد على ٥٠٠ قطعة حبيه ذهبية . وهكذا نلاحظ أن فرنسا قبلت دفع هذه المبالغ السنوية للقبائل الموريتانية من أجل ضمان تجارتها وتأمين الطرق المؤدية إليها ، وعدم تعرض هذه القبائل للقوافل التجارية .. وقد قدر مجموع مادفعته فرنسا لهذه القبائل من ١٨٩١ حتى ١٨٩٤ حوالى ٣٧,١٧٥ فرنك سنويا [٧٠٩] .

---

(٧٠٨) Ibid P. 154.

(٧٠٩) Poulet, G. op. cit. p. 155.

وبالإضافة إلى المعاهدات التجارية المعقودة بين الجانبين وقعت أيضا معاهدات ذات طابع سياسى مع زعماء القبائل ، فعقدت فرنسا معاهدة أمير ادرار فى ٨ أغسطس ١٨٩٢ اتفقا فيها الجانبان على إعلان رغبتهما فى العيش فى سلام وصداقة ، وتعهدت فرنسا بعدم التدخل فى شئون إدرار السياسية وحماية ملك إدرار من أى عدوان خارجى ، وحماية القوافل التجارية القادمة من إدرار إلى السنغال وفى حالة تعرض هذه القوافل لاعتداء من قبل أى قبيلة أخرى موريتانية فعلى فرنسا سرعة توقيع العقوبات على القبيلة المعتدية ، كما حددت المعاهدة مبلغ ٥٠٠ قطعة ذهبية تدفع لملك إدرار زيدت فيما بعد إلى ٨٠٠ قطعة . أما الملك فقد تعهد هو الآخر بعدم توقيع أية معاهدة مع أى قوة أجنبية أخرى ، أو إعطاء حق احتكار التجارة لأى دولة باستثناء فرنسا وعليه استئذان حاكم السنغال عند الاتصال بأى دولة أوروبية أخرى . وقد لعب حكام السنغال دوراً كبيراً فى توطيد العلاقة بين الإدارة الفرنسية والقبائل الموريتانية ، وكثيراً ماتدخل حاكم السنغال لمنع الحروب بين هذه القبائل . ويلاحظ أن بعض القبائل رفضت التعامل مع الفرنسيين نهائيا ، واعتبرتهم دخلاء على المنطقة ورغم محاولات حكام السنغال تأكيد حرص حكوماتهم على عدم التدخل فى الشئون الداخلية لهذه القبائل إلا أنها رفضت التعامل معهم [٧١٠] .

(جـ) بعثة كوبولانى Coppolani وإخضاع موريتانيا :

بمقتضى الاتفاق الفرنسى / البريطانى الذى عقد فى عام ١٨٩٠ حصلت فرنسا بمقتضاه على الأراضى الواقعة جنوب البحر المتوسط من ساى على النيجر حتى بارواة على بحيرة تشاد . وكان معنى هذا الاتفاق أن أراضى موريتانيا اعترفت بها بريطانيا كمناطق نفوذ تابعة لفرنسا ولذلك ضمنت فرنسا بأن الاستيلاء على موريتانيا لن تواجهه أى مشاكل من قبل الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا [٧١١] ولذلك توالت البعثات الكشفية على موريتانيا ولعل أهمها بعثة كوبولانى التى أرسلت فى أواخر القرن التاسع عشر . فقد قام كوبولانى بعدة رحلات إلى المنطقة الأولى ١٨٩٨ والثانية ١٨٩٩ حيث تنقل خلالها فى موريتانيا ونجح فى الوصول إلى تمبكتو [٧١٢] وترجع أهمية رحلات كوبولانى إلى أنها نبهت الحكومة الفرنسية

---

(٧١٠) Poulet, G. : op. cit, pp. 157 – 158.

(٧١١) Knapp, W. : op. cit, p. 238 .

(٧١٢) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 255 .

ووزارة المستعمرات لأهمية ضم موريتانيا [٧١٣] فحتى عام ١٩٠٠ كانت الحكومة الفرنسية مشغولة بحملاتها فى غرب أفريقيا وفى تشاد لتدعيم سيطرتها على المناطق التى استولت عليها [٧١٤] وكان الفرنسيون لايفكرون فى احتلال الصحراء الواقعة شمال السنغال لاعتقادهم بأن نفقات الاحتلال لاتساوى هذا الإقليم الضحل ولذلك جاء استعمار موريتانيا متأخراً عن استعمار فرنسا لباقى مناطق غرب أفريقيا ، ولكن الفرنسيون أثناء حربهم مع ساموري عاشوا فى توتر وخوف من أن ينتهز الموريتانيون الفرصة لشن الإغارات على نهر السنغال ولذلك كونوا حراسة قوية على حدود الصحراء [٧١٥] ففى أول يوليو ١٩٠٠ كتب مدير نيورو الواقعة على نهر النيجر بأن الفرنسيين دعموا سيطرتهم على الضفة اليمنى لنهر السنغال . وتم إنشاء ثلاث مراكز عسكرية فى السنغال المركز الأول على بعد ٨٠ كم من باقل وقد أتاح هذا المركز السيطرة على الطرق المؤدية إلى تجانت حيث تعبره القوافل المتجة إلى السودان والعائدة من باقل . كما أتاح هذا المركز للفرنسيين مراقبة قبائل سيدى محمود أما المركز الثانى فهو فى شمال بحيرة Aleg على بعد ٧٠ كم من نهر السنغال وهو يقع بالقرب من أواد Ouad حيث الأراضى الخصبة وقد أتاح هذا المركز السيطرة على كل من البراكنة والدويش ومراقبة تحركاتهم . أما المركز الثالث والأخير فقط أنشىء شمال كايور على بعد ٥٠ كم من داجنا وأتاح السيطرة على الترارزة وقد دعمت هذه المراكز الثلاث بالحاميات العسكرية وفرق من الرماة والجنود [٧١٦] .

وبوصول كوبولانى إلى السنغال عرض مشروع احتلال موريتانيا على الحاكم العام لغرب أفريقا ولكنه عارض المشروع كما عارضه التجار الفرنسيون الذين كانوا يفضلون بقاء موريتانيا بعيدة عن السلطة الفرنسية حتى يحتكروا تجارة الصمغ ويحددوا سعره دون تدخل من حكومتهم . كذلك لم تلق الفكرة ترحيبا من وزارة الخارجية الفرنسية لاعتبارات دبلوماسية فلم تجد الوزارة فى ضم موريتانيا ما يساوى ويعادل غضب كل من انجلترا وألمانيا وأسبانيا الذين كانوا يطالبون بحقوق فى المغرب فى مناطق غير محددة ولم يكن يعرف فيما إذا كانت هذه المناطق تشمل موريتانيا أو جزء منها . وقد ظلت فرنسا مشغولة

---

(٧١٣) Guernier, E. : op. cit, Tome I P. 80.

(٧١٤) Crowder, M. : op. cit, Colonial P. 107 .

(٧١٥) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٢ .

(٧١٦) Poulet, G. : op. cit, P. 168 .

عن منطقة موريتانيا حتى ١٩٠٥ ، وذلك لأن اهتمامها الأكبر إنما كان بالمغرب فعقدت الاتفاق الودى مع بريطانيا سنة ١٩٠٤ ، ثم الاتفاق الفرنسى الأسبانى . وركزت فرنسا بذلك جهودها على المغرب للاستحواذ عليه . أما فى غرب أفريقيا فقد انطلقت من السنغال نحو المناطق الداخلية كذلك اتخذت من سواحل غينيا قاعدة للانطلاق نحو الداخل [٧١٧] . ولكن رغم تجاهل الحكومة الفرنسية لمنطقة موريتانيا ، إلا أن كوبولانى أصر على لفت نظر حكومته إلى هذه المنطقة ولم ينتابه اليأس فطلب مقابلة رئيس الوزراء الفرنسى فالداك روسو ونجح فى إقناعه بمشروع احتلال موريتانيا . وفى أكتوبر ١٩٠٢ صدر المرسوم التنظيمى العام لأفريقيا الغربية وفيه تم تعيين كوبولانى حاكما على موريتانيا [٧١٨] .

كان كوبلانى على دراية كبيرة بأحوال المسلمين فى موريتانيا ، وقد أتقن اللغة العربية واطلع على العادات والتقاليد الإسلامية [٧١٩] ، ولذلك فقد عين ١٩٠٣ فى وظيفة مفوض فى الأراضى المدينة الموريتانية Territoire Civil de la Mauritanie [٧٢٠] ، وخلال فترة إقامته فى المنطقة وطد علاقته مع المسلمين وزعمائهم وزعماء الطرق الصوفية ، وقد كتب كوبولانى تقريراً أوضح فيه بأن سوء العلاقات بين الفرنسيين والموريتانيين راجع إلى أخطاء المترجمين السود الذين لا يجيدون الترجمة الدقيقة ، كما أن الفرنسيين لا يحاولون تفهم عقلية الزنوج . وقد وطد كوبولانى علاقته بالشيخ سيديا زعيم الطائفة القادرية مقابل ضمانات خاصة . وكان كوبولانى هو أول من مهد للسيطرة الفرنسى على القبائل الموريتانية بفضل تعامله معهم [٧٢١] .

يمكن تقسيم الاحتلال الفرنسى لموريتانيا إلى ثلاث مراحل - المرحلة الأولى فيما بين عامى ١٩٠٠ - ١٩٠٥ ويصفها المؤرخون بأنها مرحلة التغلغل السلمى حيث يعرفها الموريتانيون بأنها بداية عهد السيطرة غير المباشرة ، المرحلة الثانية بين عامى ١٩٠٥ - ١٩١٤ وهى مرحلة الإخضاع العسكرى بقيادة جورو - المرحلة الثالثة ١٩١٤ - ١٩٣٤ وتتسم

---

(٧١٧) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (المغرب) ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٧١٨) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٢ .

(٧١٩) Crowder, M. : op. cit, Colonial P. 107.

(٧٢٠) شملت الأراضى المدينة الموريتانية كل من :

Brakna – Kroufa – Trarza – Sehouteima – Nouakchott – Boutilimit - Aleg .

(٧٢١) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٢ .

بأنها تأمين للاحتلال وتصفية لجيوب المقاومة لاسيما قبيلة الرقيبات التى التجأت إلى الصحراء الغربية التى كانت خاضعة للنفوذ الأسبانى .

أما عن المرحلة الأولى وهى مرحلة التغلغل السلمى من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٥ ، فقد بدأت بقدوم كوبلانى إلى المنطقة وقد أقنع رئيس الوزراء الفرنسى بضرورة احتلال موريتانيا وتم وضع لجنة لدراسة خطة ربط الجزائر بمستعمرات فرنسا فى غرب أفريقيا وكان لابد من وضع يد فرنسا على موريتانيا . وقد جاء فى تعليمات رئيس الوزراء الفرنسى بأنه ينبغى تحقيق هذه الأهداف بأقل النفقات ودون إثارة أزمات دبلوماسية [٧٢٢] .

ورغم أن هذه المرحلة اتسمت بالتغلغل السلمى إلا أن هذا لم يمنع من حدوث بعض الاضطرابات فقد رفضت القبائل الخاضعة لأحمد سالوم احترام الاتفاقيات المبرمة مع فرنسا فأرسلت إليه حملة بقيادة دولابلين Delaplane أجبرت أحمد سالوم على إعلان الحماية الفرنسية على بلاده [٧٢٣] .

كذلك احتجزت القبائل الموريتانية إثنين من العلماء الفرنسيين أرسلا فى بعثة علمية إلى إطار عاصمة ادرار وهما جيونو جمبتا Juinot Gambetta وبول بلانشيه Paul Blanchet ولم يفرج عنهما إلا بعد وساطة الشيخ سعدبوه أحد زعماء الطرق الصوفية وقد تبين بعد هذه الحوداث بأن توقيع المعاهدات والاتفاقيات مع الزعماء الوطنيين لا يكفى لتأمين البلاد أو تأمين عمل البعثات والتجار الفرنسيين [٧٢٤] .

وجدير بالذكر أن كوبولانى فور تعيينه ١٩٠٣ عقد معاهدة حماية مع كل من أمير الترارزة والبراكنة ولذلك أغراه هذا النجاح بأن يواصل خططه فى التوسع فيما وراء هاتين الأمارتين فى إقليمى إدرار وتجانت علما بأنه لم يكن قد وضع خطة احتلال شاملة للامارتين بل كان يكتفى بإقامة مراكز عسكرية متناثرة فأقام أولا المراكز كما أنه اختار موقع ميناء ليكون مركزاً لمصايد الأسماك فوقع اختياره على نواذيبو التى اشتهرت باسم بورت ايتين . وقد اختلفت الأوضاع فى تجانت وإدرار عنها فى مناطق الترارزة والبراكنة فقد اصطدم الفرنسيون هناك بمقاومة عنيفة وظهر الكثيرون من أبطال المقاومة من أمثال

---

(٧٢٢) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٣ .

(٧٢٣) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV. p 257.

(٧٢٤) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤ .

أحمد بن الديد ولد عساس وبكار ولد اسوف أحمد وسيدى أحمد ولد عيده وقد نجحت هذه المقاومة الوطنية فى أن تضع أمام التقدم الفرنسى حداً ، وقد دفع كوبولانى حياته ثمنا لتدخله فى المنطقة فقتل أثناء ذهابه فى فرقة استطلاعية فى المنطقة بالقرب من تيجيقجة حيث هاجمه جماعة من الموريتانيين من طرف فرق مولاى الزين الصغير وذلك فى شهر مايو ١٩٠٥ وقد اعتبر هذا الحادث نهاية لمرحلة التغلغل السلمى (٧٢٥) .

وبعد مقتل كوبولانى أعلن أمير الترارزة عدم قبوله للمعاهدة التى وقعها مع كوبولانى ثم غزا تجانت وحاصر الحامية الفرنسية فى تيجيقجة فتدخلت المغرب وطلبت من فرنسا ترك تجانت (٧٢٦) .

يلاحظ أن بوليه Poulet فى كتابه عن موريتانيا يؤكد دائما بأن معظم القبائل الموريتانية كانت تريد الانضواء تحت الحماية الفرنسية ، ولكنها كانت تخشى إغارات وانتقام بقية القبائل ، كما أكد بأن معظم هذه القبائل فضلت الخضوع للنفوذ الفرنسى وأكد هذه الفكرة أيضا المسيو روليه Relhié المدير الفرنسى لمركز سكولو الذى كتب بأن سكان منطقة ولاته كانوا يرغبون فى الخضوع للحماية الفرنسية واستدل على رأيه بإرسال شريف ولاته ابنه إلى سوكولو من أجل التفاوض على إنشاء هذا المركز (٧٢٧) ولكن فى الواقع من الصعب التأكد والتشبث من هذا الرأى فقد تكون بعض القبائل الموريتانية قد قبلت الحماية الفرنسية لتحقيق حماية لنفسها ولمصلحة لها . ولكنها سرعان ما تعلن رفضها لهذه الحماية كما حدث من قبائل الترارزة . كذلك لا يمكن تقبل هذا الرأى لسبب هام ألا وهو ثورة هذه القبائل المستمرة واستمرار مقاومتها للقوات الفرنسية . فإذا كانت راغبة حقا فى الانضواء تحية الحماية الفرنسية فما الذى يدفعها الثورة والتمرد .

أما عن المرحلة الثانية من مراحل الغزو الفرنسى ١٩٠٥ - ١٩١٤ فيلاحظ أنه بعد اغتيال كوبولانى خلفه فى المنطقة قائد عسكرى آخر وهو مونتانيه كاب دوبوسك Montané Capdeboncq الذى وصل إلى تيجيقجة وعمل على تنظيم المنطقة والقضاء على الاضطرابات فيها (٧٢٨) .

---

(٧٢٥) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٤ .

(٧٢٦) Crowder, M : op. cit, Colonial p. 107.

(٧٢٧) Poulet, G. : op. cit, PP. 161 - 162.

(٨٢٨) Hauotaux, G. : op. cit, Tome IV P. 321.

وقد ظهرت عدة آراء حول مستقبل المنطقة فظهر اتجاه بالإنسحاب منها وسحب المواقع التى أنشئت لدى الترارزة والبراكنة ولكن أنصار التوسع العسكرى رفضوا هذه الخطة وذلك لأنها ستؤدى إلى جمع شمل القبائل الموريتانية تحت لواء زعماء المقاومة مما يشكل خطرا على السنغال وقد أخذت الحكومة الفرنسية برأى العسكريين وعملت على تنفيذه [٧٢٩] .

أما القائد مونتانيه فقد كلف بالبحث وتقصى الحقائق حول مقتل كوبولانى وعلم بأن زميله قد قتل بتحريض من الشيخ ماء العينين Ma El Ainine وهو زعيم دينى له نفوذ فى منطقة أدرار استقر فى الساقية الحمراء فى الأراضى الأسبانية وقد ساعده فى قتل كوبولانى أحمد ولد عيد حاكم ادرار [٧٣٠] وقد لجأ الشيخان إلى سلطان مراكش مولاى عبد العزيز يطلبان مساعدته ضد التدخل الفرنسى فأرسل السلطان ابن عمه إدريس من أجل بحث الوضع فى المنطقة وذلك فى ٦ أكتوبر ١٩٠٦ وقابل مبعوث السلطان مولاى إدريس الكابتن تيسو Tissot قائد حصن تيجيقجة وطلب منه باسم سلطان المغرب إخلاء تجانت ولكن تيسو لم يستمع إليه فتحرك مولاى إدريس نحو تجانت للاستيلاء عليها ، فأرسل تيسو قوة من الرماة السنغاليين بقيادة كل من الملازم اندريو Andrieux وفرانسو Franssu فى ٢٤ أكتوبر للتصدى لقوات مولاى إدريس الذى تحرك وشن هجوما جنوب تيجيقجة حتى وصل نيملان Niémelane الواقعة جنوب تيجيقجة وقتل كلا من الملازم اندريو وزميله فرانسو . وقد بادرت إدارة السنغال بإرسال نجدة سريعة بقيادة الملازم ميشار Michard . ثم حدث أن استولى مولاى عبد الحفيظ علي السلطة فى المغرب من السلطان عبد العزيز فكلفت الحكومة الفرنسية المندوب الفرنسى فى فاس بالاعتراض لدى السلطان الجديد على تصرفات أولاد عمه وتحريضهم للقبائل الموريتانية [٧٣١] . كذلك احتج القنصل الفرنسى فى المغرب على إرسال المساعدات إلى ادرار ولكن السلطان عبد الحفيظ وعد ببحث الأمر والتحقيق فيه . وفى الوقت نفسه أرسلت تعليمات مشددة من الإدارة الفرنسية فى السنغال بعدم قيام الضباط الفرنسيين بأية مغامرة عسكرية فى منطقة إدرار والاكتفاء بالمواقع الحالية [٧٣٢] .

---

(٧٢٩) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٤ .

(٧٣٠) تؤكد المصادر المغربية مساعدة سلاطين المغرب للقبائل الموريتانية .

(٧٣١) Hanotaux, G. · op. cit, Tome IV pp. 321 - 322

(٧٣٢) صلاح ، العقاد . المرجع السابق موريتانيا ، ص ٤٥ .

وهكذا بدأ العداء بين فرنسا والشيخ ماء العينين والذى اتهمته السلطات الفرنسية بالتحريض على قتل كوبولانى . وقد ولد الشيخ ماء العينين فى ولاته واستقر فى الساقية الحمراء جنوب مراكش وهو ابن محمد فاضل - أحد المصلحين الدينيين وسرعان ما أصبح للشيخ ماء العينيين مكانة كبيرة وقد اتصل بسلطان المغرب وحصل على تأييده ضد نسيين واعتقدت القبائل الموريتانية بأن سلطان مراكش سيقف معهم ضد الفرنسيين ، فقد استمروا فى الإغارة على شواطىء السنغال وسببوا المتاعب للادارة الفرنسية فيها م أصيبوا بخيبة أمل بعد تخلى سلطان مراكش عنهم [٧٣٣] فعندما احتل الفرنسيون ة وإقليم الشاوية فى المغرب اضطر السلطان إلى التوقف عن مساعدة وتأييد القبائل ريتانية الثائرة [٧٣٤] .

أصبح للشيخ ماء العينين سيطرة روحية وعسكرية على المنطقة الصحراوية الواقعة فى شمال موريتانيا وجنوب المغرب ، واعتنق الطريقة الفاضلة التى أسسها والده محمد الفاضل وهى فرع من فروع القادرية . وقد استقر الشيخ فى الساقية الحمراء منذ ١٨٨٤ حيث عمل على محاربة الفرنسيين والتصدى لمطامعهم فى منطقة إدرار ويلاحظ أن الشيخ ماء العينين تلقى مساندة من بعض القوى الأجنبية إذ كانت السفن الألمانية والأسبانية واليونانية وغيرها تزوده بالأسلحة والذخيرة كذلك راجت الإشاعات حول اتصاله بألمانيا التى كان لها توغل اقتصادى معروف فى مراكش ، كذلك اتصاله بالسلطان العثمانى مما أزعج السلطات الفرنسية [٧٣٥] .

فى عام ١٩٠٧ أصبح الكولونيل جورو مفوضا فى المنطقة وكان من أنصار التوسع العسكرى ولذلك رأى ضرورة الاستيلاء على تجانت ولذلك بنى حصنا فى Akjoucht فى عام ١٩٠٨ ، وقد أثار بناء هذا الحصن أحمد ولد عيدا فقام بتهديد الحصن وأغار عليه . وفى ٨ ابريل أرسل ماء العينين قواته فهاجمت الفرنسيين فى Damane جنوب حصن اكجوشن وأعلن الشيخ حسان أحد أبناء ماء العينين الجهاد ضد الفرنسيين والمسلمين المتعاونيين معهم وقام أتباعه بقطع خطوط البرق ، واستمرت قوات الشيخ حسان فى مهاجمة الفرنسيين

---

(٧٣٣) Suret - Canale, J. L'AFrique Nonire Occidentale. (Paris 1961), P 124.

(٧٣٤) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٥ .

(٧٣٥) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

والاعتداء عليهم ، واشتدت الاشتباكات بين أتباع ماء العينين حتى بلغ عدد القتلى من ١٦ مارس ٦ ديسمبر ١٩٠٨ وهم ١٤٢ قتيل فى ١٢٥ اشتباك [٧٣٦] .

وكان لابد لفرنسا من اتخاذ خطوات حاسمة للقضاء على هذا الوضع ، فتم أختلال إدرار حيث تركزت المقاومة ضد الفرنسيين فأرسل جورو حملة ١٩٠٨ ، لاحتلال المنطقة [٧٣٧] وقد وصلت الحملة إلى Moudjeria فى أوائل ديسمبر ١٩٠٨ وتكونت من ٢٤ ضابطاً ، ٤٤ من رجال المدفعية وألف مقاتل ودامت الحملة عشرة أشهر من ديسمبر ١٩٠٨ حتى اكتوبر ١٩٠٩ ، وتعرضت الحملة للهجمات من الشمال والجنوب فهاجمها الطوارق فى الشمال والموريتانيين من الجنوب وتكلفت فرنسا خسائر فادحة . واستولت القوات الفرنسية على إطار عاصمة إدرار وتراجعت قوات ماء العينين لتعيد تنظيم نفسها استعداداً لشن هجوم جديد ، وتركزت القوات فى Idjil ولكن جورو كون حملة من ٥٠٠ رجلا وترك إطار واستعد للهجوم على ماء العينين مرة ثانية فاضطر إلى الهرب إلى ريودى أورو [٧٣٨] .

ورغم هزيمة ماء العينين إلا أنه استمر فى الجهاد فلقب نفسه سلطانا وسار إلى فاس على رأس حملة . وتغلب على القائد الفرنسى فى تادلة فى ٢٣ يونيو سنة ١٩١٠ ولكنه توفى فى أكتوبر من نفس العام [٧٣٩] .

عمل الفرنسيون على تنظيم البلاد فقام الملازم بانيه Panet بإرسال بعثة لدراسة منطقة هضبة إدرار وفى ١٩١١ أرسلت حملة استولت على Tichit الواقعة شرق تاجنت وتم أسر أحمد ولد عيداً أمير إدرار والذى سبب للفرنسيين الكثير من المتاعب [٧٤٠] .

ويرجع سبب تركيز الحملات الفرنسية على منطقة إدرار أنها كانت مركز تجمع القبائل الموريتانية التى كانت تغير على السنغال ثم تتراجع سريعا متخذه من إدرار مركزاً للحماية بالإضافة إلى أن فرنسا أرادت القضاء على المقاومة الوطنية التى تزعمها أحمد ولد عيدا [٧٤٠] .

---

(٧٣٦) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV pp. 322 - 323.

(٧٣٧) Suret - Canale, J. : op. cit, p. 124.

(٧٣٨) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 324.

(٧٣٩) صلاح العقاد : المرجع السابق موريتانيا) ص ٤٦ .

(٧٤٠) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 324.

(٧٤١) Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

خلف الهيبة El Hiba ولده ماء العينين وعمل هو الآخر على مقاومة الفرنسيين واستمر فى هجومه على الحصون الفرنسية حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى [٧٤٢] وقد أعلن الهيبة نفسه سلطانا على المغرب فى مايو ١٩١٢ وحاول محاربة سلطان مراكش [٧٤٣] . وفى ١٨ أغسطس بدأ الهيبة وأتباعه يتقدمون نحو منطقة الشاوية ، كما تمكن بعض أتباعه من احتلال أغادير وتفاقمت حركة الهيبة بعد تنازل مولاى عبد الحفيظ فاتجهت إليه الأنظار ، يتكتلت حوله النفوس الوطنية ولجأ الفرنسيون إلى الدس بينه وبين أتباعه لإحداث بلبلة بى صفوفه ونجحوا فى الانتصار عليه فى ٧ سبتمبر ١٩١٢ بقيادة الكولونيل مونجان Mengin . ثم بدأوا فى تأمين مواصلاتهم بين فاس ومكناس والرباط [٧٤٤] ولكن الهيبة استمر فى ثورته ضد الفرنسيين ، وفى الإغارة على مراكزهم العسكرية كذلك عمل على معاقبة القبائل المتعاونة معهم فأغار عليهم وبالإضافة إلى مقاومة الهيبة استمرت مقاومة القبائل الموريتانية الأخرى فى كل من Tichitt و Gaeub الواقعة جنوب موريتانيا ورغم إلقاء القبض على كثير من زعماء القبائل مثل أحمد ولد عيدا أمير إدرار ، إلا أن المقاومة الوطنية استمرت طوال أعوام ١٩١٠ - ١٩١٣ وتصدى الكولونيل مونييه للقبائل الثائرة [٧٤٥] كذلك ظهر يد الأغدف بن ماء العينين وشقيق الهيبة فشن هجوماً على الفرنسيين جنوب المنطقة لأسبانية ريودى أورو فى اتجاه هضبة أورار واستطاع يد الأغدف تكبيد القوات الفرنسية الخسائر الفادحة [٧٤٦]

واستمرت المقاومة ضد الفرنسيين ففى عام ١٩١٣ ثار أهالى منطقة سمارة Samara الواقعة شمال موريتانيا فشنت القوات الفرنسية حملة ضد هذه القبائل واخترقت الحملة أقاليم مجهولة للفرنسيين ولكنها نجحت فى ملاحقة الثوار وتوقيع أشد العقوبات بهم [٧٤٧] .

ومما لا شك فيه أن السيطرة على سمارة كان له أثر كبير فى قمع حركة المقاومة فتم عقد معاهدة فى ١٩١٣ بين أمير إدرار ومندوب الحاكم الفرنسى العام فى موريتانيا تعهد فيها

---

(٧٤٢) Hanotaux, G. : op. cit, Tome IV p. 325.

(٧٤٣) Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

(٧٤٤) شوقى ، الجمل : المرجع السابق (المغرب) ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٧٤٥) Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

(٧٤٦) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٨ .

(٧٤٧) Guernier, E. : op. cit, Tome I p. 56.

الأخير بأن يستشير المندوب الفرنسى فى أموره وعلاقته مع الأمراء وأن يمتنع عن تحصيل الغرامات فى مقابل الحصول على مخصص سنوى قدره ثمانية آلاف فرنك [٧٤٨] .

وهكذا نلاحظ أنه خلال المرحلة الثانية من مراحل غزو موريتانيا اشتدت المقاومة الوطنية وهدد الثوار مراكش نفسها ولم تنجح فرنسا فى تدعيم سيطرتها العسكرية التامة على المنطقة ، ويرجع سبب تعثر الفرنسيين فى إخضاع شمال موريتانيا إلى أن الأسبان لم يسمحوا لهم بتتبع المسلمين الثائرين فى منطقة النفوذ الأسبانية فكثيراً ما كان زعماء المقاومة يلجأون إلى القسم الشمالى من الصحراء ويختبئون فيها ولكن بعد استيلاء فرنسا على المغرب وإعلان الحماية عليها عملت على إرسال الحملات العسكرية من الشمال الإفريقى كذلك أرسلت أيضا حملات عسكرية من السنغال للقضاء على مقاومة القبائل الموريتانية وحوصرت هذه القبائل بين الحملات المكثفة من السنغال فى الجنوب وحملات المغرب من الشمال[٧٤٩] .

أما المرحلة الثالثة لإخضاع موريتانيا فقد استمرت من ١٩١٤ حتى ١٩٣٤ ، واتسمت المقاومة الوطنية طوال هذه الفترة وخاصة من جانب قبائل الرقيبات وين دليم ورغم إعلان أولاد دليم استسلامهم للنفوذ الفرنسى فى عام ١٩١٨ كذلك استسلام أحد أبناء الشيخ ماء العينين عام ١٩١٩ إلا أن تعسف الإدارة الفرنسية وفرضها الضرائب على القبائل أدى إلى حدوث ثورة واضطرابات فى المنطقة لم تنقطع إلا بعد ١٩٣٤ [٧٥٠] .

أما عن تحديد الحدود بين موريتانيا والجزائر فقد امتد خط الحدود فى اتجاه مستقيم يلتقى فى رأسه الشمالى مع حدود الصحراء التى كانت تابعة لأسبانيا وفى رأسه الجنوبى حدود مالى . وقد وضعت فرنسا الحدود بين موريتانيا والجزائر عام ١٩٠٥ وبلغ طولها نحو ٣٠٠ ميل وتشمل منطقة تندوف . أما الحدود بين موريتانيا والصحراء الأسبانية فقد خططت بين فرنسا وأسبانيا عام ١٩٠٠ وتأكد ذلك فى معاهدة عام ١٩٠٤ . وقد انتهى الطرفان إلى تقسيم الصحراء ووضعا حدودا اصطناعية هندسية مستقيمة تتفق مع خطوط الطول والعرض وقد اتفقا على أن يكون الحد الجنوبى للنفوذ الأسبانى موازيا لرأس بلانكو بحيث يقسمه

---

(٧٤٨) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٨ .

(٧٤٩) Knapp - W. : op. cit, p. 238.

(٧٥٠) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٩ .

إلى قسمين ويمتد خط الحدود هذا بحيث تدخل مناجم الجل للملح ضمن موريتانيا ثم تمتد الحدود باتجاه شمالى شرقى حتى تقاطع خط طول ١٢ غربا مع مدار السرطان ، ثم تمتد نحو الشمال بشكل خط مستقيم مواز لخط طول ١٢ غربا حتى تقاطعه مع خط عرض ٢٧ شمالا ثم تتجه الحدود شمالا وبخط مستقيم حتى التقاء نقطة الحدود مع الجزائر عند خط طول ٨٤٥ غربا [٧٥١] .

وبالاستيلاء على موريتانيا حققت فرنسا حلمها وهدفها التوسعى واستكملت مخططاتها العسكرية وبدأت الخطوة التالية وهى تجميع مستعمراتها فى وحدة واحدة ليسهل عليها إدارتها وإحكام.قبضتها عليها .

(٧٥١) صلاح ، العقاد : المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

الفصل الخامس

إنشاء أفريقيا الغربية الفرنسية وإدارتها

١ - توحيد أفريقيا الغربية الفرنسية

٢ - سياسة الفرنسة والم

٣ - دور الزعماء المحلي

١ - توحيد أفريقيا الغربية الفرنسية :

ما كاد القرن التاسع عشر يصل إلى نهايته ، حتى كان الاحتلال الفرنسى لغرب أفريقيا قد أوشك على الاكتمال ، وكان من الصعب على الإدارة الفرنسية فى السنغال أن تدعم سيطرتها على تلك المساحة الشاسعة من الأراضى التى سيطرت عليها القوات الفرنسية ، والتى امتدت إلى المناطق الساحلية فتطلب الأمر توحيد المصالح الفرنسية فى المنطقة وإيجاد حكومة عليا تشرف وتدير المستعمرات كلها[٧٥٢] .

ولذلك ظهرت فكرة تجميع المستعمرات الفرنسية فى وحدات فيدرالية حتى تسهل عملية إدارتها والتحكم فيها ، وتكونت أفريقيا الغربية الفرنسية A. O. F. وافريقيا الاستوائية الفرنسية كوحدتين فيدراليتين وتكون الاتحاد الفيدرالى من عدة وحدات تخضع كل منها لحاكم يخضع بدوره للحاكم العام فى الاتحاد . ويمثل الأخير الجمهورية الفرنسية ، وهو المسئول الأول أمام وزير المستعمرات الفرنسى فهو الوسيط بين المستعمرات الفرنسية ووزارة المستعمرات وقد ساد فى كل هذه الوحدات نظام الحكم المباشر فيما عدا السنغال [٧٥٣] .

وجدير بالذكر أن أفريقيا الغربية الفرنسية تكونت بمقتضى أربعة مراسيم على النحو التالى :

أولا : مرسوم ١٦ يونيو ١٨٩٥ : حدد هذا المرسوم معالم أفريقيا الغربية الفرنسية ، وأعلن تكوينها تحت النفوذ الفرنسى ، كما تكونت بمقتضاه الحكومة العامة لغرب افريقيا ، وأوجد هذا المرسوم وظيفة الحاكم العام الفرنسى لغرب افريقيا كذلك وظيفة حاكم المناطق الساحلية للمستعمرات الذى كان يعمل كنائب للحاكم العام . وقد تمتع الحاكم العام بسلطات مطلقة ، فكان من حقه وضع ميزانية الاتحاد ، وله حق الاتصال المباشر مع وزارة

---

(٧٥٢) Adloff, R. : op. cit p. 160.

(٧٥٣) عبد الملك ، عوده : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

المستعمرات كذلك أصبح هو صاحب السلطة والمسيطر على المناطق الداخلية فى السودان كما كان عليه التنسيق بين المستعمرات الفرنسية وتوحيد سياستها [٧٥٤] .

ضم اتحاد أفريقيا الغربية الفرنسية كلا من السنغال وغينيا الفرنسية - السودان الفرنسى - ساحل العاج . ولم تكن داهومى ضمن هذا الاتحاد . ويمكن تعليل عدم انضمام داهومى إلى الاتحاد إلى أن المناطق الساحلية تمتعت خلال هذه الفترة بالاستقلال فى ميزانيتها بالإضافة إلى أن الحماية الفرنسية أعلنت على داهومى فى يناير ١٨٩٤ ولكن إخضاع المناطق الداخلية استغرق فترة طويلة ولذلك لم يكن الوضع قد استتب فيها بعد [٧٥٥] .

وقد تولى شودييه وظيفة الحاكم العام للاتحاد من عام ١٨٩٥ حتى ١٩٠٠ وباشر مهام منصبه من سانت لويس فى السنغال [٧٥٦] . وقد اختيرت سانت لويس باعتبار أن السنغال من أقدم المستعمرات الفرنسية . ولذلك كان الحاكم العام للاتحاد هو الذى يتولى أيضا إدارة مستعمرة السنغال وملحقاتها [٧٥٧] .

ثانياً : مرسوم ١٧ أكتوبر ١٨٩٩ : بمقتضى هذا المرسوم أصبحت داهومى ضمن نطاق الاتحاد . كذلك قسم السودان الفرنسى بين كل من غينيا الفرنسية والسنغال وساحل العاج ، وداهومى وتم تعيين حاكم على كل مستعمرة برتبة ملازم يتبع الحاكم العام للاتحاد ، وقد أعطى هذا المرسوم سلطات أوسع ونفوذ أكبر للحاكم العام [٧٥٨] .

وقد قسمت أراضى السودان الفرنسى إلى أربعة أقاليم كبرى هى :

الاقليم الأول : الإقليم الشرقى يضم باماكو - كيتا - سيجو - جنى .
الاقليم الثانى الساحلى ويضم نيورو - جومبو - سوكولو .

---

(٧٥٤) Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, pp. 437 - 438.
(٧٥٥) Cornevin, R. : op. cit., p. 370.
(٧٥٦) Hanotaux, G. : op. cit., Tome. IV, p. 315.
(٧٥٧) Suret - Canale, J. : op. cit., p. 117.
(٧٥٨) Hanotaux, G. : op. cit., p. 198.

الإقليم الثالث الشمالى والغربى ويضم كورى - بوبو ديولاسو - كوتيالا Koutiala - دورى - بورا Bourra كونج - جوروسا .

الإقليم الرابع الجنوبى ويضم سيجيرى - دينجويرى - كوروسا - بوجونا - كيسيد وجو - كمنكان - بيلا - توبا .

وضمت هذه الأقاليم إلى ساحل العاج وغينيا الفرنسية ولم يبق من السودان الغربى سوى منطقة ثنية النيجر التى أصبحت أراضى عسكرية مركزها تمبكتو [٧٥٩] .

ثالثاً : مرسوم ١٩٠٢ : بمقتضى هذا المرسوم أصبحت داكار هى العاصمة بدلا من سانت لويس ، كما أصبح على حاكم كل مستعمرة مقابلة الحاكم العام كل سنة لمناقشة ميزانية المستعمرة والإدارة العامة [٧٦٠] ، كذلك لم يعد الحاكم العام هو الذى يتولى بنفسه إدارة مستعمرة السنغال كما جمعت الأقاليم القديمة التى لم تندمج مع غينيا الفرنسية وساحل العاج وعرفت باسم أراضى سنغمبيا والنيجر ، وأصبح الاتحاد يتكون من السنغال - غينيا الفرنسية - ساحل العاج - داهومى [٧٦١] أراضى سنغمبيا والنيجر [٧٦٢] .

رابعاً : مرسوم ١٨ أكتوبر ١٩٠٤ : بمقتضى هذا المرسوم تدعمت سلطة الحاكم العام المالية ، وأصبحت ضرائب المستعمرات كلها تؤول إليه وأصبح عليه المشاركة فى تنمية اقتصاد الاتحاد والمشاركة فى الأشغال العامة مثل مد الخطوط الحديدية بناء الموانى ، وقد ساعد ذلك على تقدم اتحاد A. O. F. [٧٦٣] .

وبمقتضى مرسوم ١٩٠٤ أعيد للسودان الفرنسى حدوده القديمة باستثناء بعض المراكز فى الجنوب والتى ضمت إلى الساحل ولكن خوفا من عواقب نسمية السودان الفرنسى فضل الفرنسيون إطلاق اسم أعالى السنغال والنيجر على هذه المستعمرة Haut Senegal et Niger وأصبح السودان الفرنسى من جديد مستعمرة قائمة بذاتها وأعيدت له حدوده . كما أصبحت

---

(٧٥٩) Guernier, J. : op. cit., Tome I, p. 60.

(٧٦٠)

(٧٦١) لمزيد من التفاصيل عن المقاومة الوطنية فى ساحـ
ذهني - سياسة فرنسا التوسعية فى غرب افريقيا من منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى .

(٧٦٢) Hanotaux, G. : op. cit., p. 198.

(٧٦٣) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 175.

موريتانيا أراضى مدنية Territoire Civile ودخلت ضمن نطاق الاتحاد [٧٦٤] . وذلك لأن الفرنسيين نظروا إلى موريتانيا بإعتبارها حلقة اتصال بين أفريقيا والجزائر وازدادت أهميتها بعد الاتفاق مع أسبانيا على تخطيط حدود مناطق النفوذ ومع ذلك ظل الفرنسيون مترددون فى إلحاقها بأى من المستعمرات المجاورة وإن كانت الدلائل تشير إلى أنها ستنضم إلى مجموعة غرب أفريقيا وظلت موريتانيا تدار من سانت لويس حتى ١٩٥٨ وهو تاريخ بناء نواكشوط [٧٦٥] .

وبانضمام موريتانيا أصبح اتحاد A. O. F. يتكون من السنغال - غينيا الفرنسية - ساحل العاج - داهومى - أعالى السنغال والنيجر - موريتانيا [٧٦٦] .

وبمقتضى مرسوم ٧ سبتمبر ١٩١١ فصلت أراضى النيجر عن السنغال لتكون أراضى عسكرية تحت سيطرة ضابط فرنسى ، أما فولتا العليا فقد تكونت من الأراضى الداخلية لساحل العاج ، والأراضى التى اقتطعت من أعالى السنغال والنيجر فى عام ١٩١٩ [٧٦٧] .

وجدير بالذكر أن فرنسا لم تفكر فى ربط مستعمراتها وتكوين اتحاد A. O. F. قبل عام ١٨٩٥ ، رغم أن بريطانيا سبقتها فى هذه الخطوة إذ عملت على ربط مستعمراتها فى غرب أفريقيا منذ عام ١٨٩٠ ، واتخذت من فريتاون مركزاً لها وكان هدف بريطانيا من توحيد مستعمراتها لأسباب تجارية واقتصادية ولتسهيل عملية التبادل التجارى بين المستعمرات . أما فرنسا فلم تفكر فى توحيد مستعمراتها لعدة أسباب :

١ - لأن فرنسا سيطرت على منطقة كلها أنهار وطرق تجارية ، وأية محاولة لتركيز الإدارة كانت تحتاج لعدد كبير من القوات العسكرية .

٢ - كانت إدارة المستعمرات الفرنسية عام ١٨٩٤ تابعة لوزارة البحرية التى كانت عاجزة عن وضع إدارة سليمة وثابتة للمستعمرات الفرنسية .

٣ - كان هناك انقسام فى غرب أفريقيا فى الأراضى التى سيطرت عليها فرنسا فالأقاليم الساحلية لها تجارة مستقلة واقتصاد مستقل عن المناطق الداخلية .

---

(٧٦٤) Hanotaux, G. : op. cit., p. 198.

(٧٦٥) صلاح ، العقاد . المرجع السابق « موريتانيا » ، ص ٥٠ .

(٧٦٦) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 178.

(٧٦٧) Ibid., p. 178.

٤ - المقاومة العنيفة التى لقيها الفرنسيون فى المنطقة حالت دون ربط المستعمرات وتوحيدها . ولكن بعد التغلب على هذه المقاومة وإضعافها أمكن توحيد المستعمرات الفرنسية ، ولذلك تعاقبت المراسيم وتوالت على المنطقة حتى تم توحيدها [٧٦٨] .

ولإحكام السيطرة الفرنسية على المنطقة كان لابد من تنظيم القوات العسكرية الفرنسية العاملة فى غرب أفريقيا . وقد استغرق تكوين جيش خاص للمستعمرات الفرنسية أكثر من عشرين عاما ، لأن الساسة الفرنسيين لم يهتموا بإنشاء هذا الجيش ، فقد عارضت الكثير من الأصوات التصويت على الإعتمادات المالية اللازمة لإنشاء هذا الجيش ، فقد كان الرأى السائد أنه من الأفضل التركيز على جيش للدفاع عن فرنسا نفسها ، يكون هو الحارس للنظام الإجتماعى فيها بدلا من تشتيت الجهد بإنشاء جيش للمستعمرات . وقد تم أخيراً تكوين هذا الجيش فى عام ١٩٠٠ بعد محاولات عنيفة استمرت أكثر من عشرين سنة ، فى الوقت الذى كانت فيه قوات المستعمرات قد أتمت غزو غرب أفريقيا قبل تكوين هذا الجيش [٧٦٩] .

يلاحظ أن فرنسا اعتمدت على القوى الوطنية فى تكوين مختلف الفرق العسكرية فمنذ عهد فيدهرب أهتم بتشييد فرقة الرماة السنغاليين الذين لعبوا دورا هاما فى التوسع الفرنسى واستمر خلفاؤه من بعده على هذه السياسة ونادى مانجان سنة ١٩١٠ بضرورة الاعتماد على القوى السوداء فى المنطقة La Force Noire من أجل تقوية الجيش الفرنسى ، وقد طبق ذلك خلال الحرب العالمية الأولى ففى سنة ١٩١٧ تم تجنيد حوالى خمسين ألفا من سكان غرب أفريقيا للخدمة فى الجيش الفرنسى ومساعدته [٧٧٠] .

ويمكننا القول بأن نظام الحكم الفرنسى فى أفريقيا اتخذ شكلا هرميا ففى القمة وزير المستعمرات وهو عضو من أعضاء الحكومة الفرنسية ، يليه الحاكم العام وهو الحاكم العام للمستعمرات ومقره داكار ، ثم زعماء القرى فى ذيل القائمة [٧٧١] .

---

(٧٦٨) Ajayi, J. : op. cit., Vol. II, pp. 435 - 436.

(٧٦٩) Forstner, K. : op. cit., p. 387.

(٧٧٠) Deschamps, H. : op. cit., Tome II, p. 387.

(٧٧١) Fage, J. : op. cit., p. 169.

تكونت وزارة المستعمرات عام ١٨٩٤ وكانت المستعمرات تتبع من قبل لوزارة البحرية ثم خضعت لإشراف وزارة التجارة وقد تمتع وكلاء وزارة المستعمرات بنفوذ كبير، فقد وكلت إليهم أمور المستعمرات فى غرب أفريقيا ، وإذا جاز لنا أن نتساءل عن سبب تزايد هذا النفوذ سنجد أن عزلة السودان جعلته بعيداً عن المجرى الرئيسى للسياسة العليا مما أدى إلى تقليل الحاجة للإشراف عليه [٧٧٢] .

وقد تولى منصب وكيل المستعمرات عدد من الشخصيات البارزة مثل فليكس فور - أوجينى ايتيان - دلكاسيه ، وكانوا جميعا من أنصار التوسع العسكرى [٧٧٣] .

وكان لوزارة المستعمرات مجلس أعلى للمستعمرات استبدل به المجلس الأعلى لشئون فرنسا فيما وراء البحار وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - المجلس الاستعمارى ويتكون من وزراء المستعمرات السابقين وحكام المستعمرات السابقين وممثلين من وزارة الخارجية والحربية والبحرية .

٢ - المجلس الاقتصادى .

٣ - المجلس التشريعى .

وكانت الأوامر الصادرة للمستعمرات تصدر من قبل الحكومة الرئيسية فى باريس وإن كان تفاصيل تطبيقها تترك لحكام المستعمرات فيصدرونها بأوامر محلية .

أما الشئون المالية فقد تدخل فيها البرلمان الفرنسى كذلك المشاريع الداخلية التى يتطلب تنفيذها مساعدة من الحكومة الفرنسية كان من حق البرلمان الفرنسى الإشراف عليها [٧٧٤] .

جدير بالذكر أنه إذا كانت الحكومة الفرنسية قد حرصت على تنظيم المستعمرات بتكوين وزارة خاصة لها وبإصدار عدة مراسيم حدد من خلالها المستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا إلا أن هذا لا ينفى وجود بعض الهيئات الاستعمارية التى عملت على تدعيم

---

(٧٧٢) Forstner, K : op. cit., p. 68.

(٧٧٣) Crowder, M. : op. cit., Colonial, p. 76.

(٧٧٤) زاهر ، رياض : المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٧ .

السيطرة الفرنسية الاستعمارية فى المنطقة مثل المدرسة الاستعمارية التى يرجع الفضل فى تأسيسها إلى أوجين ايتيان وكان الغرض منها تخريج عدد من الشباب الفرنسى القادر على العمل فى إدارة المستعمرات ، وكان طلاب هذه المدرسة يتلقون تدريباتهم فى المراكز الاستعمارية ، وفى عام ١٩٠٧ تخرج حوالى ٤٨٩ من هذه المدرسة منهم الضباط والموظفين ، كما دربت هذه المدرسة صغار الضباط وكان خريجوها قادرين على أداء مختلف الوظائف القضائية والإدارية ونظراً لتوسع فرنسا فى غرب أفريقيا فى مناطق مختلفة الثقافات والديانات ، لذلك كان لابد لطلاب هذه المدرسة من دراسة مختلف الثقافات ، لكى يتمكنوا من العمل فى أى مكان ولم تقتصر هذه المدرسة على تخريج دفعات صالحة للعمل فى إدارة المستعمرات الإفريقية فقط وإنما خرجت كوادر كثيرة لإدارة مستعمرات فرنسا فى الهند الصينية ، وغيرها من المناطق (٧٧٥) .

ورغم جهود الحكومة الفرنسية فى المنطقة ، إلا أنه تكونت بفضل الجهود الفردية عدة هيئات اهتمت بمنطقة غرب أفريقيا ، وكان لها دور هام فى تاريخ الاستعمار الفرنسى ومن هذه الهيئات لجنة أفريقيا الغربية الفرنسية Comité de L'Afrique Française التى تأسست عام ١٨٩٠ وكانت رمزاً للاستعمار الحقيقى وأصدرت اللجنة مجلة شهرية تحوى معلومات هامة عن القارة الإفريقية كما أن أعضائها المؤسسين لها من ذوى الميول التوسعية ففى ١٨ نوفمبر ١٨٩٠ أصدرت اللجنة بياناً حددت فيه أهدافها جاء فيه « نحن نشهد أن تقسيم أفريقيا قد تم بواسطة أمم أوروبية متحضرة وفى هذا التقسيم حصلت فرنسا على أكبر نصيب ، ولكنها تركت حقوقها فى شرق أفريقيا ، وبفضل جهود فرنسا تأكد وجودنا فى الجزائر وتونس والسنغال والكونغو ، وبمقتضى الاتفاق الفرنسى البريطانى ١٨٩٠ تقررت وحدة السنغال والجزائر عبر الصحراء . كما أعطانا الاتفاق بحيرة تشاد أيضا التى سنصل إليها عبر الكونغو . ولا بد لنا من إتمام الوحدة عبر السودان من الكونغو الفرنسى إلى السنغال والجزائر وتونس .

لقد قررنا تكوين لجنة من أهم مهامها تنمية النفوذ الفرنسى فى غرب أفريقيا ووسط وشمال أفريقيا ، وهذه اللجنة لها نشاطها الخاص ولا علاقة لها بأى مشروع فى العالم ومن أهم أهدافها مد النفوذ الفرنسى دون تحميل الدولة أى مسئولية (٧٧٦) .

---

(٧٧٥) Gann, L. : op. cit., Vol. I, p. 172.

(٧٧٦) Hanotaux, G. : op. cit., pp. 180 – 183.

لقد تكونت اللجنة من عدد كبير من الشخصيات وكان من بينهم وزراء وقواد عسكريون ، وأعضاء الجمعية الجغرافية ، وأعضاء من البرلمان الفرنسى وغيرها من الشخصيات ، وقد عملت اللجنة على وحدة السواحل حول بحيرة تشاد ، والربط بين ممتلكات فرنسا فى السودان الفرنسى والجزائر وتونس والكونغو ، وقد أسندت هذه اللجنة إلى بول كراميل القيام ببعثة فى المنطقة الواقعة بين الكونغو وبحيرة تشاد لاستطلاع المنطقة ، وقامت بتمويل هذه الحملة دون الاعتماد على الحكومة الفرنسية .

وجاء فى بيان اللجنة بأن الغرض من البعثة خدمة النفوذ الفرنسى دون تكبيد الحكومة أية مصاريف أو تحملها لأية مسئوليات ولعبت هذه اللجنة دوراً كبيراً فى تاريخ الاستعمار الفرنسى [٧٧٧] .

٢ - سياسة الفرنسة والمشاركة :

بلغت مساحة المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا ضعف مساحة المستعمرات البريطانية فتبلغ مساحة أفريقيا الغربية الفرنسية حوالى ١,٨٥٠,٠٠٠ ميل مربع وتغطى أفريقيا الإستوائية الفرنسية حوالى مليون ميل مربع آخر ، وامتدت المستعمرات الفرنسية فى غرب أفريقيا من داكار غربا حتى بحيرة تشاد شرقا ، ومن الصحراء شمالا حتى خليج غينيا جنوبا ، طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من ٢٠٠٠ ميل ومن الشمال للجنوب حوالى ١٥٠٠ ميل ، ورغم امتداد المستعمرات الفرنسية فى هذه المساحة الشاسعة من غرب أفريقيا ، إلا أنّ فرنسا أرادت رغم اتساع هذه المساحة أن تصبغ المنطقة بالصبغة الفرنسية [٧٧٨] وبذلك فرضت فرنسا على المنطقة ما عرف بسياسة الفرنسة أو الإندماج Assimilation [٧٧٩] والتى كان معناها صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية ، وفرض الثقافة والتقاليد والنظم الفرنسية وتشرب الأفارقة الثقافة الفرنسية ، وانقطاع كل صلة لهم بتاريخهم القومى وحضارتهم الإفريقية ومقوماتها ، ثم تشرب الثقافة الفرنسية والارتباط تاريخياً واجتماعياً وسياسياً بالأم الكبرى فرنسا [٧٨٠] .

---

(٧٧٧) Forstner, K. : op. cit., pp. 192 – 193.

(٧٧٨) صلاح ، صبرى : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٧٧٩) أطلق عليها بعض الكتاب لفظ الاستيعاب .

(٧٨٠) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، تاريخ كشف ، ص ٥٢٧ .

لقد اعتقد الفرنسيون أن أعظم منة ومنحة يقدمونها للأفارقة فى المستعمرات هى ثقافتهم ولغتهم ونظمهم ومبادئهم وقيمهم ، وهذا الاعتقاد ينبع من اللهفة التاريخية التى انتابت فرنسا عقب الثورة الفرنسية ، فبعد الثورة وجد الساسة الجدد أن المستعمرات فى ذلك الوقت تخضع لعمليات دمج كاملة فى النظم والإدارة والقانون فارتبط هذا الواقع العملى فى أذهانهم بالأساس الفلسفى للثورة ، هذا الأساس هو المساواة والحرية والإخاء والتحرر ، أى أنه ما دام الناس متساويين وأن طريقهم جميعا هو طريق الحرية والإخاء فمن واجب فرنسا والفرنسيين أن يعملوا على إزالة كل تفرقة أو تباين بين المجتمعات فى سبيل إقرار الكرامة الإنسانية وانتصار مبادىء الثورة . ويلاحظ أن الفرنسيين اعتقدوا أنهم أصحاب رسالة إنسانية يجب عليهم حملها وتبليغها إلى الناس وزادت عقدة الاستعلاء عندهم بعد أن حاربتهم أوربا ورفضت مبادئهم ، فتزايد إيمانهم بمعتقداتهم وتعقدت نفسيتهم حتى اعتقدوا أنه لا توجد مبادىء ولا نظم تفضل مالديهم وأنهم يمثلون دور الأنبياء ، وما عليهم إلا المثابرة ولكن المهم أن هذا الإيمان الفلسفى العميق الذى انتاب الساسة الفرنسيين بعد الثورة ، أصبح أداة للتوسع الاستعمارى وغزو أراضى أفريقيا ، والتبرير الذى يقدمه الساسة الفرنسيون أنه يجب على أهالى المستعمرات معرفة مآثر ومحاسن النظم الفرنسية ، وأن كل تقدم ورقى يصيبهم لن يأتى إلا عن طريق الثقافة واللغة الفرنسية [٧٨١] .

ولذلك عندما استكملت فرنسا توسعها فى غرب أفريقيا عملت على إدماج الأقاليم إدماجا كاملا مع فرنسا ، وربطها فى وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية واحدة ولذلك حاربت فرنسا الثقافات الإفريقية ، وظهرت فى المنطقة النعرة الفرنسية ، ونشرت فرنسا بين الأفارقة بأن ثقافتها أسمى الثقافات وأفضلها وأن مهمتهم التى خلقوا من أجلها هى حمل هذه الثقافة إلى العالم [٧٨٢] .

لقد اعتبرت فرنسا أن واجبها الثقافى يحتم عليها إحلال الأمن فى المنطقة وقد كتب أوجين جرنيه Eugéne Guernier بأن واجب فرنسا ألا تقف ساكنه وهى ترى الأفارقة يقتلون ويذبح الآلاف منهم ، وأن لفرنسا واجب إنسانى وهو منع هؤلاء الأفارقة من إراقة الدماء ، وتخليصهم من تجارة الرقيق ، وإحلال السلام والعدالة فى المنطقة من أجل تحسين

---

(٧٨١) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٥

(٧٨٢) صلاح ، صبرى : المرجع السابق ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

أوضاع السكان وإدخال الحضارة الفرنسية ، لتبصير الأفارقة بواجباتهم وحقوقهم وتنمية شخصيتهم [٧٨٣] .

ولكن فى الواقع هذا الرأى يتنافى مع الحقيقة ففرنسا لم تعمل على إحلال السلام ، وإنما فرضت سيطرتها بالقوة على شعوب المنطقة أما ماذكره الكاتب حول تنمية الشخصية الإفريقية ، فهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة لأنها عمدت إلى طمس الشخصية الإفريقية وإجبار سكان المنطقة على نبذ معتقداتهم وتراثهم فميزت بين من خضع لتقاليدها ومن تمسك بالتقاليد الأفريقية . ولم يقتصر الأمر على صبغ المنطقة بالصبغة الفرنسية فقط بل عمل الفرنسيون على نشر الدين المسيحى وحاولوا تحويل بعض الزعماء المسلمين إلى الديانة المسيحية ، فقد أرسل ارشينار إلى القائد الفرنسى كيكندون Quiqundon فى ٣ ديسمبر ١٨٩٢ رسالة يحثه فيها على التفاوض مع تيبا Tiéba وكان عدو ساموري اللدود وسبق له الاتفاق مع الفرنسيين ضده - ومناقشته فى الدين الإسلامى وإقناعه بقبول الديانة المسيحية ، وبأنه إذا أراد صداقة الفرنسيين فعليه أن يتبع دينهم وهو المسيحية الكاثوليكية ، كما طلب أرشينار فى رسالته من القائد الفرنسى إبلاغ تيبا بأنه يعلم بأنه محمداً كان رجلا عظيما ولكنه لم يكن رسولا ، وبأن الديانة الكاثوليكية تتيح للفرد أن يشرب ويحارب ويصلى فى الكنائس ، وأنه باتباعه الديانة المسيحية سيجنى الكثير من الفوائد [٧٨٤] .

وقد أدت سياسة الفرنسة إلى التفرقة بين الأفارقة على أساس قبولهم الفرنسة أو عدمه وقد استخدم الفرنسيون فى تطبيق هذه السياسة قانون الأحوال الشخصية الفرنسى ، وبجانب المستويات الثقافية واللغوية والنفسية ، اعتبر المشرعون الفرنسيون أن قبول الأفريقى الخضوع لقانون الأحوال الشخصية الفرنسية والقانون المدنى والجنائى الفرنسى ، إنما هو فارق كبير يميزه عن الأفريقى الذى يرفض الخضوع لهذا القانون ويتمسك بقانونه الخاص ولذلك تمتع بصفة المواطنة Citoyen الأفريقى الذى خضع للقانون الفرنسى بينما ظل الأفريقي الذى تمسك بقانونه الدينى أو القبلى رعية أو تابعا Sujet [٧٨٥] . وأصبح من حق الأفريقى الذى يحصل على المواطنة ، أن يعامل معاملة الفرنسيين تماما ويسند إليه

.

---

(٧٨٣) Guernier, E. : op. cit., Tome I, p. 56.

(٧٨٤) Meniaud, J. : op. cit., Tome II, p. 310.

(٧٨٥) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

المناصب العليا ، ولكن على الرغم من كل هذه المزايا تمسك العديد من الأفارقة بتراثهم القديم ، وفضلوا أن يكونوا رعايا بدلا من مواطنين [٧٨٦] .

وترتب على سياسة الفرنسة ظهور قانون الانديجينا Indigénat وهو مجموعة من الأوامر الإدارية والعرفية التى يطبقها الضباط والحكام العسكريون والمدنيون وتنطبق فقط على الرعايا الأفارقة الذين يرتقون إلى مستوى سياسة الفرنسة فى البيئة الفرنسية ، وكان هدف الفرنسيين من هذا القانون هو تطبيق سياسة الفرنسة على جميع الأفارقة بمختلف مستوياتهم ومكانتهم الاجتماعية أى فرنسة جماعية [٧٨٧] . وقد لجأ الفرنسيون إلى إلغاء السلطات القضائية التى كانت فى يد الزعماء المحليين ، وصدر قانون الانديجينا الذى أتاح للفرنسيين الحكم فى النواحى القضائية عن طريق الضباط الفرنسيين [٧٨٨] الذين كان من حقهم إلقاء القبض على أى إفريقى وحبسه لمدة خمسة عشر يوما لدواعى الأمن وبدون محاكمة بحجة المحافظة على الصالح العام . وبمقتضى هذا القانون أصبح القواد الفرنسيون هم أصحاب السلطة المطلقة ، ولم يكن من حق الأفريقى الاعتراض [٧٨٩] .

ولكن رغم جهود فرنسا لم تنجح المحاولة فى فرض سياسه الفرنسة على جميع الأفارقة ، وقد نادى بعض الكتاب الفرنسيين بضرورة اتباع سياسة جديدة فى المستعمرات وفى مقدمة هؤلاء جول هارموند Jules Harmand الذى دعا إلى ما عرف بسياسة المشاركة Politique d'Association [٧٩٠] ويعتبر جول فرى أحد أعلام هذا الاتجاه ، وهو يرى أن تطور الثورة الصناعية فى فرنسا ثم تصدير رأس المال والصراع حول الأسواق الاقتصادية لا يقبل مطلقا تجميد العلاقة بين فرنسا والمستعمرات فى الشكل الإدماجى السابق ، إنما يجب إعادة تنظيم العلاقة بين فرنسا والمستعمرات فى أشكال إدارية تقوم على المنطقة الاقتصادية وهذا يستلزم تغيير الأساس الإدارى والتنظيمى الذى نمت وتوسعت فى جوه سياسة الفرنسة ، وهذا الأساس الإدارى كان المركزية الإدارية الكاملة التى تبدأ وتنتهى فى باريس وحدها ، إذ أن أى أمر إدارى بسيط فى أقصى أركان المستعمرة كان لابد من تصديق

---

(٧٨٦) زاهر ، رياض : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٧٨٧) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٧٨٨) Ajayı, J. : op. cit., Vol. II. p. 449.

(٧٨٩) Crowder, M. : op. cit., Colonial, pp. 192 – 193.

(٧٩٠) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، تاريخ ، ص ٥٢٦ .

سابق من باريس لكى ينفذ ، وساندت هذا الاتجاه مدرسة فكرية أخرى هاجمت سياسة الفرنسة ، على أساس أن هناك تطورا وتغييرا فى حياة الشعوب والمجتمعات ، ومن ثم تتباعد النظم والعادات وأن فرض قانون ونظم موحدة لكل الشعوب والمجتمعات إنما هو أمر لا يتفق مع الطبيعة وهاجمت هذه المدرسة فكرة القانون الطبيعى الموحد للبشرية جمعاء [٧٦١] .

وقد تبلورت هذه الأفكار فيما سمى بسياسة المشاركة ، أى أن يتم التعاون بين الإدارة الحكومية الفرنسية وبين الأفراد المحليين من أجل تكوين زعامات إفريقية ، تقود الشعوب والمجتمعات إلى طريق الحضارة والمدنية ، ويكون من أهداف هذه السياسة فرنسة هذه الزعمات والقيادات أو فرنسة النخبة Élite بدلا من الفرنسة الجماعية للشعب ، وهكذا أصبح هدف الرسالة تكوين نخبة تستوعب التراث الفرنسى ، وتتشكل نفسيتها ومفاهيمها وقيمها بالتراث والقيم الفرنسية [٧٦٢] .

أما عن النخبة أو الصفوة Élite فكان يتم اختيارهم من أكثر الطلاب تفوقا لإتمام تعليمهم فى أرقى المدارس تهيئة للعمل فى الحكومة وتقلد المناصب الهامة [٧٦٣] .

وهكذا يمكن أن نلخص الفرق بين سياسة الفرنسة ، وسياسة المشاركة أن الأولى هدفت منها فرنسا فرنسة جماعية للأفارقة ليذوبوا فى كيان فرنسا الأوربية ، ويصبح مصيرهم هو مصيرها ، ويعيشون هم والأجيال التالية كما يعيش الفرنسيون فى أوربا وأن اختلفت الألوان ، أما سياسة المشاركة أو النخبة فهى تهدف إلى خلق زعامات أو قيادات استوعبت التراث الثقافى واندمجت فى الهيكل الاجتماعى الفرنسى ، ولكن فى نفس الوقت يعيش فى الإطار الإفريقى وتقود الشعب كله على أساس عاداته ونظمه الإفريقية [٧٦٤] .

يلاحظ أن السنغال كان لها وضع مميز فى الاتحاد الفرنسى فعندما تكون الاتحاد A. O. F. ١٨٩٥ اختيرت السنغال مركزاً له وأصبحت سانت لويس عاصمة للاتحاد ثم داكار ١٩٠٤ مما

---

(٧٦١) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٧٦٢) المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٧٦٣) Pedler, F. : op. cit., p. 179.

(٧٦٤) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ، ص ١٧٠ .

يدلنا على مدى اهتمام الفرنسيين بالسنغال على اعتبار أنها المستعمرة المفضلة فهى من أقدم المستعمرات . وقد أعطيت السنغال حق انتخاب مندوب لها منذ عام ١٨٤٨ عندما سمح لمواطنى سانت لويس وجوريه بانتخاب عضو فى البرلمان الفرنسى ، ولكن هذه الخطوة التحررية التى أقدمت عليها الجمهورية الثانية ، ألغيت فى عهد الامبراطورية الثانية فى عام ١٨٥٢ ، ثم أعيدت فى عهد الجمهورية الثالثة ١٨٧١ [٧٩٥] .

وهكذا منذ عهد الجمهورية الثالثة أصبح للسنغال وضعها الخاص وكونت فرنسا فى كل من سانت لويس وداكار وجوريه وروفسك كوميونات ، وأصبح للكوميونات الأربع مجالس على غرار مجالس كوميونات فرنسا ، وقد ظهر التأثير الفرنسى بوضوح فى هذه المناطق من حيث انتشار اللغة الفرنسية والمدارس والبعثات التبشيرية [٧٩٦] وحصل مواطنو داكار وسانت لويس على الحق فى إرسال نواب عنهم إلى البرلمان الفرنسى ، وإلى المجلس القومى فى باريس ، وأصبح من السهل على الفرنسيين تقبل مواطنهم السود مثل البيض باعتبارهم مواطنيين فرنسيين [٧٩٧] وتم تأسيس مجلس بلدى فى السنغال **Conseil general** مشابها لمجالس المقاطعات الفرنسية ، وفى عام ١٨٧٢ أسس فى جوريه وسانت لويس مجلساً بلدياً منتخباً **Elected Municipal Council** وأسس مجلسا آخر فى كل من روفسك ١٨٨٠ وداكار ١٨٨٧ وطوال القرن التاسع عشر ضم المجلس مرشحين أفارقة إلى جانب الأوربيين والفرنسيين واهتم المجلس فى المقام الأول بالمصالح الفرنسية ، ولكن ينبغى الإشارة بأن أعضاء المجلس من الأفارقة نافسوا التجار الفرنسيين ، وقد أطلق على هؤلاء الأفارقة **Metis** . وفى عام ١٩١٩ أصبح للقوى السنغالية **Metis** سيطرة كبيرة على المجلس [٧٩٨] .

يلاحظ أن العديد من أهالى السنغال تأثروا بالثقافة الفرنسية ، فقد صبغت هذه المنطقة بالصبغة الفرنسية التامة ومن أشهر هؤلاء بليز دياجن **Blaise Diagne** الذى استطاع فى عام ١٩١٤ أن يهزم عدداً كبيراً من المرشحين الفرنسيين وحصل على العديد من الأصوات كمندوب عن الأفارقة . وقد عمل دياجن فى الجيش الفرنسى الاستعمارى ، وتعلم فى

---

(٧٩٥) Crowder, M. : op. cit., Colonial, 414.

(٧٩٦) Pedler, F. : op. cit, p. 123.

(٧٩٧) Fage, J. : op. cit, p. 117.

(٧٩٨) Crowder, M. : op. cit, Colonial p. 414.

المدارس الثانوية فى سانت لويس وتزوج بامرأة فرنسية عام ١٩٠٩ ، ثم ذهب إلى باريس ١٩١٣ بعد أن استبعد من غينيا بسبب عدائه ومنافسته للتجار الفرنسيين ، وقد كتب فى باريس عدة مقالات عن سياسة فرنسا الاستعمارية ، ثم عاد دياجن إلى السنغال واستطاع تجميع القوى الوطنية حوله وكون جماعة « السنغال الفتاة » The Young Senegalese وأسس جريدة La Democratie ثم انتخب وكيلا لوزارة المستعمرات ١٩١٤ وقد نادى دياجن بأن يكون جميع سكان أقاليم ما وراء البحار متساويين فى الحقوق ، والواجبات ، ونادى بالمساواة بين الأفارقة الذين تقبلوا سياسة الفرنسة ، وبين أولئك الذين رفضوها واحتفظوا بقوانينهم وتقاليدهم . لقد مثل دياجن الصفوة الفرنسية التى تثقفت وتسربت الحضارة الفرنسية ولكنه على الرغم من ذلك طالب بالمساواة بين جميع الأفارقة [٧٩٩] .

وأخيراً : إذا كانت فرنسا قد نجحت فى نشر ثقافتها ولغتها فى المنطقة وصبغت بعض المناطق كالسنغال بالصبغة الفرنسية إلا أننا نلمس عكس ذلك فى موريتانيا التى ظهر فيها التأثير الفرنسى ضعيفا وذلك لأن فرنسا لم تتغلغل فيها إلا بصعوبة ولذلك كانت موريتانيا أقل مناطق غرب أفريقيا تأثيراً بالثقافة الفرنسية وقد حاول الفرنسيون فرض التعليم الفرنسى وأغروا السكان بشتى الوسائل ولكن ظهرت معارضة واضحة من جانب الموريتانيين لتقبل الثقافة الفرنسية [٨٠٠] .

٣ - دور الزعماء المحليين فى .A. O. F :

كان المبدأ الأساسى الذى تدور حوله فلسفة الحكم الفرنسى فى أفريقيا منذ البداية هو الحكم المباشر ، والسياسة الاستعمارية الفرنسية مازالت فى أعماقها تؤمن بأن البلاد الأفريقية التابعة لها إنما هى ضياع وأرض ملحقة بأرضها الأوروبية تدور معها وتخضع لنفس نظمها وطرق حكمها . ولذلك كان الحكم المباشر هو سمة النظم الحكومية التى أقامتها فرنسا فى أفريقيا ، إذ هى لا ترى ضرورة لوجود زعامات أو تنظيمات قبلية أو محلية ، تقوم بين إدارتها وبين الأفارقة لقد تم تحطيم جميع الزعامات القبلية والمحلية والعسكرية والمدنية

---

(٧٩٩) Crowder, M. : op. cit, colonial p. 418.

(٨٠٠) صلاح ، العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ، ص ٥٢ .

الإسلامية والوثنية ، إن قيام الفرنسيين بهذا الإجراء هو تعبير عن كراهيتم العميقة وحقدهم وانتقامهم من المقاومة العنيفة التي لاقوها من الأفارقة في توسعهم في القارة ، إن الاستعمار الفرنسي تلاقى مع دول وممالك أفريقيا راقية ذات حضارية تاريخية سواء في شمال أو غرب أفريقيا ، وكانت النظم السياسية ثابتة ذات خبرة تاريخية وولاء الناس لها دائم وثابت ومرتبط في أغلب المناطق بالدين الإسلامي ، ودوره الحضاري والتنظيمي في حياة الأفارقة ولذلك بذل الفرنسيون جهوداً متواصلة واستعملوا وسائل انتقامية متعددة حتى تكمنوا من تحطيم هذه المقاومة ، ولذا تجسم حقدهم وبرزت كراهيتهم لكل أنواع الزعامات الإفريقية فحطموها واجتثوها وانتزعوا منها كل سلطة أو نفوذ وحاربوا ولاء الناس لها (٨٠١) .

رغم كراهية الفرنسيين للزعماء المحليين إلا أن فرنسا بعد توسعها العسكري في غرب أفريقيا ، اضطرت إلى الاستعانة ببعض الزعماء الوطنيين لمساعدتها في إدارة مستعمراتها ولكنها استعانت بهم مؤقتا وما لبثت أن عينت ضباطا فرنسيين في المراكز المختلفة (٨٠٢) . وقد اعتمدت فرنسا في إدارتها لأفريقيا الغربية الفرنسية A. O. F. على رؤساء البلاد من الوطنيين ، واستخدمتهم في جمع الضرائب وكانوا مسئولين أمامها عن تجميع القوى البشرية اللازمة للعمل في المزارع الأوروبية ، وكان لهؤلاء الزعماء نصيب من الضرائب التي يحصلونها ولذلك أساء الكثير منهم استخدام سلطته فزادوا الضرائب على الناس وتجاهلت الإدارة الفرنسية هذا العمل مكتفية بولاء الزعماء لها ولمصالحها ، وهكذا كان تعيين الزعماء المحليين لخدمة الإدارة الفرنسية في أفريقيا ، وقد تحول هؤلاء الزعماء بعد زعامتهم للقبائل أو للدول إلى مجرد عملاء للإدارة الفرنسية وأداة استخدمها لفرض سيطرتها (٨٠٣) .

ويلاحظ أن الإدارة الفرنسية عمدت على اختيار هؤلاء الزعماء فاستبعدت الزعماء الثائرين عليها ولكن في بعض المناطق التي استمرت فيها المقاومة لفترة طويلة ، اضطرت فرنسا إلى الاعتراف بسلطة بعض الزعماء مثلما حدث في بلاد الموسى اعترفت فرنسا بسلطة ملك الموسى ، لأنه كان يملك سلطة فعلية على أراضي الموسى واضطرت فرنسا إلى الاحتفاظ مؤقتاً به كما اضطرت إلى الاحتفاظ بزعماء فوتاجالون ، وظل أئمة هذه المنطقة

---

(٨٠١) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٨٠٢) Fage, J. : op. cit., p. 168.

(٨٠٣) Crowder, M. : op. cit, Colonial p. 186.

يتولون الحكم لفترة من الوقت ولكن ما لبثت فرنسا أن تخلصت منهم لأنها حرصت على تعيين زعماء لا حول لهم ولا قوة وظيفتهم الرئيسية جمع الضرائب وتنفيذ الأوامر [٨٠٤] .

انقسم الزعماء المحليون إلى :

١ - زعيم أو رئيس أعلى للاقليم Chef Superieur de Province وقد اختير لهذا المنصب بعض أفراد الأسر الإقطاعية التى حكمت فى السابق .

٢ - رؤساء المقاطعات Chefs des Cantans وشكلوا حجر الأساس فى الإدارة الفرنسية .

٣ - زعماء القرى Chef des Villages .

وعلى رأس هؤلاء الزعماء قادة المراكز الفرنسية وبهذا التسلسل حكمت فرنسا ممتلكاتها فى غرب أفريقيا حكما مباشرا [٨٠٥] وكان عمل رؤساء الأقاليم تنفيذ التعليمات الصادرة إليهم من قائد المركز الفرنسى وعليه إصدار التعليمات إلى رؤساء المقاطعات وزعماء القرى [٨٠٦] .

وجدير بالذكر أن قائد المركز الفرنسى كان له سلطات واسعة على الزعماء المحليين ورغم اختيار هؤلاء القادة من المدنيين إلا أنهم استخدموا العنف مع هؤلاء الزعماء فقد كان لقائد المركز الكثير من الحقوق فمن حقه سجن الزعماء المحليين وإلقاء القبض عليهم وضربهم ، إذا ما تهاونوا فى أداء واجبهم أو تأخروا فى جمع الضرائب أو فشلوا فى الأعمال الإدارية الموكلة إليهم [٨٠٧] .

وأما عن اختيار هؤلاء الزعماء فأحيانا كانوا يختارون من ضمن الجنود الأفارقة العاملين فى الفرق الفرنسية . وقد حرصت الإدارة الفرنسية على التخلص من الزعماء المنحدرين من أصول حاكمة وخاصة بعد أن دعمت سيطرتها على المنطقة فتخلصت من زعماء الموسى وأئمة فوتاجالون [٨٠٨] . ويتضح لنا وجهة النظر الفرنسية فى التخلص من السلالات الحاكمة من الحاكم العام وليم بونتى William Ponty الذى أعلن فى مجلس حكومة A. O. F. بأنه

---

(٨٠٤) Suret – Canale – J. : op. cit, pp. 100 – 101.

(٨٠٥) Crowder, M. : op. cit, Colonial p. 189.

(٨٠٦) Kilson, Martin : **Colonial Africa.** (N. Y. 1966) p. 78

(٨٠٧) Suret – Canale – J. : op. cit, p. 107.

(٨٠٨) Crowder, M. : op.cit, Colonial p. 190.

لا بد من تدمير زعامة وسيادة أى سلالة حاكمة وتدمير المجموعات الوثنية ، ومحاربة نفوذ الارستقراطية المحلية واستبعاد كبار القادة الوطنيين [٨٠٩] .

وبالنسبة لتعيين الزعماء المحليين ، لجأت فرنسا إلى الآتى :

١ - إما تعيين زعماء كانت لهم الزعامة من قبل ، وقضى عليها منافسوهم مثل البمبارا الذين انتزع منهم التكرور السلطة فأعادت فرنسا لهم زعامتهم من جديد [٨١٠] .

٢ - أما التعامل مع السلالات أو الأسرات الحاكمة ، ولو مؤقتا مثل تعيين فرنسا لاجولى أجويا شقيق بيهانزون فى داهومى ، ثم التخلص منه بعد ذلك وكان الهدف من هذا الإجراء الاستعانة بهذه الأسرات الحاكمة ولو مؤقتا حتى يتم إخضاع المنطقة نهائيا .

٣ - تعيين زعماء جدد يدينون بالولاء لفرنسا [٨١١] .

وجدير بالذكر أن فرنسا اتخذت هذه الإجراءات فى معظم مناطق غرب أفريقيا ، أما فى موريتانيا فقد اختلف الوضع فقد اضطرت فرنسا إلى الأخذ بنظام الإدارة غير المباشرة فى بداية الأمر عن طريق رؤساء الأمارات الكبيرة مثل الترارزة ، والبراكنة وزعماء إدرار ، ويرجع إلى كوبولانى الفضل فى وضع أسس الإدارة غير المباشرة إذا أنه لم يلغ نظام الإمارات بل على العكس ثبت أمراء لم يكونوا موجودين من قبل كما حدث فى منطقة تاجنت وإن كان يلاحظ فى نفس الوقت أن المعاهدات التى عقدت مع الترارزة والبراكنة فى عام ١٩٠٣ كانت تخلع السلطات الفعلية عن الأمراء ، ففرنسا تتولى تحصيل الضرائب ، وتعيين القضاة وتقدم للأمراء المخصصات الثابتة ، وبعد الاستيلاء على تجانت وإدرار وضع باتى خطة جديدة تقوم على أساس تقسيم البلاد إلى منطقتين الجنوبية غرب نهر السنغال تدار بصورة مباشرة ، والمنطقة الشمالية بواسطة الرؤساء التقليدين على أن يزودوا بجيش خليط من البدو الزنوج والسنغاليين ، وذلك حتى لا تحتاج فرنسا لإقامة مراكز عسكرية كبيرة فى الشمال ، والواقع أن فرنسا لم تستطع التخلص من الشيوخ المحليين واكتفت بتجريدهم من سلطتهم ولعلها قدرت أن وجود أولئك يساعدها على تجنب الإتصال المباشر

---

(٨٠٩) Suret – Canale – J. : op. cit, p. 103.

(٨١٠) Menuaud, J. : op.cit, Tome I p.447.

(٨١١) Ajayi, J. : op. cit, vol, II p. 450.

بين السكان والحكام العسكريين ، وبالتالى أصبح أولئك الشيوخ أو الأمراء بمثابة رؤساء إداريين أمام الولاة الفرنسيين حقيقة أن كثيراً من هؤلاء أعلن تمرده على هذا الوضع ، ولكن البعض الآخر ظل يتعاون مع الفرنسيين تعاونا شبيها بما كان بين المستعمرين الفرنسيين وبعض الباشوات الكبار فى المغرب [٨١٢] .

وقد عملت الإدارة الفرنسية على التخلص من سلالة التوكولور الحاكمة ، وعينت منافسيهم السابقين من البمبارا بدلا منهم ، فضمنت بذلك ولاءهم ، فقد كانت الفكرة الرئيسية هى أنه على الزعماء الوطنيين خدمة أغراض فرنسا ، فهم حلقة الاتصال بينها وبين الأفارقة [٨١٣] .

وجدير بالذكر أن بريطانيا فى مستعمراتها استخدمت الزعماء المحليين على نطاق أوسع ولجأت إلى نظام مختلف عن النظام الفرنسى فلجأت إلى الحكم غير المباشر، واعتبرت أن للزعماء المحليين دورا هاما فى الادارة البريطانية ، ولذلك عملت على وجود مجلس من القوى الوطنية . كما كان لابد للضباط البريطانيين الذين يتولون الإدارة فى غرب أفريقيا أن يكونوا على اتصال دائما بالزعامات الوطنية كذلك عليهم احترام التقاليد الوطنية واحترام رغبات الوطنيين فى تعيين الزعماء وفقا لرغباتهم [٨١٤] لقد عملت بريطانيا على تدعيم الهيئات والزعامات المحلية والقبلية لتصبح جزءاً من تنظيم حكومى إدارى ، يشرف على المستعمرة بينما هدفت فرنسا إلى إقامة هيكل ظاهرى لا يمتلك أى سلطة وإنما يأخذ دور المنفذ [٨١٥] ولذلك فإن انجلترا فى حكمها غير المباشر فى غرب أفريقيا اعتمدت على تعاون الأفارقة والرؤساء معها ، ولم تقض على المؤسسات القبلية التقليدية الموجودة فى المجتمعات الإفريقية ، أما فرنسا فقد قضت على جميع الزعامات القبلية والمحلية والنظم الموجودة ووضعت البلاد تحت حكمها المباشر حتى فى الأوقات التى اضطرت فرنسا إلى الاعتماد على العناصر الإفريقية فى الحكم فإن الأمر لم يهدف إلى تنفيذ سياسة الحكم المباشر ، فقد ظلت السلطة الحقيقية فى يد القواد والموظفين الفرنسيين [٨١٦] .

---

(٨١٢) صلاح العقاد : المرجع السابق (موريتانيا) ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٨١٣) Hagreaves, J. : op. cit, France p. 210.

(٨١٤) Kilson, M. : op. cit, p. 95.

(٨١٥) عبد الملك ، عودة : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

(٨١٦) شوقى ، الجمل : المرجع السابق ، تاريخ ، ص ٥٣٦ .

الخـاتمـــة

من الغرض السابق لموضوع الرسالة نرى أن التوسع الاستعمارى الفرنسى فى غرب أفريقيا ، وجد مقاومة عنيفة من قبل الوطنيين . لقد أدركت الممالك الإسلامية والوثنية فى غرب أفريقيا خطورة الغزو الفرنسى ، وأدركت بأن التحدى ليس تحديا عسكريا فحسب ، وإنما هو تحد أخطر من ذلك بكثير ، فهو تحد حضارى هدفه القضاء على الحضارة الإسلامية ، وإحلال الحضارة الفرنسية محلها . لقد ساد الاعتقاد لدى الفرنسيين بأن قادة أفريقيا قبل مجيئهم لم تعرف النظم السياسية ، واعتقدوا أنهم منقذوا القارة من الظلام وهم الدافعون لها نحو الارتقاء .

وظن الفرنسيون بأن المهمة التى جاءوا من أجلها سهلة ميسرة ، ولكن سرعان ما خاب أملهم فقد واجهوا مقاومة عنيفة لم يسعهم إلا التعبير عنها وعن زعمائها وقادتها بلفظ المتوحشين Les Sauvages ، فساموري تورى زعيم الماندنجو وصف بأنه دموى يثير الرعب فى كل مكان متعطش للدماء وللحرب ، وتناسى الفرنسيون قسوتهم وعنفهم فى معاملة الوطنيين وإراقه الدماء .

ونظراً للمقاومة العنيفة التى لقيها الفرنسيون فى غرب أفريقيا أطلق على فترة إخضاع أفريقيا عصر القوى Le Temps de la Force ، لأنه تم بفضل استخدام القوة العسكرية وحدها ، ففرنسا كانت تمتلك فى ذلك الوقت من أسباب الدمار ، ومن قوة السلاح والعتاد ما يعجز عن تدبيره الحكام المحليون .

وبالإضافة إلى ذلك خصصت فرنسا لقيادة حركة التوسع فى غرب أفريقيا أشخاصا عرفوا بالقدرة العسكرية والإدارية ، أمثال فيدهوب ، جاللينى ، أرشينار دودز ، جورو ، ممن يؤمنون بسياسة استخدام القوة العسكرية كوسيلة لتحقيق أحلام فرنسا فى تكوين إمبراطورية فرنسية فى غرب أفريقيا .

وقد سعى هؤلاء الضباط إلى تحقيق أمجاد شخصية لهم فى غرب أفريقيا ، فالبعض منهم نفذ الكثير من العمليات العسكرية حتى دون إخطار الحكومة الفرنسية والبعض الآخر تجاهل الأوامر الصادرة إليه بعدم ضم المزيد من الأراضى وعمل على التوسع والغزو . وقد زاد من خطورة الموقف تزايد سلطة ضباط البحرية الفرنسية مثل ازدياد نفوذ بنجر فى ساحل العاج ، وبالوت ذى داهومى ، وكان هؤلاء متحررون من الروتين الحكومى يسعون لإحراز مزيد من الانتصارات تسجل لهم بغض النظر عن أسلوبهم فى محاربة الوطنيين .

وكان من نتيجة ازدياد نفوذ العسكريين أنهم ارتكبوا العديد من المخالفات واقتنعوا بأنهم بمفردهم لهم خبرة بالظروف المحلية ولهم الحق فى اتخاذ القرارات وكانوا على ثقة كبيرة بقدراتهم العسكرية وكانت مشاعرهم تجاه المدنيين العاملين فى السودان لا تتعدى مشاعر الاحتقار .

لقد وقع عبء ومسئولية التوسع فى غرب أفريقيا على عاتق أنصار التوسع العسكرى وليس على عاتق الحكومة الفرنسية فنفذ هؤلاء سياسة التوسع وبفضل جهودهم امتدت المستعمرات الفرنسية من السنغال حتى تشاد . بعكس الحال عند غزو الجزائر كانت الحكومة الفرنسية وراء عمليات الغزو وعبر موليبه عن ذلك ١٨٣٨ بقوله أن فرنسا ستعمل على إحياء أفريقيا الرومانية فوقع عبء غزو الجزائر على الحكومة الفرنسية نفسها

أما فى غرب أفريقيا فقد كان هناك صراع بين أنصار التوسع العسكرى وبين رجال الإدارة المدنية الذين فضلوا اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية ، ولكن كانت الغلبة لأنصار التوسع العسكرى ، وساعد هؤلاء فى تنفيذ خططهم وجود رجال فى إدارة المستعمرات الفرنسية آمنوا بفكرة التوسع ودعوا إلى تطبيقها مثل أوجين ايتيان الذى نادى بضرورة استعمار المنطقة الواقعة من حدود تونس حتى تشاد .

لقد كان فيدهرب هو أول من استخدم القوة العسكرية ضد الوطنيين وذلك فى منتصف القرن التاسع عشر فقد عمل على إخضاع هذه القوة بواسطة الغزو العسكرى . وظلت سياسته هى أساس تعامل الفرنسيين مع القوى الوطنية حتى أوائل القرن العشرين فقد استمرت العمليات العسكرية فى غرب أفريقيا فى ساحل العاج وفى داهومى ، وغيرها من المناطق واتبع انجولفان فى ساحل العاج ماعرف بسياسة الدم Policy of blood لإخضاع المناطق الداخلية فيها حتى ١٩٠٨ .

ولكن إذا تساءلنا عن سبب اندفاع العسكريين للعمل فى غرب أفريقيا دون غيرها من المناطق ؟ سنجد أن الحكومة الفرنسية ساهمت فى تشجيع هؤلاء الضباط على العمل فى أفريقيا ، فقد قدمت لهم الإغراءات المادية عن طريق زيادة رواتبهم كما أصبح العمل فى غرب أفريقيا يتيح فرصة سريعة للترقى . وقد اجتذبت المنطقة أولئك الضباط الذين لم يتحملوا الحياة الرتيبة فى فرنسا فأخذوا يبحثون عن مستقبل باهر فى ميادين القتال والمستعمرات .

ويكفى تعبير الرئيس الفرنسى فليكس فور Felix Faure عن طموح فرنسا وتوسعها الجامح العنيف فى منطقة غرب أفريقيا بقوله : « لقد تصرفنا كالمجانين فى أفريقيا » .

وإذا كان هناك أسماء لمعت للقادة العسكريين الفرنسيين فإن هناك أيضا أسماء العديد من الحكام الأفارقة من أمثال الحاج عمر ، ومحمدو لامين ، ولات ديور ، وأحمدو شيخو ، وساموری ، وبيهانزن ، ورابح الزبير وكان لكل هؤلاء دور فى عرقلة النفوذ الفرنسى فى المنطقة التابعة له حتى شعر الفرنسيون بأن حملاتهم العسكرية فى غرب أفريقيا ليست مجرد نزهة أو جولات عسكرية خاطفة .

ولكن لنا أن نتسائل رغم هذه المقاومة العنيفة والمستميتة لماذا أخفق إذن الأفارقة فى تحقيق النصر ؟ .

فى الواقع للاجابة على هذا السؤال ينبغى أن نذكر العوامل التى ساهمت فى هزيمه الحكام الوطنيين ويمكن إجمالها فيما يلى :

١ - اعتمدت فرنسا على الأسلحة الحديثة المتطورة والفرق العسكرية المدربة ، كذلك حرص حكام السنغال على تجنيد الأفارقة فكونوا فرقاً من الرماة السنغاليين ليكونوا على دراية بطبيعة البلاد التى يتوغلون فيها . وكانت لدى هؤلاء المقدرة على تحمل الطقس . ويرجع إلى فيدهرب الفضل فى تأسيس هذه الفرق فى سانت لويس منذ عام ١٨٥٧ وقد أسدت هذه الفرق الكثير من الخدمات للفرنسيين فظهر فيها ونبغ بعض القواد المهرة أمثال يارا كومبا Yara Coumba الذى تولى الدفاع عن الحصن الفرنسى فى سيندوبو Senedoubou ضد محمدو لامين ، كذلك بول هول الذى تولى الدفاع عن حصن ميدين أثناء حصار الحاج عمر له . وهكذا نلاحظ بأن هذه الفرق تحملت أعباء القتال فى غرب أفريقيا وذلك لعدم توافر الفرق الفرنسية الكافية لصعوبة تحمل المناخ وانتشار الأمراض وخاصة الحمى الصفراء والملاريا .

٢ – عدم تعاون الحكام الوطنيين ضد الغزو الفرنسى فالمقاومة الإفريقية لم تكن منظمة فساموري حارب فى جبهة منفصلة عن جبهة أحمدو شيخو زعيم التكرور رغم تقارب أراضى كل منهما على النيجر ، فلو توحدت قوتهما لكان من الممكن أن يحققا الكثير ، ولكن كلا منهما تخوف من أطماع ونفوذ الآخر وعندما أدرك ساموري أهمية التعاون مع أحمدو وعرض عليه تكوين تحالف فيما بينهما كانت القوات الفرنسية قد توغلت فى أراضى كل منهما ، كذلك أحمدو شيخو عمل على محاربة محمدو لامين زعيم الساركولى بل شارك مع الفرنسيين فى إرسال الحملات للقضاء عليه .

٣ – اعتمدت فرنسا على الجماعات الوثنية ضد المسلمين فاعتمدت على البمبارا ضد التكرور وتحالفت معهم ووجد البمبارا فى ذلك مصلحة كبيرة لهم فقد سبق أن طردهم التكرور من النيجر واستولوا على أراضيهم فى سيجو ، وأدرك البمبارا أن تحالفهم مع الفرنسيين سيعيد لهم نفوذهم المفقود وهذا ماحدث بالفعل فبعد استيلاء القوات الفرنسية على أراضى أحمدو كون أرشينار دولة للبمبارا فى سيجو تدين بالولاء للفرنسيين وهكذا كانت بعض الجماعات الوثنية من عوامل تفوق فرنسا فى المنطقة .

٤ – لجأت السلطات الفرنسية إلى التحالف مع منافسى الزعامات الوطنية سواء الوثنية أو الإسلامية فتعاونت على سبيل المثال مع تيبا زعيم كيندوجو ضد ساموري ، كذلك تحالفت مع حكام بورتو نوفو وكوتونو ضد ملوك داهومى ، وذلك بغرض تشتيت جهد الحكام الأفارقة نحو جبهتين جبهة ضد الفرنسيين وجبهة أخرى ضد منافسيهم .

٥ – انتشار الطرق الصوفية فى غرب أفريقيا مثل القادرية والتيجانية ولكن للأسف لم يحاول أنصار هذه الطرق التحالف فيما بينهم بل على العكس لجأ كل فريق لمحاربة الآخر فالحاج عمر زعيم التيجانية حارب أتباع الطريقة القادرية وعمل على إجبارهم على اعتناق التيجانية .

٦ – لجأت السلطات الفرنسية إلى قتل ونفى وتشريد الزعماء الأفارقة بعد التغلب عليهم لإرهاب سكان المنطقة فأحمدو شيخو بعد هزيمته اتجه نحو سوكوتو بينما اتجه أولاده من بعده إلى مكة المكرمة أما ساموري فقد نفى إلى جزيرة أوجويه ، بينما قطعت رأس محمدو لامين زعيم الساراكولى ، كذلك قتل لات ديور زعيم كايور عام ١٨٨٦ ورابح الزبير ، بينما نفى بيهانزن ملك داهومى إلى جزر الهند الغربية .

وقد عملت السلطات الفرنسية على استبعاد الزعماء الوطنيين بعد هزيمتهم حتى لا يكون لهم تأثير فى المناطق التى حكموها من قبل وحتى لا يلتف الوطنيين حولهم من جديد .

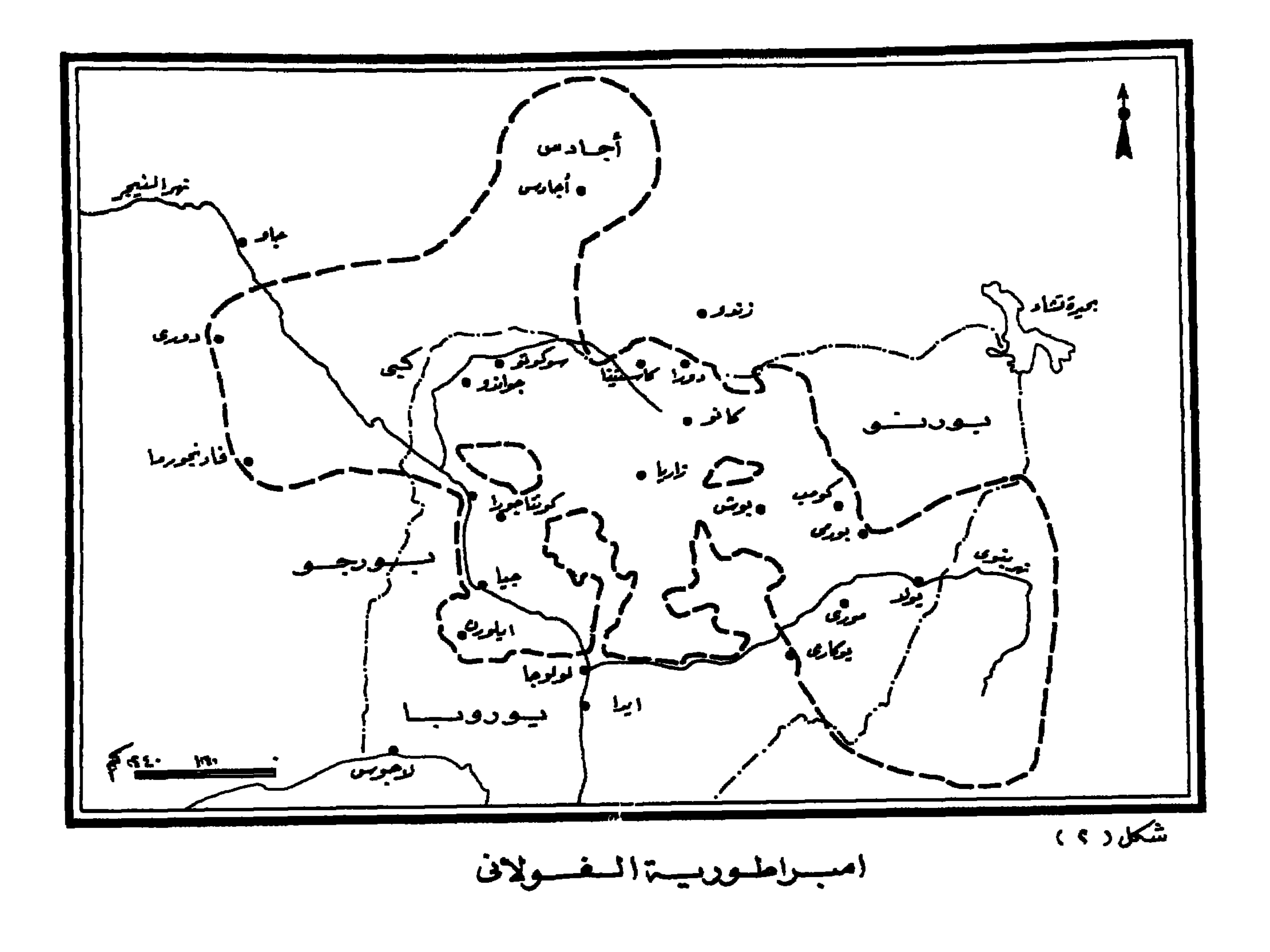
٧ - انتشار الخرافات فى غرب أفريقيا وخاصة لدى الوثنيين ففى بلاد الموسى قبل الغزو الفرنسى للمنطقة وأثناء زحف القوات الفرنسية نحو أراضى الموسى صعد ملك الموسى فوق تل كبير وقام بذبح ديك وعبد وحمار أسود اعتقادا منه بأن ذلك سيؤدى بدون شك إلى هزيمة القوات الفرنسية وذلك يرجع إلى اعتقاد الجماعات الوثنية فى قوى الطبيعة الخارقة وفى السحر والشعوذة .

٨ - إيمان المسلمين بظهور المهدى المنتظر فعندما فقدوا الأمل فى استمرار المقاومة الاسلامية كتب أحد مسلمى فوتاجالون « إننا فى انتظار ظهور المهدى لإنقاذ الدين الإسلامى وسوف يحارب جباة الغرائب الفرنسيين ويقذف بهم إلى العالم الآخر » .

وإذا كانت السلطات الفرنسية قد نجحت فى التغلب على الزعماء الوطنيين بالنفى والتشريد والقتل إلا أن المقاومة الوطنية استمرت حتى الحرب العالمية الأولى .

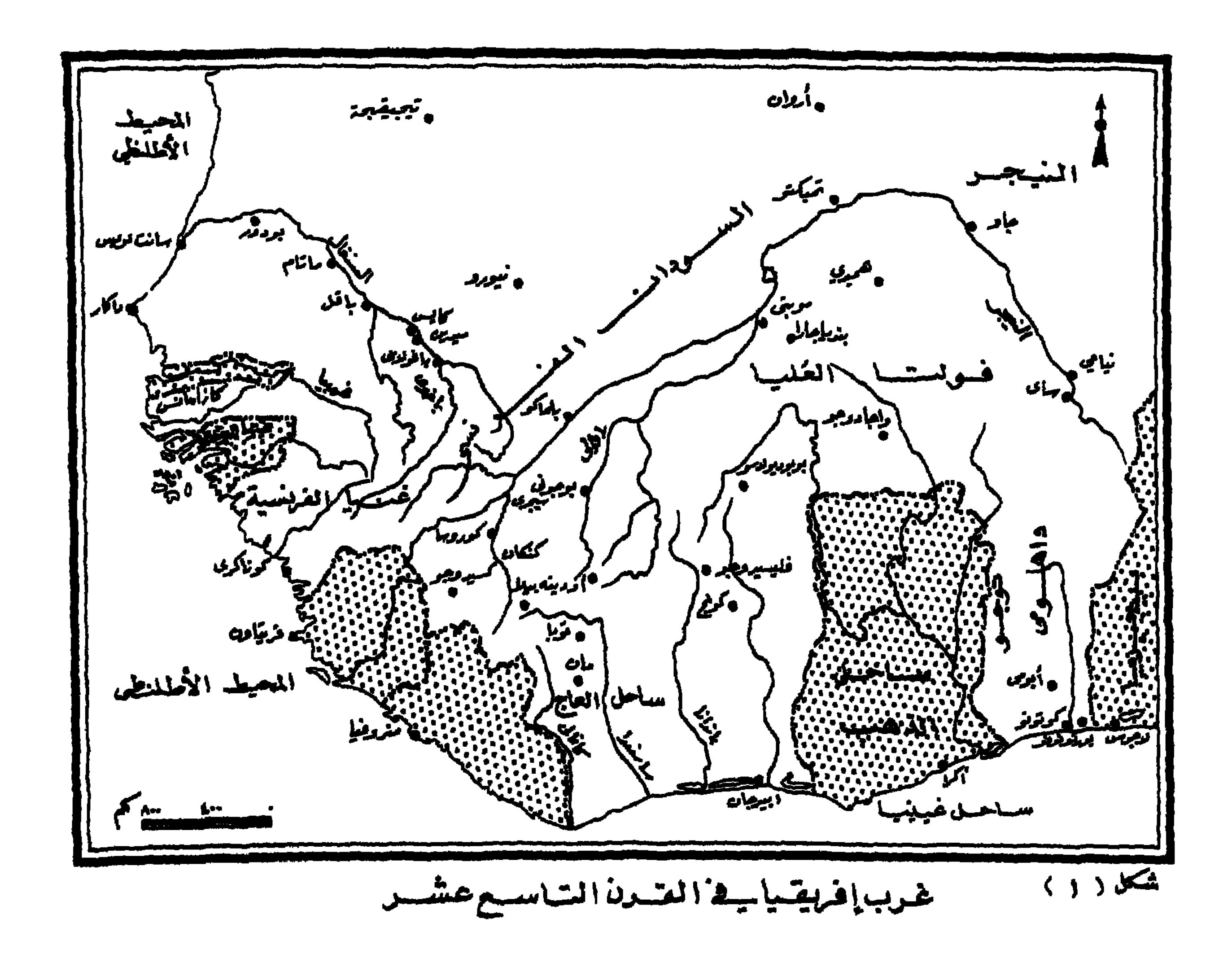
وأخيرا لا ننسى أن الظروف الدولية ساعدت فرنسا إلى حد كبير فى توسعها فى غرب أفريقيا ، فالحرب السبعينية أدت إلى اقتطاع الإلزامى واللورين من فرنسا ، كما انعكس آثار هذه الحرب على المستعمرات الأفريقية فسحبت فرنسا فرقها العسكرية من السنغال ومن ساحل غينيا وبدأ الشعب الفرنسى يفكر فى الانتقام لهذه الهزيمة ولكن ألمانيا عملت على استرضاء فرنسا فشجعت اتجاهها نحو القارة الإفريقية تعويضا لها عما فقدته من أراضٍ فى أوربا ، كذلك كان من مصلحة بريطانيا إيجاد نوع من التوازن فى أوربا فكان ظهور فرنسا كدولة قوية مستعمرة من الأمور التى تحظى برضاء بريطانيا . ثم جاء انعقاد مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ ليقر اعتراف كل دولة أوربية معنية بالاستعمار بسيادة كل منها على المنطقة الواقعة تحت سيطرتها طالما أن هذه السيادة مدعمة عسكريا . وهذا ما نفذته فرنسا .





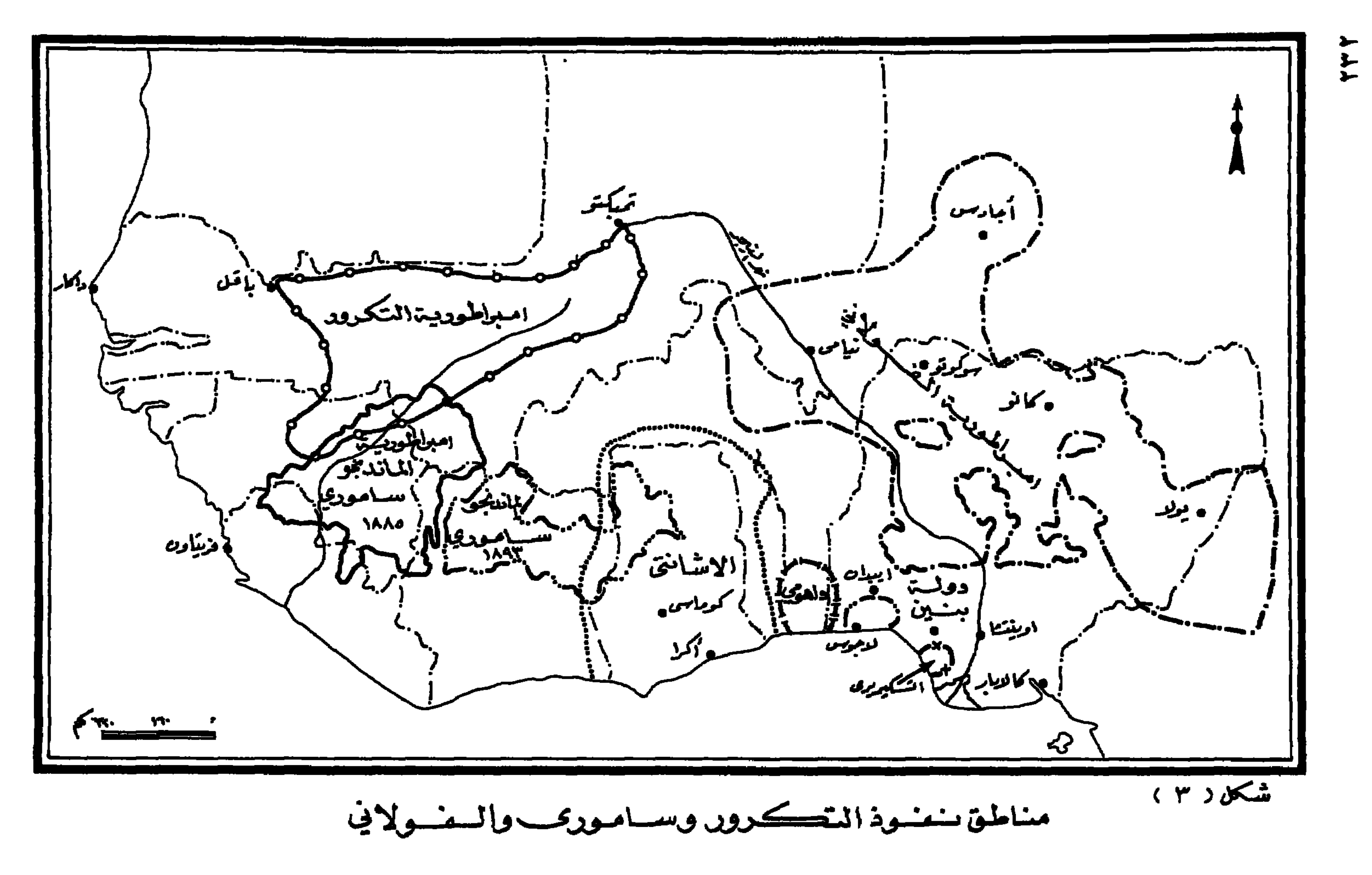
شكل (٢)

امبراطورية الفولانى

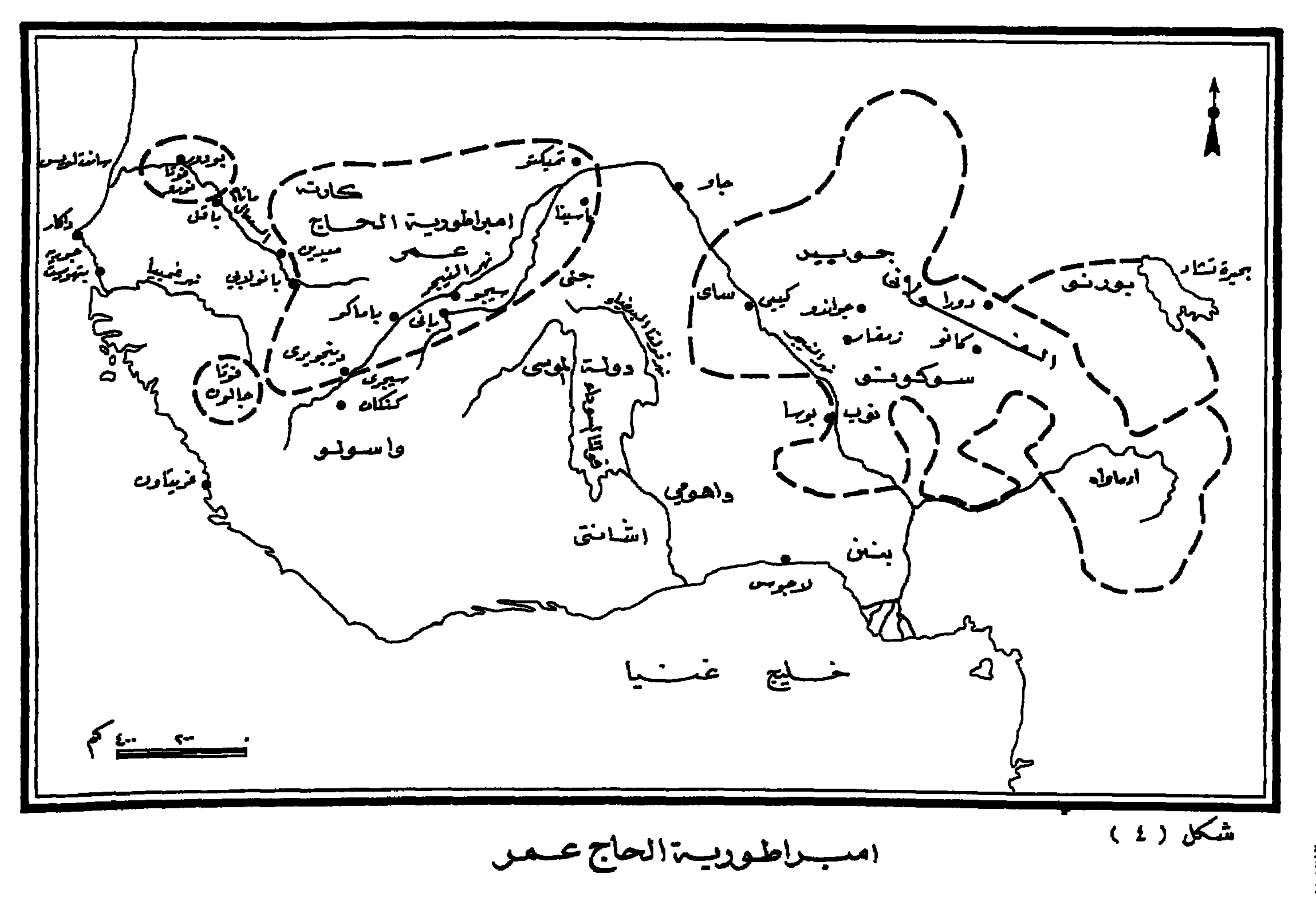


شكل (١)

غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر

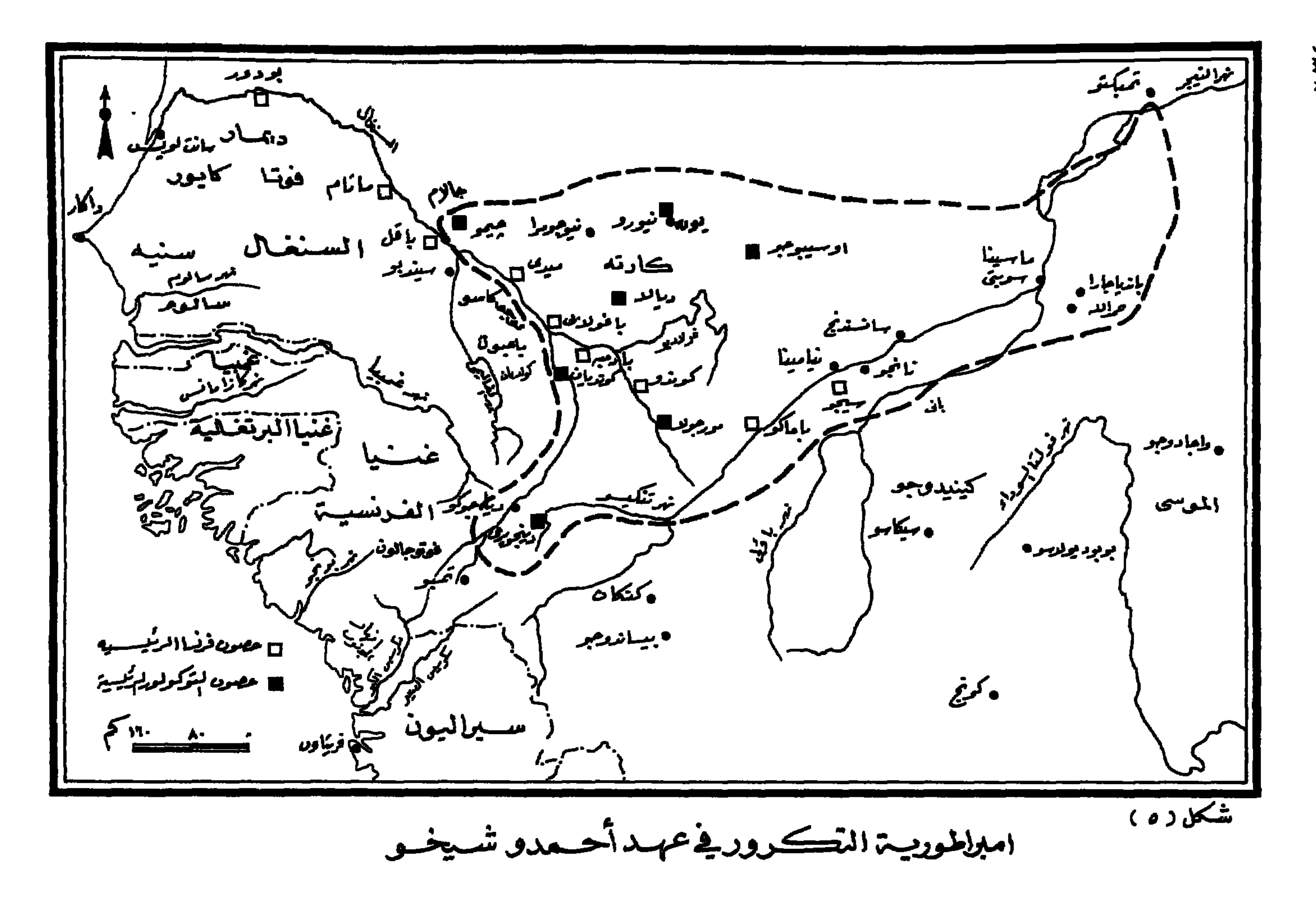


شكل (٣)
مناطق نفوذ التكرور وساموري والفولاني



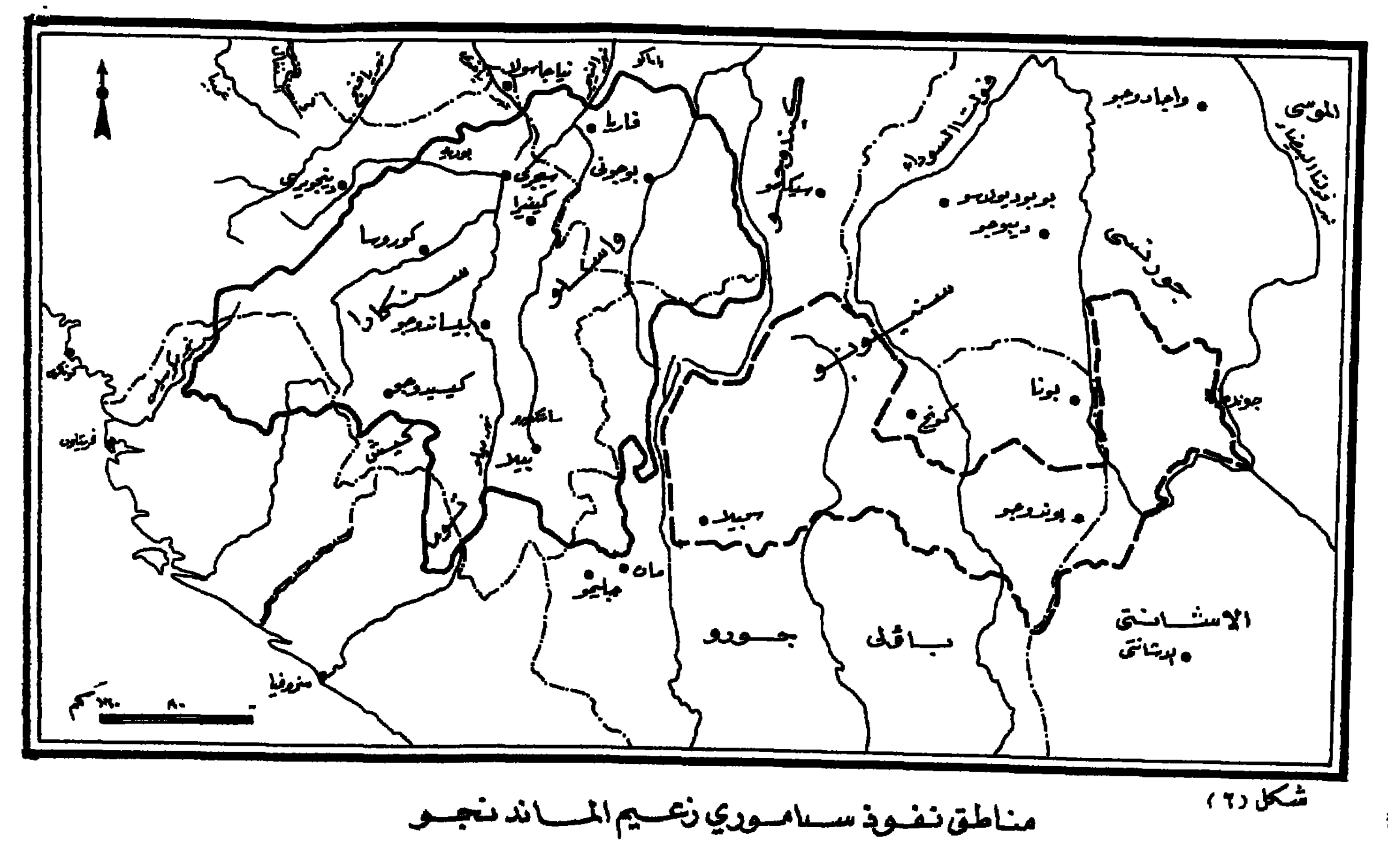
شكل (٤)

امبراطورية الحاج عمر



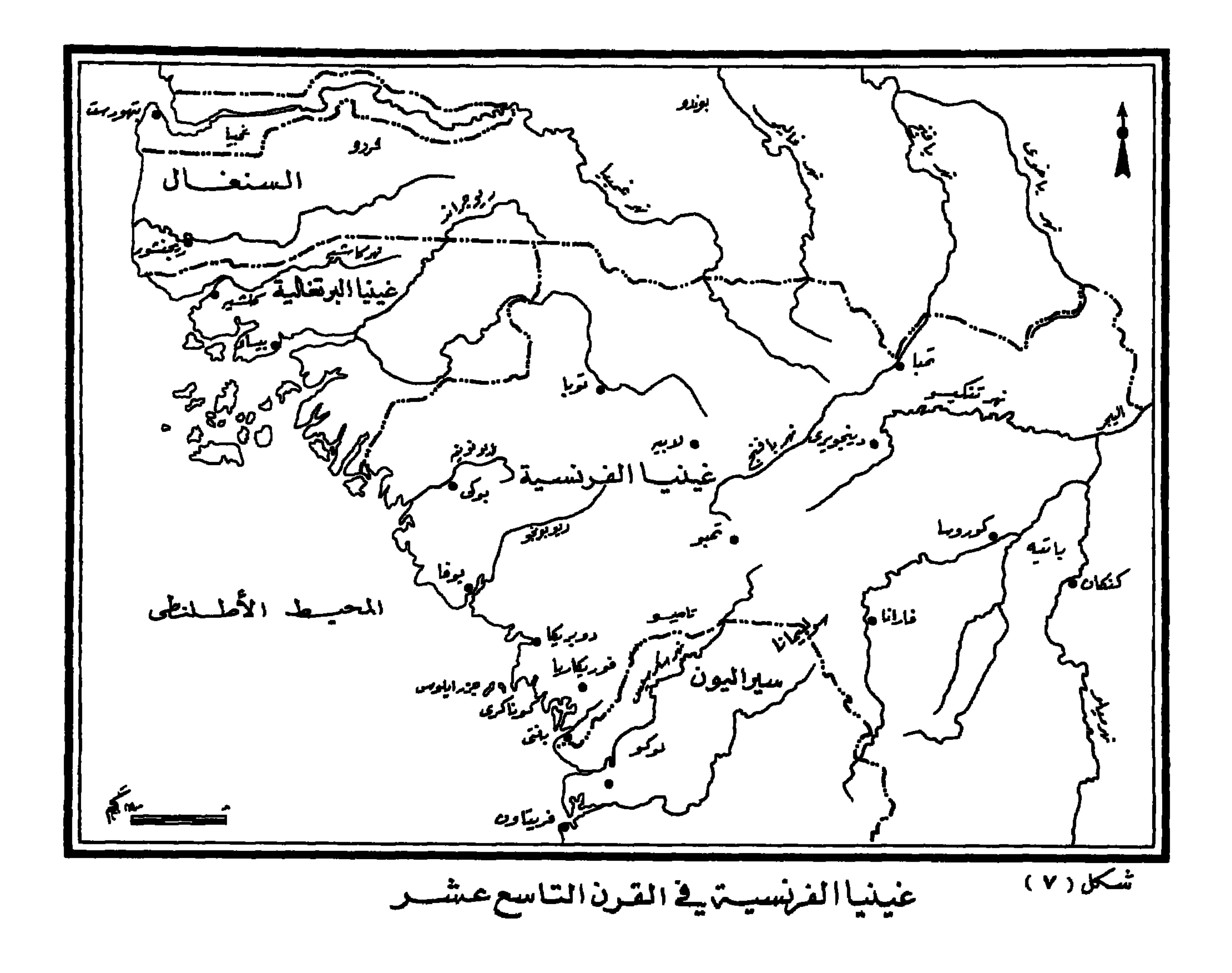
شكل (٥)

امبراطورية التكرور في عهد أحمدو شيخو



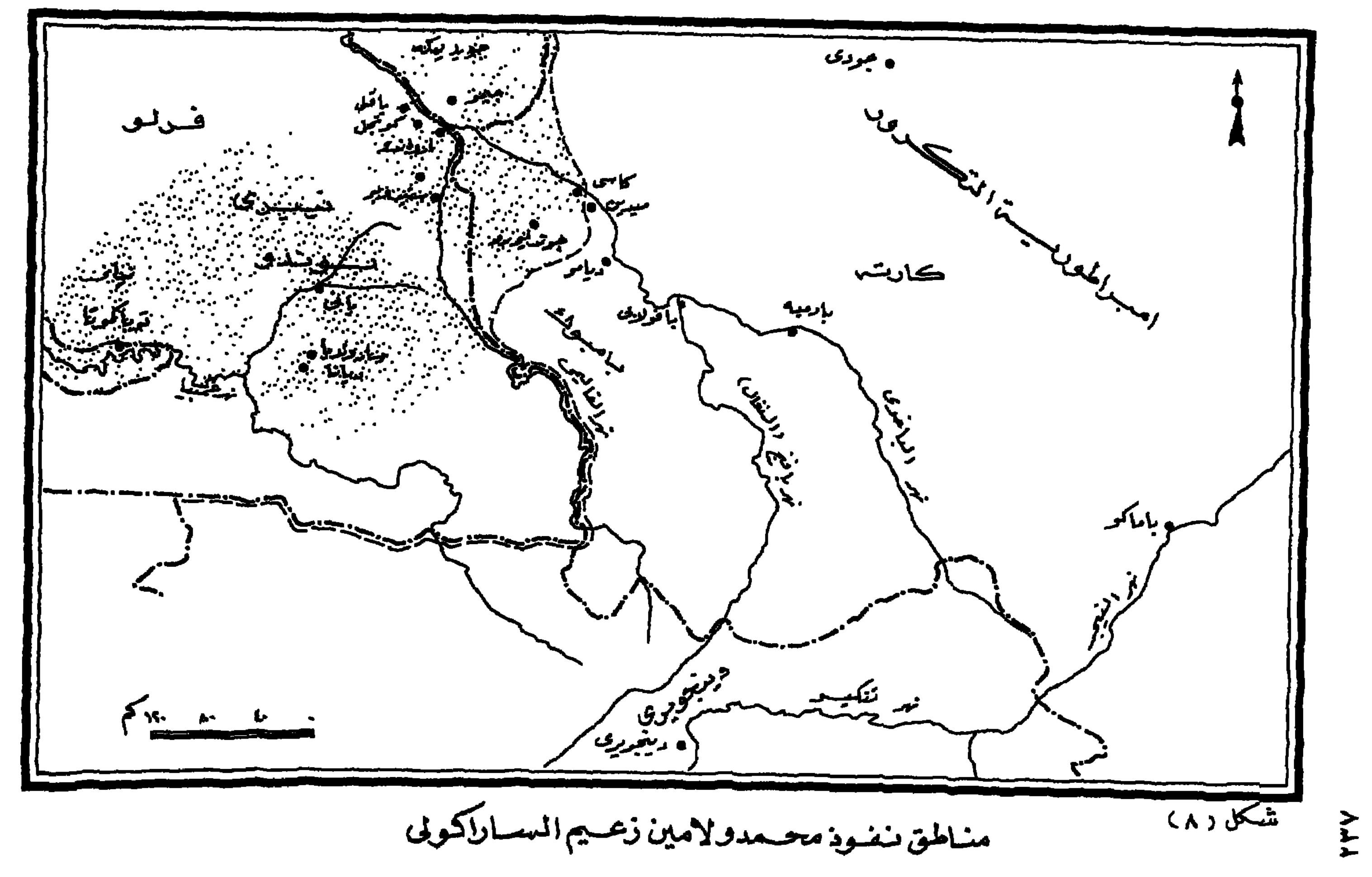
شكل (٦)

مناطق نفوذ ساموري زعيم الماندنجو

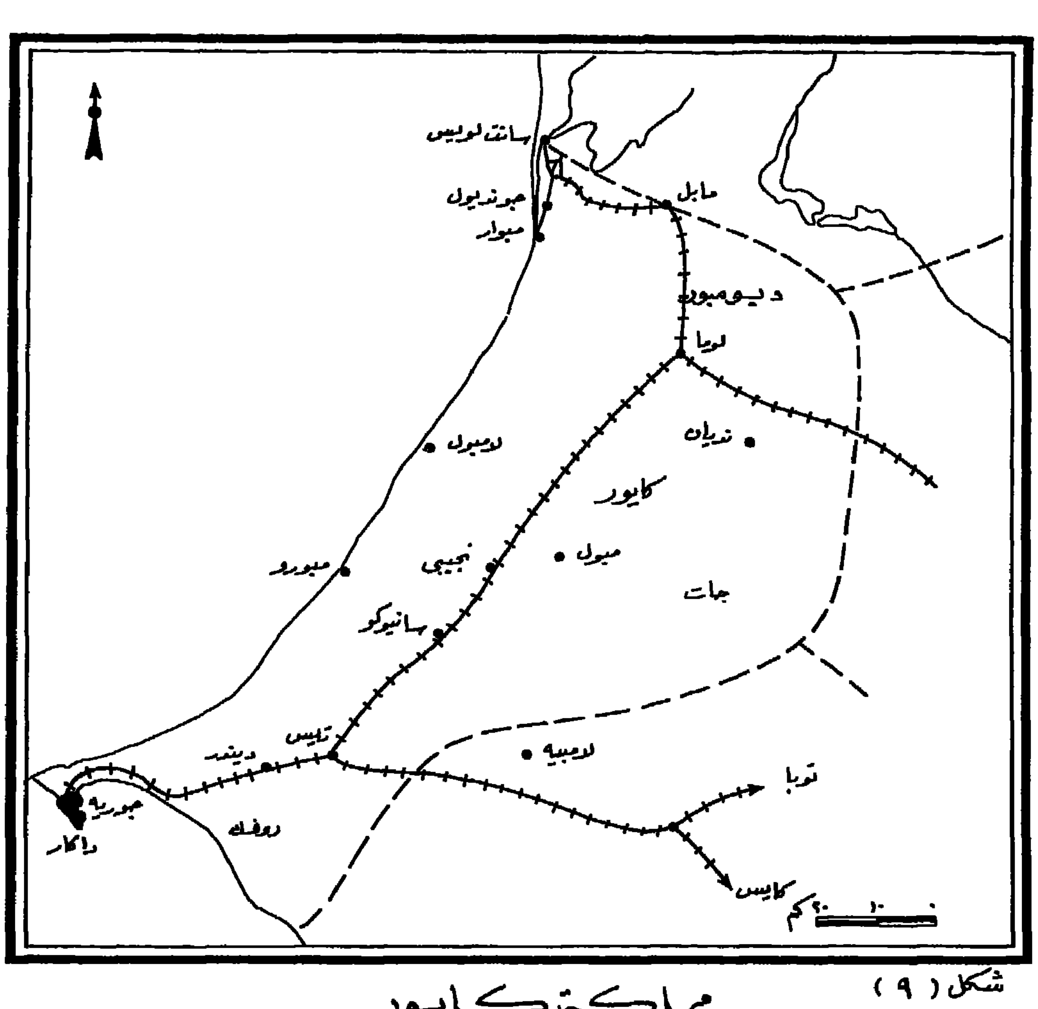


شكل (٧)

غينيا الفرنسية في القرن التاسع عشر



شكل (٨)
مناطق نفوذ محمد ولامين زعيم السراكولي



شكل (٩)

مملكة كايور

أولاً - الوثائق والمراجع الأجنبية :

- وثائق غير منشورة :

Public Record office.

F. O. :

403/4

N° 1	1842.
N° 4	1842.
N° 7	1843.
N° 12	1483.
N° 17	1843.
N° 24	1843.
N° 25	1843.
N° 28	1843.
N° 30	1844.
N° 32	1844.
N° 52	1844.
N° 62	1844.
N° 70	1844.
N° 72	1844.
N° 83	1845.
N° 89	1844.
N° 102	1845.
N° 106	1842.
N° 114	1844.

403/66

N° 2	1884.
N° 3	1884.
N° 10	1884.
N° 11	1884.
N° 17	1884.
N° 18	1884.
N° 20	1884.
N° 22	1883.
N° 26	1884.
N° 34	1884.
N° 52	1884.
N° 59	1884.
N° 61	1884.
N° 64	1884.
N° 72	1884.

403/85

N° 2	1887.
N° 16	1889.
N° 20	1888.
N° 23	1889.
N° 38	1889.
N° 43	1889.
N° 47	1889.
N° 95	1889.
N° 101	1889.
N° 165	1889.
N° 168	1889.

- الوثائق المنشورة :

(أ) الوثائق الفرنسية :

1. Documents Diplmatiques Français ler serie Paris:

Tome VI	1934.
Tome VII	1951.
Tome IX	1939.
Tome X	1945.
Tome XI	1947.

2 en Serie Tome I

(ب) الوثائق الانجليزية :

1. Hansard's Parliamentary Debates
Third Series Fourth volume of session 1884 - 1885.

Third	Series	vol 306	1886.
Third	Series	vol 305	1886.
Third	Series	vol 319	1887.
Third	Series	vol 324	1888.
Third	Series	vol 337	1889.
Third	Series	vol CCC XL	VIII 1890.
Third	Series	vol CCC XL	VII 1890.
Third	Series	vol CCC L	IV 1890 - 1891.
Fourth	Series	Fifth volume	1892.
Third	Series	third volume	1892.
Fourth.	Series	vol. XVII	1893.
Fourth	Series	vol. XXI	1894.
Fourth	Series	vol. XXX	1895.
Fourth	Series	vol. 38	1896.
Fourth	Series	vol. LI	1897.
Fourth	Series	vol. LVII	1898.
Fourth	Series	vol. LIII	1898.

Fourth Series vol. LVI 1898.
Fourth Series vol. 90 1901.
Fourth Series vol. 103 1902.
Fourth Series vol. 112 1902.

2. Albrecht-Carrié, René: The Concert of Europe U.S.A. 1968.
3. Hagreaves, John: France and west Africa Great Britain 1968.
4. Hertslet, Edward: The Map of Africa by treaty vol. I - II - London 1894.

المراجع الأجنبية

1. Adloff Richard; West Africa New York 1964.

2. Ajayi, J.F.A and Michael Crowder: History of West Africa Great Britain 1974. Vol. II.

3. Ambriere, Francis: Les Guides bleus L'Afrique Occidentale Française. Paris 1958.

4. Anderson, John: West Africa, East Africa in the Nineteenth and Twentieth centuries London 1972.

5. Anene, Joseph., Godfrey Brown: Africa in the Nineteenth and twentieth centuries. Ibadan 1966.

6. Avice, Emmanuel: La Côte d'Ivoire Paris 1951.

7. Beslier, G.G.: Le Senegal Paris 1925.

8. Betts, Raymond: The scramble for Africa U.S.A. 1966.

9. Boahen, A. Adu: Britain, the Sahara and the Western Sudan (1788 - 1861) Great Britain 1970.

10. Bory, Paul: A l'Assaut de l'Afrique.

11. Brunshwig, Henri: l'Avenement de l'Afrique Noire du XIX siècle à nos jours Paris 1963.

12. Brunshwig, Henri: Le Partage de l'Afrique Noire. Paris 1971.

13. Carrington, C., E.: The British Overseas. Exploits of a nation of shopkeepers. Cambridge 1950.

14. Coleman, James: Nigeria. Los Angelous 1960.

15. Collins, Robert: Problems in the History of Colonial Africa U.S.A. 1960.

16. Cornevin, Robert: Histoire du Dahomey Paris 1962.

17. Crowder, Michael: West Africa under colonial rule. Great Britain 1968.

18. Crowder, Michael: West African resistance. London 1973.

19. Cook, James: New French Imperialism (1880-1910) London 1973.

20. Cultru, P.: Les Origines de L'Afrique Occidentale Paris 1910.

21. Cultru, P: Histoire du Senégal du XV siècle à 1870 Paris 1910.

22. Curtin, Philip: and Steven Feierman and Leonard thompson Jan Vansina; African History London 1978.

23. Davidon., Basil: Guide to African History. London 1963.

24. De Lanoye, F.: Le Niger et les Explorations de l'Afrique Centrale depuis Mungo Park jusqu'au Docteur Barth. Paris 1960.

25. Deschamps, Hubert: Peuples et Nations d'outre mer (Afrique -Islam - Asie du Sud) Paris 1954.

26. Deschamps, Hubert: Histoire Generale de l'Afrique Noire Paris 197 tome II.

27. Dike, Onwuka: Trade and Politics in the Niger Delta. Oxford 1956.

28. Fage, J: An introduction to the history of west Africa. Cambridge 1959.

29. Forde, Daryll and P.M. Kaberry: West African Kingdoms in the Nineteenth Century. Great Britain 1969.

30. Forstner, Kanya: The Conquest of the western sudan. Cambridge 1969.

31. Fyee, Christopher: A History of sierra Leone Oxford 1962.

32. Gann, L. and Peter Duignan: Colonialism in Africa 1870 - 1960 Vol. 1 Cambridge 1969.

33. Gay, J.M: A History of the Gambia. Cambridge 1940.

34. Guernier, Eugène: Afrique Occidentale Tom 1. Paris 1949.

35. Guy, Camille, L'Afrique Occidentale Française. Paris 1929.

36. Hagreaves, John: Prelude to the partition of west Africa. London 1963.

37. Hallet, Robin: Africa to 1875. London 1875.

38. Hanotaux, Gabriel: Le Partage de l'Afrique Noire. Paris 1909.

39. Hanotaux, Gabriel et Alfred Maritineau: Histoire des colonies Françaises et de l'expansion de la France dans le monde Tome IV. Paris 1929.

40. Hecquard, Hyacinte: Vogage sur la Côte et dans l'interieur de l'Afrique Occidentale. Paris 1855.

41. Hogben, J.: An introduction to the history of Northern Nigeria. Ibadan 1967.

42. Hoskins, Halford: European imperialism in Africa 1928.

43. Labouret, Henri: L'Afrique Precolonial. Paris 1959.

44. Langer, William: The Diplomacy of imperialism 1890 -1902. Part I. N. Y. 1951

45. Latimer, Elizabeth: Europe in Africa in the Nineteenth Century Chicago 1895.

46. Oloruntimehin, B: The Segu tukulor empire London 1972.

47. Johnston, Harry: A History of the colonization of Africa. Cambridge 1913.

48. Knapp, Wilfrid: North west Africa third edition N.Y. 1977.

49. Kilson, Martin and Cartey Wilfred: Colonial of Africa. N.Y. 1966.

50. M.A.C.: Histoire compléte des voyages et de couvertes en Afrique. Paris 1921.

51. Mage, E: Voyage dans le soudan Occidental Paris 1877.

52. Meniaud, Jacques: Les Pionniers du Soudan Tome I-II. Paris 1931.

53. Meynier, O.: Les Conquerants du Tchad. Paris 1223.

54. Molard, Richard: Afrique Occidentale Française Paris 1949.

55. Monnier, Marcel: France Noire (Côte d'Ivoire et Soudan) Mission Binger Paris 1894.

56. Moore, Clarck: Africa yesterday and today. U.S.A. 1970.

57. Reeve, Henry Fenwick: The Gambia London 1912.

58. Robinson, Ronald and John Gallaher with Allice Denny: Africa and the victorians. N.Y. 1961.

59. Rooney, D: The Building of Modern Africa. London 1967.

60. Seligman, C.: Races of Africa. London 1959.

61. Soleillet, Paul: Les Voyages et decouvertes de Paul soleillet dans le sahara et le soudan (en vue d'un project d'un chemin de fer transsaharien) Paris 1881.

62. Sik-Endre: A History of Black Africa Vol. I. U.S.A. 1970.

63. Spitz, Georges: Soudan Français Paris 1955.

64. Suret, Canale, Jean: Afrique Noire occidentale et centrale. l'Ere colonial (1900 - 1945) Paris 1961.

ثانيا - المراجع العربية والمعربة :

١ - أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا جـ ٦ طبعة ١٩٧٢ .

٢ - أحمد عزت عبد الكريم : دراسات فى تاريخ العرب الحديث دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٠ .

٣ - أحمد نجم الدين فليجة : أفريقيا - دراسة عامة واقليمية (لأقطارها غير العربية) الاسكندرية - ١٩٧٨ .

٤ - أ . ج جرانت ، هارولد تمبرلي : أوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ - ١٩٥٠ جـ ٢ ترجمة محمد على أبو دره مراجعة أحمد عزت عبد الكريم - القاهرة ١٩٧٨ .

٥ - أ . ى . بوفيل : الممالك الاسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب - ترجمة زاهر رياض - القاهرة ١٩٦٨ .

٦ - توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن د . عبد المجيد عابدين اسماعيل النحراوى القاهرة ١٩٧٠ .

٧ - جمال الدين الدناصورى : جغرافيا العالم دراسة إقليمية (لأفريقيا واستراليا) جـ ٢ القاهرة ١٩٧١ .

٨ - الحسن بن محمد الوزان الزياتى (ليون الإفريقى) : وصف أفريقيا ترجمة د . عبد الرحمن حميدة طبعة الرياض ١٣٩٩ هـ .

٩ - حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا القاهرة ١٩٦٣ .

١٠ - دولت أحمد صادق ، محمد السيد غلاب - جمال الدين الديناصورى : الجغرافية السياسية - القاهرة ١٩٨٢ .

١١ - رونالد وايدز : تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء جـ ٢ ترجمة شوقى الجمل .

١٢ - زاهر رياض : الإستعمار الأوربى لأفريقيا فى العصر الحديث القاهرة ١٩٦٠ الطبعة الأولى .

١٣ - سعد الدين الزبير : امبراطورية رابح الزبير القاهرة ١٩٥٣ .

١٤ - شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها القاهرة ١٩٧١ .

١٥ - شوقى الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٧٧ .

١٦ - صلاح العقاد : مغرب الاستعمار الفرنسى بدون سنة طبع .

١٧ - صلاح العقاد : جمال زكريا - وآخرون الجمهورية الإسلامية الموريتانية - معهد البحوث والدراسات العربية طبعة ١٩٧٨ .

١٨ - صلاح ضبرى : أفريقيا وراء الصحراء - القاهرة ١٩٦٠ .

١٩ - صفى الدين محمد : أفريقيا بين الدول الأوربية الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٩ .

٢٠ - عبدالله يوسف الشبل : محمد بن الوهاب . الرياض ١٣٩٩ .

٢١ - عبد العزيز نوار : التاريخ المعاصر أوربا من الحروب البروسية إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ - ١٩٤٥ القاهرة ١٩٧٧ .

٢٢ - عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا بدون سنة طبع مجموعة محاضرات ألقيت فى معهد الدراسات الإفريقية .

٢٣ - عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية - القاهرة ١٩٦١ .

٢٤ - عبد الملك عودة : السياسة والحكم فى أفريقيا - القاهرة ١٩٥٩ .

٢٥ - على ابراهيم عبده : المنافسة الدولية فى أعالى النيل القاهرة ١٩٥٨ .

٢٦ - **لوثروب ستودارد :** حاضر العالم الإسلامى نقله إلى العربية عجاج نويهض فيه تعليقات عن أحوال الأمم الإسلامية بقلم الأمير شكيب أرسلان الطبعة الثالثة جـ ٣ دار الفكر ١٩٧١ .

٢٧ - **محمد قاسم ، أحمد نجيب هاشم :** التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة بدون سنة طبع .

٢٨ - **محمد كمال جمعه :** انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية مطبوعات إدارة الملك عبد العزيز بالرياض ١٩٨١ .

٢٩ - **محمد عوض :** السلالات والشعوب الإفريقية القاهرة ١٩٦٥ .

٣٠ - **يسرى الجوهرى :** أفريقيا الإسلامية دار المعارف ١٩٨٠ .

رسائل جامعية :

- التغلغل الفرنسى فى النيجر وموقف الوطنيين من١٨٨٤ - ١٩٠٤ رسالة ماجستير إعداد **إلهام محمد على ذهنى** إشراف أ . د **محمد محمود السروجى** أ . د **سعد زغلول عبد ربه** - جامعة القاهرة - معهد البحوث والدراسات الإفريقية ١٩٧٨ .
- سياسة فرنسا التوسعية فى غرب أفريقيا من منتصف القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى رسالة دكتوراه - **إعداد إلهام محمد على ذهنى** - إشراف أ . د . **عبد العزيز سليمان نوار** كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٨٤ .

الـدوريـــات :

- مجلة الدراسات الإفريقية العدد السادس ١٩٧٧ مقالة للدكتور **سعد زغلول عبد ربه** عن التدخل البريطانى فى بنين ١٨٥١ إلى ١٨٩٧ .

كشـــاف الاعـــلام

(ب)

(ت)

(ج)

(ل)

(م)

كشـــاف الأماكـــــن

(ب)

(ت)

(جـ)

(حـ)

(خـ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

وادان ١٨٦

وادای ٣٣ - ٤٦ - ٥٨ - ٦٧ - ١٧٨ - ١٨٥

واسولو ٥٦ - ١٣٦

وجلة ٢٠٠

ولاته ٢٦ - ٣١ - ١٩٨ - ٢٠٠

(ى)

يانج يانج ١٠٨